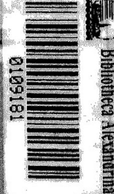
دراسات فى تاريخ الحضارات القديمة
(٣)

مصر تحت حكم اليونان والرومان

د. حسين الشيخ



دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - اسكندرية ت : ٤٨٣٠١٦٣

دراسات فى تاريخ الحضارة القديمة
(٣)

مصر تحت حكم اليونان والرومان

دكتور
حسين الشيخ
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

١٩٩٧

مدخل

مصر قبيل الإسكندر المقدونى

مدخل

مصر قبيل الإسكندر المقدونى

كان ظهور الإسكندر المقدونى إيذاناً ببدء عصر جديد، ومرحلة حضارية جديدة فى المنطقة التى مثلت قبل ظهوره عالمين مختلفين، الأول العالم الشرقى ويضم أغلب المناطق الآسيوية والأفريقية المتاخمة للبحر المتوسط وإمتداداتها نحو الشرق، والثانى غربى يضم مقدونيا وبلاد اليونان ومستعمراتها على الساحل الغربى لشبه جزيرة آسيا الصغرى.

ولم يكن اتجاه الاسكندر نحو الشرق بأمر مستغرب بل كان متوقعاً تماماً حيث كانت الصفة الغالبة على التوجه الجغرافى لليونان هى الاتجاه إلى الشرق، فانتشار الجزر بشكل واضح فى حوض بحر أيجه جعل من السهولة بمكان إمكانية قيام اتصالات بين شبه جزيرة البلقان وشبه جزيرة آسيا الصغرى، وبالتالى لا يصبح البحر هنا حاجزاً مانعاً بل أداة وصل بين المنطقتين، ومن هنا ومع استقرار بلاد اليونان وبداية ممارستها لنشاطها الاقتصادى الخارجى نجدها قد اتجهت تلقائياً إلى الشرق. حيث مثلت الهجرات اليونانية على ساحل آسيا الصغرى أعلى كثافة سكانية على سبيل المثال، هذا بالإضافة إلى ظهور قرطاجة كقوة جديدة فى الجزء الغربى من البحر المتوسط لا تسمح بتواجد قوة أخرى معها، مما أكد على فكرة الاتجاه إلى الشرق لدى اليونانيين (١).

إلا أن هذا لايعنى أن الاتصال بين اليونان والشرق لم يتم إلا فى عصر الاسكندر، فاشعار هوميروس مثلاً فى الألياذة تصور لنا احتكاك اليونانيين عسكرياً بطروادة على ساحل آسيا الصغرى فيما قبل ظهور الاسكندر بحوالى أربعة قرون.

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحيى : دراسات فى العصر الهللينستى ، صفحات ٤ – ٨.

وفى عهد الأسرة الثامنة عشر أقام الفرعون تحتمس الثالث أحد قواده حاكماً على جزر بحر أيجه ، كما يظهر تأثير الفن المصرى بشكل واضح على الفن اليونانى خاصة فى مراحله الأولى سواء فى العمارة ببداية ظهور الأعمدة الدورية ، أو فى الصور المبكرة من فن النحت، وحتى من الناحية الدينية نجد أن عبادة الإله آمون المصرى قد انتشرت فى اليونان وأقيم له معبد فى أثينا وكان له عرافوه الذين وضعوا فى مصاف عرافى دلفى ودودونا [1].

لكن هذه الصلات بين حضارات الشرق والغرب قبل ظهور الاسكندر المقدونى لم تصل أبداً إلى إيجاد قدر واضح من التقارب فى النظم السياسية والاجتماعية، وإنما كانت لا تعدو تسرب بعض التفاصيل الحضارية من جانب إلى الجانب الآخر ، من فن أو عقيدة أو بعض الصناعات ، وغير ذلك مما كان يترك أثراً واضحاً لكن لا يتحول إلى تبنى طرف من الأطراف لنظم حياة الطرف الآخر مثلاً ، لكن الإحدى عشر عاماً التى كون خلالها الاسكندر المقدونى إمبراطوريته كان لها أبلغ الأثر فى تحقيق هذا المزج بين الشرق والغرب والذى قامت عليه أساساً حضارة العصر الهللينستى.

الاسكندر المقدونى :

هو الاسكندر الثالث ابن فيليبوس الثانى المقدونى من زوجته أولمبياس ، ولد فى بيلا فى ٣٥٦ ق.م. ، وقد يكون ليسيماخوس أول من علمه، لكن الثابت أن أرسطو قد تولى أمر تعليمه بدءاً من الثالثة عشر من عمره، فتتلمذ على يديه الاسكندر فى الأخلاق والسياسة والفلسفة وفن الحكم.

---

(1) H. Breasted, History of the ancient times, PP. 107 - 113, 369 - 373.
Lang, The world of Homer, P. 19.
قارن أيضاً : لطفى عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق ، صفحات ٨ — ١١.

تولى حكم مقدونيا بعد إغتيال فيليب فى ٣٣٦ ق.م. وفى محاولة من بعض مدن اليونان لاختبار مدى قوة الحكم الجديد ثارت بعض هذه المدن، إلا أن الاسكندر أثبت صلابته فاستولى على طيبة وهدمها وإسترق أهلها ولم يبق من بيوتها سوى بيت الشاعر بنداروس ، وهنا أعلنت مدن اليونان جميعها ولاءها للاسكندر. وفى ٣٣٤ ق.م. خرج الاسكندر فى حملته على الشرق [(١)].

عبر الاسكندر مضيق الهلسبونت (الدردنيل) فى ثلاثين ألف جندى وخمسة آلاف فارس إلى طراودة ، والتقى بأول جيوش الفرس عند نهر جرانيكوس حيث انتصر انتصاراً ساحقاً بأقل قدر من الخسائر، واستسلمت له مدن سارديس وأفسوس، ثم حاصر ميليتوس حيث استولى عليها فى العام نفسه، ثم تابع استيلاءه على مدن آسيا حيث حاصر هاليكارناسوس ثم دخل اسبندوس.

وفى ٣٣٣ ق.م. التقى الاسكندر الأكبر بالإمبراطور الفارسي داريوس فى موقعة ايسوس حيث انتصر وفر داريوس هارباً ، ثم اتجه بعد ذلك إلى الساحل الشرقى للبحر المتوسط للسيطرة على المدن الفينيقية حيث استولى على جبيل وصيدا إلا أن صور رفضت التسليم فحاصرها الاسكندر ، وقاومت المدينة لمدة سبعة أشهر حتى سقطت فى النهاية وفى هذه الأثناء عرض الإمبراطور داريوس الصلح على الاسكندر مقابل غرامة عشرة آلاف تالنت يدفعها داريوس مع تنازله عن ملكية كل المناطق التى دخلها الاسكندر إلا أن الأخير رفض هذا الصلح

---

(١) أسد رستم : تاريخ اليونان ، من فيليبوس المقدونى إلى الفتح الرومانى - بيروت - ١٩٦٩ ، صفحات ١٧ - ١٩.

و . تارن : الاسكندر الأكبر ، ترجمة زكى على ، الألف كتاب - القاهرة ١٩٦٣ ، صفحات ٢١ ومابعدها

وحول دور ايسوكراتيس فى التنظير لهذه الحملة والدعاية لاستعمار آسيا ، وتأكيده على تفوق الحضارة الهللينية وبالتالى تبرير سيطرتها على آسيا . راجع :

Isocrates IV, 50.

وتحرك من صور إلى دمشق إلى غزة ومنها إلى مصر حتى يتم سيطرته على أغلب موانئ البحر المتوسط وبذلك يقطع كل الخطوط أمام الأسطول الفارسى، ودخل الاسكندر مصر فى ٣٣٢ ق.م. سلماً ، بل واستقبل بترحاب كبير من قبل المصريين الذين اعتبروه مخلصاً لهم من الاحتلال الفارسى ! [١].

وفى ٣٣١ ق.م. عاد الاسكندر مرة أخرى إلى آسيا حيث انتصر على داريوس فى موقعة جوجاميلا ، ثم سار إلى إيران حيث دخل برسيبوليس العاصمة الحقيقية للإمبراطورية الفارسية، ثم استولى على سمرقند وأفغانستان حتى وصل إلى الهند.

وفى ٣٢٣ ق.م. عاد الاسكندر إلى بابل عاصمة ملكه لتنظيم أمور امبراطوريته ليستأنف فيما بعد خطته فى فتح بلاد العرب ، إلا أنه يموت فى نفس العام دون أن يترك وريثاً له .

حروب الخلفاء :

بإعلان برديكاس نفسه وصياً على عرش الاسكندر الذى تولاه أخاه أريدايوس المسمى فيليب الثالث ، خرج عن طاعته أغلب القواد مثل انتيباتير وانتيجونوس وكراتيروس وبطلميوس ، وقتل برديكاس أثناء محاولته طرد بطلميوس من مصر ، لكن أحد قواده وهو إيومينيس هزم كراتيروس وقتله فى آسيا الصغرى فى ٣٢١ ق.م.

ثم اعترف بطلميوس بأنتيباتير وصياً ، واتفق أنتيباتير مع أنتيجونوس لتعقب أيومينيس ، لكن وفاة أنتيباتير فى ٣١٩ ق.م. خلقت موقفاً جديداً إذ لم يكن خليفته بولييرخون على وفاق مع بطلميوس وانتيجونوس فاستولى بطلميوس على سوريا واحتل أنتيوجونوس فريجيا وليديا ، كما استولى كاساندر على بيرايوس وأثينا

---

(١) أسد رستم : المرجع السابق ، صفحات ٢٠ - ٣١.

ومقدونيا وأعدم أوليمبياس أم الاسكندر وأخاه فيليب أريدايوس وسجن روكسانا زوجة الاسكندر مع ابنها الاسكندر الرابع حيث قتلا فيما بعد فى ٣١٠ ق.م.

وفى ٣١١ ق.م. حاول القواد الوصول إلى اتفاق فيما بينهم إلا أن هذه المحاولة لم تسفر عن شئ جديد إلا تأكيد الحرب بين أنتيجونوس وسليوكوس وفوز كاساندر بعرش مقدونيا ، واستمرار بطلميوس فى توسعاته فى حوض بحر أيجه (١).

وفى الفترة من ٣١٥ إلى ٣٠٧ ق.م. استطاع أنتيجونوس الاستيلاء على سوريا ، لكن بطلميوس هزم ابنه ديمتريوس عند غزة فى ٣١٢ ق.م. بعد أن كان بطلميوس قد احتل جزر الكيكلاديس وبعض أجزاء من شبه جزيرة البلوبونيز فى ٣١٣ ق.م. وفى ٣٠٧ ق.م. اتخذ أنتيجونوس الأول لقب ملك فحذا حذوه بطلميوس وسليوكوس وكساندر وليسيماخوس وهكذا تأكدت نهائياً فكرة تقسيم امبراطورية الاسكندر.

وفى ٣٠١ ق.م. بعد معركة إبسوس الشهيرة فى فريجيا هزم أنتيجونوس هزيمة ساحقة وقتل على أيدى الحلفاء الثلاثة كاسندر وليسيماخوس وسليوكوس مع استثناء بطلميوس الذى حاول الابتعاد بقدر الإمكان عن حروب الخلفاء حتى يتمكن من تثبيت حكمه فى مصر ، وبالتالى آلت سوريا إلى سليوكوس ، وغرب آسيا ووسطها إلى ليسيماخوس ، ومقدونيا إلى كاسندر ، واستولى بلايستارخوس على جنوب آسيا الصغرى، أما بطلميوس فقد أكد سلطانه على مصر واستولى أيضاً على جنوب سوريا ، وفيما بعد فيما بين ٢٧٦ - ٢٧٥ ق.م. استطاع أنتيجونوس استرداد مقدونيا وأسس أسرة حكمتها حتى ١٦٨ ق.م. ، بينما استمرت أسرة السليوكيين تحكم سوريا حتى ٦٤ ق.م. حين حولها بومبيوس إلى ولاية رومانية ، على حين كانت أسرة البطالمة فى مصر من أطول

---

(١) وليم لانجر موسوعة تاريخ العالم ، صفحات ١٩٩ - ٢٠٠.

الأسر بقاءاً فقد حكمت مايقرب من الثلاثة قرون حتى ٣١ ق.م. وهو تاريخ دخول أوغسطس مصر حيث أعلنها ولاية رومانية ذات وضع خاص تابعة له شخصياً ، وذلك بعد انتصاره على كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة وحليفها ماركوس أنطونيوس (١).

مصـــر :

بسيطرة الملوك الليبيين على مصر فى منتصف القرن العاشر قبل الميلاد تنقسم مصر وتتفتت وحدتها، فقد رفض كهنة آمون حكام مدينة طيبة إعلان ولائهم للملوك الجدد وهاجروا جنوباً إلى بلاد كوش وأقاموا ملكهم الجديد فى مدينة نباتا عند الشلال الرابع وجعلوا من أنفسهم الورثة الشرعيين لعرش فرعون. وبظهور ملك نباتا الشاب بعنخي استطاع فى ٧٤٠ ق.م. أن يطرد الليبيين ويعيد إلى مصر وحدتها.

إلا أن طهارقا خامس ملوك نباتا لم يستطع صد الغزو الآشورى لمصر فى ٦٧١ ق.م. فانسحب جنوباً تاركاً الدلتا تحت رحمة الآشوريين ثم يعود ليستعيدها لفترة قصيرة حين يظهر آشور بانيبال الذى يعيد فتح مصر فى ٦٦٧ ق.م. ، وأعلن نخاو أمير سايس حاكماً على الدلتا ، ثم يظهر تنوت آمون خليفة طهارقا فينجح فى غزو الدلتا وينصب نفسه فى منف فرعوناً على مصر كلها، فيعود آشور بانيبال ليغزو مصر ثانية فى ٦٦٣ ق.م. ويعين ابسماتيك حاكماً عليها والذى يؤسس الأسرة السادسة والعشرين ويجعل من سايس (صا الحجر حالياً بالقرب من كفر الزيات) عاصمة لها.

واتبع ابسماتيك سياسة مؤداها الابتعاد تدريجياً عن آشور والتحرر من تبعيته لها، وساعده على ذلك الحرب الدائرة بينها وبين عيلام مما جعل الملك الآشورى

---

(١) المرجع السابق ، صفحات ٢٠٠ - ٢١٥.

لايهتم بما حدث فى مصر . وبعد إنتهاء هذه الحروب كان مركز ابسماتيك فى مصر أقوى من أن تهزه تهديدات آشور [١].

وعلى مقربة من سايس أسس التجار اليونانيون من ميليتوس محطة لهم ، ويقول سترابون أن هؤلاء التجار قد أقاموا محطتهم فى عصر ابسماتيك أى حوالى ٦٥٠ ق.م. ، لكن هذه المحطة التجارية قد أقيمت غالباً قبل عام ٧٠٠ ق.م.، ولعل ماقصده سترابون أنها قد اتسعت وإزدادت شهرة فى عصر أبسماتيك وعرفت باسم نقراطيس ، وبفضل الثروة التى عادت على مصر من إزدهار التجارة فى هذا الوقت تمكن أبسماتيك من توطيد مركزة فى مصر واستخدم أعداداً كبيرة من المرتزقة اليونانيين وتخلص بالتالى من تهديدات ملوك نباتا وآشور.

وبدأ ابسماتيك فى إضفاء نوع من الإمتيازات والمعاملة الخاصة على الإغريق وخاصة الجنود منهم وأقام لهم معسكرين أحدهما فى ماريا إلى الغرب من كانوب، والثانى فى دفنى (تل دفنة عند برزخ السويس) ليكون هذين المعسكرين بمثابة نقاط دفاعية ضد أى هجوم على مصر وتوفى أبسماتيك فى ٦٠٩ ق.م. وتولى بعده ابنه نخاو الثانى العرش والذى وجه جهوده إلى الأعمال السلمية واعتنى عناية خاصة بتجارة مصر ، فأثرت البلاد وانتعشت الحياة الاقتصادية وبدا كما لو كان الأمر هو إحياء للدولة القديمة [٢].

مات نخاو الثانى فى ٥٩٣ ق.م. وخلفه على عرش سايس ابنه ابسماتيك الثانى والذى حكم حتى ٥٨٨ ق.م. ، ويبدو أنه سار على نهج أسلافه من محاباة للإغريق وإضفاء إمتيازات عديدة عليهم وربما كان هذا الشعور يعود إلى أن هؤلاء الملوك فى العصر الصاوى كانوا مدينين بثروتهم لتجارة الإغريق ، بالإضافة إلى

---

(١) ابراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، الجزء الأول ، صفحات ١ - ٢.
(٢) المرجع السابق ، صفحات ٣ - ٤.

إحتياجهم الدائم لهم للدفاع عن ملكهم ضد الدولة القوية فى آسيا ، وأيضاً لتثبيت حكمهم داخل مصر نفسها.

وخلف ابسماتيك الثانى أبريس الذى حكم من ٥٨٨ إلى ٥٦٦ ق.م. واتبع نفس السياسة السابقة تجاه الإغريق مما أزكى الشعور العام بالعداء لدى المصريين ضده وضد الإغريق معاً فقامت الثورة المتوقعة المعادية للأجانب بزعامة أماسيس القائد المصرى وانتهت فى ٥٦٩ ق.م. بإعلان أماسيس شريكاً لابريس فى الملك، لكن موت أبريس بعد ذلك بثلاث سنوات جعل من أماسيس ملكاً وحده على عرش سايس.

ورغم أن أماسيس وصل إلى الحكم باعتباره عدو الأجانب فى مصر وخاصة الإغريق، إلا أنه انتهج سياسة معتدلة ، فلكى يرضى الشعور العام للمصريين ألغى معسكر دفنى الذى أقامه أبسماتيك الأول ونقل جنود هذا المعكسر إلى منف ، لكن اتخذ منهم حرساً خاصاً ، كما أمر بأن يتجمع كل الإغريق المدنيين فى مصر فى نقراطيس لكنه فى نفس الوقت تزوج من سيدة إغريقية من قورينا ، بالإضافة لصداقته لبوليكرانوس طاغية ساموس وكرويسوس ملك ليديا . وفى عهده إزدادت ثروة مصر نتيجة لرواج تجارتها وإزداد عدد سكانها وإزدهرت العلوم والفنون وعادت إلى الأذهان صورة عهد نخاو الثانى.

وفى نفس الوقت فى آسيا كان قورش الأكبر يعمل بجد فى إنشاء دولة جديدة قوية هى فارس والتى تحولت بعد ذلك إلى إمبراطورية عظيمة، فاستولى قورش على ميديا فى ٥٥٠ ق.م. مما أفزع كرويسوس ملك ليديا فحاول تكوين تحالف ثلاثى من ليديا وبابل ومصر ليقف فى وجه الخطر الجديد المحدق به، وفعلاً يستطيع قورش فى ٥٤٦ ق.م. أن يستولى على ليديا ثم يسيطر على كل الشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى وفى ٥٣٩ ق.م. يستولى على بابل ثم يتبعها بسوريا وفلسطين.

وحين توفى أماسيس فى ٥٢٦ كانت مصر لاتزال متمتعة بإستقلالها إذ أن قمبيز لم يغزو مصر إلا فى العام الثانى من جلوس أبسماتيك الثالث على العرش خلفاً لأماسيس أي فى ٥٢٥ ق.م. واتخذ قمبيز لنفسه لقب فرعون حتى يكسب حكمه لمصر صفة الشرعية وفى ٥٢٢ ق.م. خلفه دارا على العرش فى فارس ومصر حيث زارها فى ٥١٨ ق.م. وتوج فيها فرعوناً واتبع سياسة معتدلة فيها قدر من التسامح حتى يمحو الأثر السيئ الذى تركه قمبيز فى نفوس المصريين [١].

وبمجرد إعلان نبأ وفاة دار ثار المصريون ثورتهم الأولى ضد الفرس فى ٤٨٥ ق.م. ، وهنا يلتقى التاريخ المصرى واليونانى مرة أخرى إذ يساعد الأثينيون المصريين فى ثورتهم ضد العدو التقليدى لكل من اليونان ومصر، خاصة وأن أثينا كانت قد خرجت من لقائها الأول مع الفرس فى موقعة ماراثون فى ٤٩٠ ق.م. منتصرة.

إلا أنه فى العام التالى ٤٨٤ ق.م. يدخل أكزركسيس خليفة دار على عرش فارس إلى مصر ويقضى على الثورة ، وتدهورت أحوال مصر فى عهده إذ أنه ضيق الخناق على المصريين بالضرائب الباهظة ووضع الفرس فى كل المناصب فى مصر بغض النظر عن أهميتها، هذا بالإضافة إلى أن الحروب الطويلة التى شهدتها المنطقة وخاصة بين أثينا وحلفائها وفارس قد أثرت بالضرورة على تجارة مصر مع اليونان مما انعكس بضرر مؤكد على نقراطيس. إلا أن هذا لايعنى أن تجارة مصر المتجهة إلى الشرق قد تدهورت إذ ظلت هذه التجارة المنقولة براً وبحراً بين مصر وبلاد العرب وسوريا وفينيقيا وأيونيا مزدهرة. وفى نفس الوقت بدأت القبائل العربية النبطية فى الظهور فى البتراء حيث تحكموا فى طريقين تجاريين ، أولهما يمتد من العقبة إلى فلسطين والثانى من مصر إلى بابل [٢].

---

(١) المرجع السابق : صفحات ٤ – ٦.

(٢) المرجع السابق : صفحات ٦ – ٧.

وبعد عشرين عاماً من وفاة دارا يموت أكزركسيس فى ٤٦٥ ق.م. فيعود المصريون إلى الثورة للمرة الثانية فى محاولة للتخلص من سيطرة الفرس على مقدراتهم. وقاد هذه الثورة أحد أمراء أسرة ابسماتيك ويدعى «أيناروس» والذى استطاع طرد نائب الإمبراطور الفارسي، إلا أن الحامية الفارسية انسحبت إلى منف وبذا استطاعت عزل ايناروس في الدلتا وحالت دون تلقيه أى مساعدة من جنوب مصر، وساء مركز ايناروس حين عاد نائب الإمبراطور الفارسى بجيش جديد ليستعيد مصر إلا أن العلاقة الوطيدة بين اليونان ومصر تعود مرة أخرى لتطفو على السطح كطرفين يقفان معاً ضد عدو تقليدى واحد لهما معاً ، فيتلقى ايناروس معونة من الأثينيين يستطيع بفضلها أن ينتصر على الفرس.

وبعد انتصار ايناروس على الفرس وطردهم من مصر بقى عدد كبير من الأثينيين الذين ساعدوه فى مصر رغم محاولات ارتاكزركسيس الإمبراطور الفارسى المتكررة لاخراجهم من مصر عن طريق أغراه لاسبرطة بمهاجمة اتيكا حتى يضطر الآثينيون إلى العودة لوطنهم للدفاع عنه ولكن دون جدوى. وأخيراً يرسل ارتاكزركسيس جيشاً ضخماً يطرد الإغريق من مصر ويعيدها إلى سيطرة الإمبراطورية الفارسية ويقضى على ايناروس وهكذا فى ٤٥٦ ق.م. تعود مصر لتصبح ولاية فارسية مرة أخرى.

وعلى الأرجح فيبدو أن هيرودوت قد زار مصر فى عهد ارتاكزركسيس الأول مابين ٤٤٨ و ٤٤٥ ق.م. وكان الهدوء المستسلم يسود مصر فى ذلك الوقت، فعلى الجانب الآخر فى أثينا مات الزعيم الأثينى كيمون وعقد صلح كاليس فى ٤٤٨ ق.م. وبذلك تنتهى المحاولات الأثينية لهدم إمبراطورية الفرس عن طريق تأييد الثورات ضدها خاصة في مصر، وبالتالى أصبح الوضع وكأنه هدنة غير معلنة خاصة وأن الحروب البلوبونيزية بين أثينا وأسبرطة كانت نذرها قد بدأت فى الظهور

ويحدثنا هيرودوت بأن مصر كانت تنعم بالرخاء فى ذلك الوقت بسبب الرواج الذى شهدته الصناعة والتجارة رغم الضرائب الباهظة التى فرضها الفرس، وإن كان الشك يحوط أقواله بسبب المتاعب التى مرت بها مصر خلال ثورتين متتاليتين ضد الفرس، إلا أن مظاهر الحياة كما يتضح من رواية هيرودوت لم تختلف فى العصر الصاوى كثيراً عنها فى العصور السابقة فى الدولة القديمة أو الوسطى، ورغم ما فى عرض هيرودوت التاريخى من أخطاء تكاد تكون فادحة فى بعض الأحيان كعدم تحرى الدقة فى كتابته والإعتماد على المصادر الشفوية والتى كثيراً ما يشوبها التحريف إلا أنه يعطينا صورة حية لتاريخ مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد.

ولم يكن هيرودوت هو الإغريقى الوحيد الذى زار مصر فى العصر الصاوى فيقال أن طاليس الفيلسوف قد زارها أيضاً ، ومن المرجح أنه أخذ فكرته عن عناصر الطبيعة الثلاث النار والماء والهواء من مصر كما تعلم فيها أصول الهندسة والحساب، كما يبدو إن أفلاطون أيضاً قد زارها، وإن كان الشك يحوط زيارة كل من هيراكليتوس وأناكساجوراس وظلت الأوضاع هادئة فى مصر حتى نهاية القرن الخامس رغم وفاة ارتاكزركسيس فى ٤٢٥ ق.م. [١].

وفى ٤٠٤ ق.م. انتهت الحروب البلوبونيزية فى اليونان بانتصار اسبرطة فى موقعة ايجوسبوتامى على أثينا وتقلدها زعامة بلاد اليونان مكان غريمتها التقليدية، فى نفس الوقت الذى نشبت فيه فى مصر الثورة المصرية الثالثة ضد الفرس عقب وفاة الإمبراطور دار الثانى ، وقاد هذه الثورة اميرتايوس الثانى الذى حكم مصر ولكن بشكل غير مستقر ، وساعده على ذلك ماحدث فى فارس من صراع على العرش بين ارتاكزركسيس الثانى وأخاه الأصغر قورش ، مما جعل ملوك الفرس لايهتمون مؤقتاً بما يحدث فى مصر ، هذا الصراع الذى وجدت اسبرطة نفسها

(١) المرجع السابق : صفحات ٨ - ١٠.

أحد أطرافه حين أيدت قورش الأصغر ضد ارتاكزركسيس الثانى الذى انتصر على أخيه فى ٤٠١ ق.م. وبالتالى كان من المتوقع أن يأخذ موقفاً عدائياً من أسبرطة التى وجدت نفسها غارقة فى صراع جديد مع الإمبراطورية الفارسية تارة بشكل مواجهة مباشرة، وتارة أخرى عن طريق تشجيع الفرس لأثينا على إعادة بناء أسطولها حتى تقوم هى بالقضاء على اسبرطة نيابة عن الفرس.

وحاول امبرتايوس الثانى كسب ود الإمبراطور الفارسى مما أثار الشعور العام ضده، فخلع عن العرش ونودى بنفريتيس ملكاً على مصر فى ٣٩٨ ق.م. وفى ٣٩٦ ق.م. عقدت مصر معاهدة عسكرية مع اسبرطة ضد الفرس، وكانت مصر فى هذا الوقت قد أصبحت مستقلة تماماً .

وفى عام ٣٩٨ – ٣٨٨ ق.م عقدت معاهدة أخرى بين مصر وقبرص ثم انضمت لها أثينا ضد العدو الفارسى ، وفى ٣٨٦ ق.م. عقد صلح انتالكيداس بين اسبرطة والامبراطورية الفارسية، ثم أثينا وحلفائها وبالتالى خرجت مصر من دائرة التحالفات مما جعل الطريق ممهداً أمام الفرس للعودة إليها. وفعلاً يهاجم ارتاكزركسيس مصر مابين ٣٨٥ – ٣٨٣ ق.م. لكنه يفشل.

وشهدت الأعوام التالية محاولات متكررة من قبل الفرس لاستعادة مصر، ففى عام ٣٦٤ ق.م. يعود الامبراطور الفارسى ارتاكزركسيس الثانى لمهاجمة مصر لكنه يفشل للمرة الثانية. وفى ٣٦١ ق.م يخلف نكتانبو الأول على عرش مصر ابنه زدهور الذى أخذ وضع الهجوم فاعد حملة لغزو سوريا بالاستعانة بملك اسبرطة اجيسلاوس والقائد الأثينى خابرياس ، لكن زدهور يعزل ويتولى العرش بدل منه نكتانيو الثانى الذى يعدل عن هذه الحملة. وفى ٣٥٨ ق.م. يظهر ارتاكزركسيس الثالث كامبراطور فارسى جديد يحاول مرة أخرى استعادة مصر فى ٣٥٧ – ٣٥٦ ق.م. لكنه يفشل كما فشل سلفه مرتين من قبل.

وشهدت مصر خلال هذه الفترة والسنين القليلة التالية بعض الهدوء الذى استغله نكتانيو الأول والثانى فى محاولة بعث أمجاد مصر القديمة. وبالتالى كان هذا مقدمة منطقية للإزدهار الذى ستشهده مصر بعد ذلك بما يقرب من نصف قرن على يد البطالمة.

فى هذه الأثناء كان الإمبراطور الفارسى ارتاكزركسيس الثالث يعد جيشه أعداداً حسناً للاستيلاء على مصر مرة أخرى، وأتت الفرصة حين ثارت فينيقيا وقبرص بزعامة ملك صيدا ، فحاصر الإمبراطور الفارسى صيدا وفتحها، ثم زحف على مصر حيث أفلح هذه المرة فى دخولها فى ٣٤٣ ق.م. واستولى على منف بينما فرنكتانبو الثانى إلى بلاد النوبة، وأساء ارتاكزركسيس الثالث معاملة المصريين بطريقة فاقت كل إساءات سلفه قمبيز وأهان شعورهم الدينى مما جعلهم بعد ذلك باحدى عشر عاماً يرحبون بدخول الاسكندر المقدونى لمصر باعتباره مخلصاً لهم من مساوئ الإحتلال الفارسى (١).

هذا العرض التاريخى السريع والمركز – وإن كان لايخلو من الإملال – للظروف التى مرت بها مصر خلال العصر الصاوى السابق على دخول الاسكندر وفتحه لها – والعلاقات المتشابكة التى ربطتها بدول عديدة فى هذه المنطقة من العالم القديم كفارس واليونان، قصدت به أن يكون تقديماً يعرض الجانب الآخر من الصورة التى دائماً ما يبدأها المؤرخون بدخول الاسكندر لمصر وبداية عصر البطالمة بعد ذلك بما يزيد قليلاً عن عشر سنوات مع ما يحدث غالباً من تجاهل لما حدث فى مصر قبل ذلك، وهذا الجزء قد يكون مرتبطاً بالتاريخ الفرعونى القديم إلا أنه هنا يخدم فكرة معينة هى التمهيد بشكل واضح لما يأتى بعده ، فهذه العلاقات المتشابكة والمعقدة للغاية بين مصر وفارس واليونان كانت محصلتها الطبيعية هى انتصار قوة ما على القوى الباقية، وإن كان الأمر قد اختلف هنا قليلاً

(١) المرجع السابق ، صفحات ١١ – ١٣.

فقد أتت هذه القوة الجديدة من شمال بلاد اليونان وإن انتسبت لها بشكل من الأشكال وأعنى بها مقدونيا .

إذن كان من الطبيعى أن تتجه هذه القوة الجديدة – مقدونيا – أول ما تتجه إلى الشرق فى محاولة للقضاء على الإمبراطورية الفارسية والحلول محلها، وبالتالى كان طبيعياً أيضاً أن يدخل الاسكندر مصر ويضمها إلى امبراطوريته ليبدأ فيها العصر الهللينستى الذى كان هو موضوعنا الأساسى فى هذه المقدمة الطويلة بعض الشئ.

الفصل الأول

مصر واليونان

الفصل الأول

مصر واليونان

أولاً : مصر واليونان حتى الاسكندر المقدونى :

لم يكن فتح الاسكندر المقدونى لمصر عملاً فردياً فجائياً وإنما سبقته مقدمات طويلة قادت إلى النتيجة الطبيعية وهى فتح مصر. هذه المقدمات تمثلت فى العلاقة بين مصر واليونان التى ترجع بتاريخها إلى بداية عهد الأسرات، أى مايزيد عن ألفين وخمسمائة عام قبل ظهور الاسكندر ، ومن الطبيعى أن مثل هذه العلاقة بين حضارتين تبدأ ضعيفة ثم وبمرور الوقت وتطور الحضارات تقوى وتتعدد مظاهرها . وهذا ماحدث فى حالة مصر واليونان اللتان شهدتا فترة من الإزدهار الحضارى حوالى منتصف الألف الثانى ق.م. حيث ازدادت قوة الامبراطورية المصرية فى عهد الدولة الحديثة بينما شهدت اليونان فترة ظهور الحضارة المينوية ثم الموكينية وازدهارها.

هذه الفترة من تاريخ العلاقات المتبادلة بين مصر واليونان شهدت ازدهاراً ونمواً مضطرداً للتبادل التجارى بين البلدين فكانت مصر تصدر القمح لليونان وتحصل على الفضة بدلاً عنه . إلا أنه بنهاية الألف الثانية ق.م. انقطعت هذه الصلات التجارية نتيجة الاضطرابات التى اجتاحت المنطقة، فقد دخلت مصر بنهاية الدولة الحديثة مرحلة من الضعف وتعرضت للعديد من الغزاة كان آخرهم الفرس، أما اليونان فقد اجتاحها الغزو الدورى وما أعقبه من فترات مظلمة فى تاريخ الحضارة اليونانية.

وبحلول القرن السابع ق.م. تعود هذه العلاقة إلى سابق عهدها وتظهر اليونان ومصر مرة أخرى كحضارتين متكاملتين، وتصل هذه العلاقة إلى قمتها

بإنشاء اليونانيون لمدينة « نقراطيس » [1] كمحطة تجارية يونانية وهو الإحتمال الأقرب إلى الصحة، إذ أن القول بأن نقراطيس كانت مستعمرة يونانية داخل مصر شأنها العديد من المستعمرات التى بدأ اليونانيون فى تأسيسها على سواحل البحر الأسود والبحر المتوسط وجنوب إيطاليا فى بداية حركتهم التوسعية هو قول مشكوك فى صحته. إذ أن هذه المستعمرات اليونانية أقيمت فى مجتمعات بدائية فى تطورها الإجتماعى والحضارى وبذلك فمن الممكن لها قبول فكرة هذه المستعمرات، بعكس المجتمع المصرى الذى كان قد وصل إلى مرحلة متقدمة من تطوره الحضارى بالإضافة إلى إزدحامه بالسكان مما جعل من الصعب قبول أى هجرات أو مستعمرات جديدة. وتدريجياً يطرأ التحول على هذه العلاقة بين مصر واليونان والتى ظلت منحصرة فى الناحية الاقتصادية ، إذ يظهر الفرس كقوة عسكرية تهدد مصر وتستولى عليها ثم تقوم بتهديد اليونان أيضاً مما يجعل التحالف السياسى والعسكرى بين مصر واليونان أمراً مقبولاً بهدف السيطرة على العدو الفارسى المشترك.

ويبدو أن هذه العلاقة القوية كانت السبب وراء فتح الاسكندر المقدونى لمصر إذ أن الأغريق أصبحوا على دراية تامة بمدى الثراء الذى تتمتع به مصر والمميزات التى تكتسبها القوة التى تسيطر عليها خاصة من الناحية الاقتصادية، مع مراعاة أن مصر كانت من أكبر المناطق المنتجة للحبوب فى العالم القديم وأن اليونان كانت تعتمد فى الجزء الأكبر من غذائها على القمح الذى تستورده من

---

(١) نقراطيس هى أقدم المدن اليونانية فى مصر الفرعونية ، أنشأت حوالى القرن السابع ق.م. بالقرب من العاصمة القديمة «سايس» على الفرع الكانوبى للنيل وكانت مركزاً تجارياً هاماً يمكن عن طريقه التحكم فى الصادرات والواردات من وإلى اليونان ، وتمتعت المدينة بكل مميزات «دولة المدينة» اليونانية ، واستفاد منها الإغريق الجدد الوافدين مع الاسكندر فى تعرفهم على ظروف البلاد السياسية والاقتصادية مما سهل مهمتهم فى حكم مصر ، وبدأت المدينة فى الإضمحلال منذ القرن الثانى. مكانها الآن قرية «كوم جعيف» مركز إيتاى البارود . الموسوعة المصرية . الأول ، الجزء الثانى «كوم جعيف».

الخارج وخاصة من سواحل آسيا وأنها قد تتعرض لمجاعة قاسية إذا منعت عنها هذه الحبوب، لذا كان منطقياً أن يحاول الاسكندر فرض سيطرته على مصر كنوع من تأمين مورد جديد وغنى للحبوب التى تسد حاجة اليونان.

وكما أن مصر كانت تمر بالعديد من الظروف التى مهدت لفتح اليونانيون لها فعلى الجانب الآخر كانت توجد مجموعة من المتغيرات بدأت مع أوائل القرن الرابع قبل الميلاد فى اليونان وخاصة فى الجزء الشمالى المعروف باسم مقدونيا هى التى ساهمت فى تشكيل الصورة النهائية وإنطلاق حملة الاسكندر على الشرق مؤذنة ببداية عصر جديد . ظهر فيليب كملك على مقدونيا فى ٣٥٦ ق.م. فى وقت كانت المدن اليونانية قد وصلت إلى درجة كبيرة من التدهور السياسى والعسكرى فاستعمل ذكائه السياسى وقوته العسكرية المتفوقة فى أحكام سيطرته على بلاد اليونان تدريجياً حتى استطاع فى موقعة « خايرونيا » الفاصلة فى ٣٣٨ ق.م. هزيمة جيش طيبة وأثينا مجتمعين وبهذا دانت له اليونان بأجمعها بالطاعة، وكان إخضاع اليونان هو الخطوة الأولى فى محاولة فيليب المقدونى لتكوين امبراطورية عالمية وقد استعد لهذه المغامرة بتنظيم جيش قوى وأخذ أهبته للحرب إلا أن المشروع توقف بسبب مقتله وبالتالى وقع عبء إتمام المهمة على ابنه الاسكندر الذى خلفه على عرش مقدونيا .

فى ربيع ٣٣٤ ق.م. ترك الاسكندر وراء انتيباتر ليحكم اليونان بدلاً عنه وعبر مضيق الهلليسبونت بجيش مؤلف من مايزيد على ثلاثين ألف من الفرسان وأسطول بحرى تكون من مائة وستين سفينة حربية. وبعد العديد من المعارك الفرعية استطاع الاسكندر فى ٣٣٣ ق.م. هزيمة الامبراطورية الفارسى «داريوس» فى موقعة «ايسوس» وعرض داريوس (دارا) أن يتنازل عن كل آسيا غرب الفرات بالإضافة إلى عشرة آلاف تالنت كغرامة حربية مقابل الصلح، لكن الاسكندر رفض وطلب التسليم بلا شرط. وبعد موقعة ايسوس أعلنت المدن الفينيقية الولاء

للاسكندر ماعدا مدينة صور التى لم يستطع الاسكندر إخضاعها إلا بعد أن حاصرها حصاراً قاسياً استمر حوالى سبعة أشهر . وفى العام التالى ٣٣٢ – ٣٣١ ق.م. تقدم الاسكندر بحملته إلى مصر حيث دخلها بلا مقاومة وبنى مدينة الاسكندرية وزار معبد الإله آمون فى سيوة [١]. ثم ترك مصر وواصل التحرك إلى قلب الامبراطورية الفارسية حيث تغلب على دارا فى « جوجاميلا » فى وادى دجلة وأعقب ذلك سقوط بابل الذى تلاه سلسلة من الانتصارات العسكرية للاسكندر وإن كان بعضها قد اتسم بصعوبة التحقيق كانتصاره فى إيران، وقد كشف موت الملك الهارب دارا عن غرض الاسكندر الذى كان حتى هذا الوقت لايزيد عن كونه ملكاً مقدونياً وقائداً عاماً للإغريق، أما الآن فقد برز كوريث للامبراطورية الفارسية بدلاً من دارا ، وقد شهدت السنوات الخمس التالية سلسلة من الحملات والانتصارات السريعة للاسكندر دون عائق يذكر فقد أخضع الولايات الشرقية واخترق ممر خيبر وفتح إقليم البنجاب وإجتاز وادى السند حتى مصبه وكاد يتمم حملته بالسير حتى نهاية الجانج إلا أنه اضطر للعودة بسبب الحالة السيئة التى وصل إليها جيشه بعد ما يقرب من عشر سنوات من الحملات العسكرية المتصلة فعاد إلى « سوسا » عاصمة الامبراطورية الفارسية القديمة فى ٣٢٤ ق.م. . وخصص بعض الوقت لتنظيم شئون امبراطوريته المترامية الأطراف، وفى نفس الوقت جمع فى بابل جيشاً ضخماً لغزو بلاد العرب إلا أن مشروعه توقف بسبب إصابته بالحمى التى أدت فى النهاية إلى وفاته فى الثالث عشر من يونيه ٣٢٣ ق.م. وله من العمر اثنان وثلاثون عاماً.

وقد فتحت غزوات الاسكندر عالماً جديداً أمام اليونان وبتوسيع مدى المعرفة أتت بنتائج هامة فى الفكر العلمي، ولكن أعظم هذه الأعمال كان نشر الهللينية فى العالم الشرقى. وتظهر عبقرية الاسكندر السياسية فى فكرته حول صهر الروح الهللينية والروح الشرقية فى عالم واحد أو ما عرف باسم الروح أو اا ـسر

(١) سنتحدث عن هذين الموضوعين تفصيلاً فى حينه .

الهللينستى[١] ويمتاز العصر الهللينستى من الناحية السياسية باضمحلال المدينة الدولة اليونانية بشكلها التقليدى ، فقد أخذ يسيطر على هذه المدن تدريجياً أغنى ساكنيها أو أفضلهم تعليماً وبالتالى فقدت القوة الشعبية الحاكمة سطوتها الفعلية، أما من حيث العلاقات الخارجية فإن المدن أما وقعت تحت سيطرة ملوك مختلفين أو حاولت إقامة حكومات إتحادية فاشلة. ويعوض التدهور الذى أصاب بلاد الإغريق ذاتها أن هذا العصر قد شهد إنتشار الثقافة الإغريقية حتى نهر السند نتيجة لفتوحات الاسكندر وإنشاء المدن الإغريقية فى آسيا ورسوخ قدم الحكومات الملكية[٢] .

وقد تأثرت نظم الحكم في الممالك الثلاث الرئيسية التى ظهرت فى أعقاب موت الاسكندر بظروفها التاريخية، ففى مقدونيا حيث كان الجيش يتمتع بقدر من السلطة لم يتح للملك أن يكون مطلق السلطة كأقرانه من ملوك آسيا. أما السلوقيون فأقاموا نظاماً لإدارة الولايات يستند على أساس الولايات الفارسية لكن عاصمتهم أنطاكية لم تصل إلى المستوى الرفيع الذى احتلته الاسكندرية. أما البطالمة فقد حكموا مصر حكماً مطلقاً على غرار الفراعنة، إلا أنهم منحوا مركزاً ممتازاً للمقدونيين فى مصر ولمدينة الاسكندرية التى بقيت بمعزل عن باقى مدن مصر باعتبارها مدينة يونانية ، حتى أنها عرفت فيما بعد ، باسم Alexandria ad Aeguptum أى « الاسكندرية التى تقع على حدود مصر » . كما انتعشت الحياة الاقتصادية فى شرق البحر المتوسط. نتيجة لتوحيد السيطرة عليها بواسطة الإغريق وفتح آفاق جديدة وتحسن الملاحة وسبل المواصلات فأصبحت المدن وافرة الثراء وازدادت كمية الذهب والفضة المتداولة فى أسواق التجارة، لكن هذا الوضع

---

(١) أصل الكلمة يأتى من اللغة اليونانية Helleneste وتعنى الأشخاص والشعوب غير اليونانية التى تتكلم وتتصرف طبقاً للروح اليونانية « الهللينية » .

(٢) عن هذا الموضوع بالتفصيل راجع كتاب « تارن » عن الحضارة الهللينستية.

W. W. Tarn, Hellenistic Civilisation, PP. 2 FF.

أتى بنتيجتين عكسيتين فى مكانين، فإن بلاد الإغريق وهى فقيرة بطبيعتها نضب معينها من الرجال نتيجة زيادة فرص التجارة أو الإنخراط فى سلك الجنود المرتزقة فى آسيا أمامهم ولذلك لم يعد بإمكانها أن تنافس البلاد التى تفوقها فى الخصب وفتحت أبوابها عندئذ للاستغلال، وموارد مصر على الرغم من وفرتها لسد حاجة اقتصادها الذى نحا نحو الإكتفاء الذاتى أنضبتها نفقات البطالمة وهم يحاولون بناء امبراطورية ايجية . ومع ذلك فإن هذا العصر بوجه عام عصر رخاء وفير فى كل أرجاء شرق البحر الأبيض المتوسط (١).

الاسكندر يدخل مصر :

ظلت مصر مستقلة عن الإمبراطورية الفارسية فترة طويلة من القرن الرابع قبل الميلاد فلم يستطع الفرس خلع آخر فرعون وطنى إلا قبل دخول الاسكندر لمصر بعشرة أعوام (٢). وبعد استيلاء الاسكندر على صور ثم غزة زحف على مصر حوالى أكتوبر٣٣٢ ق.م. حيث كان الوالى الفارسى «مازاكيس» لايملك تحت قيادته إلا عدداً قليلاً من جنود الفرس بالإضافة إلى الشعور الشعبى العام بالعداء تجاه الفرس، ذلك جعل مازاكيس يستسلم بهدوء ودون قتال للاسكندر فى « بيلوزيوم » التى دخل عن طريقها الاسكندر مصر وهى ماتعرف باسم «الفرما» وكانت تقع على الفرع البيلوزى للنيل على مسافة أربعة كيلومترات تقريباً من البحر وكانت أهم قلعة للدفاع عن الدلتا من الناحية الشرقية واشتهرت أيضاً بكونها محطة تجارية وجمركية.

ومن الغريب أن الاسكندر عندما دخل مصر لم يجد أبوابها مفتوحة أمامه فحسب بل رحب به أهالى البلاد أنفسهم من المصريين كما قال بذلك بعض

---

(١) وليم لانجر ، موسوعة تاريخ العالم ، الجزء الأول ، ص ١٩٤ ، ومابعدها . دى بورج . تراث العالم القديم ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ ومابعدها.

(2) H. I. Bell, Egypt, From Alexander the Great to The Arab Conquest, PP. 28 - 30.

قدامى المؤرخين [1]، وحتى إن لم يكن هذا صحيحاً تماماً إلا أنه نتيجة قد تكون متوافقة منطقياً مع المقدمة التى تحدثنا عنها سابقاً حول علاقة مصر باليونان قبل ظهور الاسكندر المقدونى ، ومن بيلوزيون اتجه الاسكندر إلى العاصمة منف حيث نهج نهجاً يختلف عن الفرس فقدم ولاءه للآلهة الوطنية وهى إحدى علامات الذكاء السياسى الذى تميز به الاسكندر بالإضافة إلى عبقريته العسكرية وإن كان من المرجح أن تكوينه النفسى وإعتقاداته الدينية لها دخل فى هذا خاصة فى زيارته لمعبد الإله آمون فى سيوه كما يأتى تفصيلها فيما بعد. وقبله المصريون ملكاً حيث توج فى منف فى إحتفال ضخم ، ومن منف اتخذ الاسكندر طريقه نحو «كانوب» حيث شيد فوق شريط من الأرض بين بحيرة مريوط والبحر مدينة الاسكندرية. ومنها مضى إلى واحة سيوة لزيارة معبد الإله آمون الذى شبهه الإغريق بإلههم زيوس وإذا كنا ندرك مدى صعوبة الوصول إلى هذه المنطقة ونحن فى أواخر القرن العشرين لادركنا مدى أهمية هذه الزيارة بالنسبة للاسكندر، وتركت هذه الزيارة فى نفس الاسكندر أثراً كبيراً فاعتقد أنه ابن للإله زيوس كما اعتقد أن حملته العسكرية ليست سوى رسالة إلهية [2].

بعد عودة الاسكندر من سيوة إلى ممفيس (منف) ثانية أمضى بعض الوقت فى تنظيم الإدارة الجديدة لمصر والتى كانت سماتها الأساسية هى تقسيم مصر إلى إقليميها الطبيعيين : الشمالى والجنوبى وعين حاكماً إدارياً مصرياً على كل

---

(1) Arrian, 119; 1.3 ; Diodorus, XVII, 49.

(٢) عن أسباب هذه الزيارة ومجرياتها ونتائجها بالتفصيل راجع سليم حسن. مصر القديمة « الجزء الرابع عشر » ص ١٥ ومابعدها.

W. W. Tarn. Alexander the Great, PP. 24 - 44.

وعن أهمية الإله آمون الليبى وإنتشاره فى العالم الإغريقى وإهتمام المؤرخين به وإهداء الشاعر بنداروس إحدى أناشيده له راجع :

Herod. , 1 . 46 ; Plut., Kim, 18 ., 18. ; Diod. XVI , 13 . 5 ; Pind Pausanias, IX. 16.1

من القسمين كنوع من استرضاء الشعور العام للمصريين، وحينما تنحى أحدهما تولى الآخر مهمة الإشراف على الإقليمين معاً كما عين أحد اليونانيين من نقراطيس ، ويدعى كليومينيس مشرفاً على الخزانة العامة والذى أصبح هو تدريجياً الحاكم الفعلى لمصر بالإضافة إلى إشرافه على بناء الاسكندرية وتوليه مهمة إمداد حملة الاسكندر على الشرق بكل مستلزماتها من خلال موقعه كمتصرف فى الخزانة العامة فى مصر ، ورغم هذا فعندما وصل بطلميوس الأول إلى مصر واستولى على الخزانة وجد بها مايقرب من ثمانية آلاف تالنت وهو مبلغ ضخم جداً بالقياس إلى الظروف الاقتصادية فى العالم القديم مما يدلل على مدى مهارة كليومينيس الإدارية والاقتصادية معاً .

هذا الوصف للإدارة يبدو خالياً تماماً من منصب حاكم عام على الإقليم بأكمله ولعل هذا يرجع إلى خوف الاسكندر من محاولة أى حاكم عام قد يعينه على مصر الاستقلال بها بسبب الإغراءات الاقتصادية التى تحملها، ولذلك قسم السلطة بين القواد العسكريين والموظفين الإداريين ، ورغم ذلك تبرز شخصية كليومينيس التى أخطأها البعض وتعاملوا معه باعتباره حاكماً عاماً على مصر إلا أن ذلك يعود إلى تعدد مهامه ومسئولياته وطموحاته الشخصية.

الموقف بعد وفاة الاسكندر :

كانت وفاة الاسكندر فى بابل فى ٣٢٣ ق.م. مفاجأة للجميع ونشأ عن وفاته موقفٌ معقد، فقد كانت الامبراطورية لاتزال فى طور التكوين الإدارى بمعنى أنها لم تعرف نظاماً محدداً تسير عليه لأن الاسكندر كان دائماً مشغولاً بحملاته العسكرية لذا لم يتح له الوقت لاستنباط نظام دائم تسير عليه امبراطوريته وبالتالى كانت كل تنظيماته الإدارية وقتية تتسم بطابع ظروف الحرب. وبالإضافة إلى هذا فلم ينظم الاسكندر طريقة وراثة العرش من بعده خاصة أنه مات ولم يترك وريثاً شرعياً له من صلبه.

وهكذا فمن الممكن القول بأن السلطة الفعلية فى الامبراطورية قد انتقلت بطريقة عملية إلى كبار قواد الاسكندر وكان أهمهم وأرفعهم منزلة «برديكاس» وعقب وفاة الاسكندر دعا كبار القادة إلى اجتماع للإتفاق على تقرير مصير الإمبراطورية وفى هذا الاجتماع بدأت تتكون تكتلات حسب أهواء القواد وانحصرت المسألة أول الأمر فى هذا السؤال : هل يمكن الاحتفاظ بوحدة الامبراطورية ؟ ومن الذى يتولى السلطة العليا فيها ؟ ثم تطورت فيما بعد عندما قضى على فكرة الوحدة إلى صراع بين حلفاء الاسكندر للظفر بالسيطرة السياسية والاقتصادية [١].

وبطبيعة الحال عين برديكاس وصياً على العرش ، وإلى جانب الوصاية على العرش بقى منصبه السابق وهو القائد الأول لجيوش الإمبراطورية، وهكذا أصبح برديكاس فى واقع الأمر هو الممثل الأول للسلطة المركزية. أما سائر القواد فقد منح كل منهم إقليماً من أقاليم الإمبراطورية ولقب « ساتراب » أى « والى » وسميت هذه الأقاليم « ساترابية » أى ولايات ونتج عن ذلك قيام ثلاث دول جديدة ففى أوروبا قامت مقدونيا تحت سيطرة « أنتيجونس » . وفى آسيا قامت الدولة السليوقية بزعامة ، « سليوقوس » وفى أفريقيا قامت الدولة البطلمية بزعامة « بطلميوس » .

ومنذ اللحظة الأولى لتولى بطلميوس ابن لاجوس حكم مصر (والذى عرف فيما بعد باسم بطلميوس الأول) أخذ يعمل بصفة مستقلة منفصلة كمؤسس لدولة جديدة مستقلة منفصلة عن سائر الإمبراطورية ، وقدر لهذه الدولة أن تبقى نحو ثلاثة قرون وهى من أطول الدول التى تخلفت عن إمبراطورية الاسكندرية بقاءاً [٢].

---

(١) عرف هذا الصراع باسم « حروب الخلفاء » وبدأت ٣٢١ ق.م. واستمرت أربعون عاماً.
راجع :
ابراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عصر البطالمة، جـ ١ ، صفحة ٣٥ ومابعدها.

(٢) راجع : لطفى عبد الوهاب يحيى ، دراسات في العصر الهلنستى، ص ٩٤.

ثانياً : دولة البطالمة فى مصر :

كان بطلميوس بن لاجوس أول والى يونانى يتولى حكم مصر بشكل رسمى ابتداء من ٣٢٣ ق.م. عقب مؤتمر بابل الذى عقد لتقسيم امبراطورية الاسكندر ، وفى عام ٣٠٥ ق.م. اتخذ بطلميوس لقب ملك ليصبح بذلك بطلميوس الأول (سوتير) مؤسس الدولة البطلمية من بعده ، كانت شخصيته عملية تماماً إذ حرص كل الحرص على التمسك بولايته فى مصر وتجنب السعى وراء أطماع بعيدة مثل تولى السلطة العليا فى الامبراطورية ، ولذلك عمل على تأمين حدود مصر سواء من الشرق أو الغرب أو الشمال، وتتلخص سياسته الداخلية التى اتبعها فى مصر فى أربعة نقاط أساسية هى :

– نظام الحكم هو الملكية المطلقة التى ألفها المقدونيون والمصريون أيضاً بل وأدخل عليها عنصر دينى.

– اعتماد الدولة الجديدة فى كافة جوانبها الحساسة كالجيش والاقتصاد والإدارة على العنصر الإغريقى.

– الإبقاء على المدن اليونانية الموجودة فى مصر وهى نقراطيس والاسكندرية مع عدم التوسع فى إنشاء مدن جديدة لأن وجودها مع ماتتمتع به من قدر كبير من الحرية يتعارض مع نظام الحكم الملكى المطلق باستثناء إنشاءه لمدينة جديدة تحمل اسمه وهى بطلمية .

– إله رسمى جديد للدولة يجمع بين الصفات الإغريقية والمصرية حتى يكون أحد عوامل ربط وتوحيد الجنسين من الناحية الدينية وكان هو الإله «سيرابيس» .

أما السياسة الخارجية التى اتبعها بطلميوس الأول ومن بعده ابنه وحفيده فتتلخص فى المحافظة على استقلال مصر السياسى والاقتصادى وذلك بدعم

حدودها وبناء امبراطورية بحرية تكفل لمصر السيطرة على الطرق البحرية المؤدية إليها وكذلك على منافذ طريق التجارة الشرقية وبذلك تؤمن مصر نفسها من ناحية البحر ، وتوزع الفائض من منتجاتها وتحصل على الموارد التى تفتقر إليها وعلى نصيب كبير من التجارة الشرقية الهامة. وقد اعتمد بطلميوس الأول على الأجانب وخاصة المرتزقة من اليونانيين المهاجرين إلى مصر فى ظل الحكم الجديد فى تكوين قوا ته البرية والبحرية ، وفى تنفيذ مشروعات الإصلاح الداخلية، وكذلك منحهم العديد من الإمتيازات التى كفلت لهم حياة مستقرة ومتميزة فى مصر . كما عمل على تحويل الاسكندرية إلى عاصمة جديدة للحضارة الإغريقية بدلاً من أثينا فبدأ فى إنشاء جامعة الاسكندرية ومكتبتها وحرص على دعوة الكثيرين من علماء الإغريق وأدبائهم وفلاسفتهم وفنانيهم. وإجمالاً فقد شاد بطلميوس الأول دولة جديدة وكبيرة لكنه أورث خلفاءه «المشكلة السورية» أو ماعرف باسم الحروب السورية التى كان لها أثر خطير على الدولة البطلمية والسليوقية على حد سواء [1].

أما بطلميوس الثانى وهو ابن لبطلميوس الأول أشركه أباه معه فى الحكم فى السنة الأخيرة من حكمه ثم استقل بالعرش فى ٢٨٤ ق.م. فقد كان أميل

(١) الحروب السورية (ستة حروب) هى سلسلة من الحروب نشبت بين دولة البطالمة فى مصر والدولة السليوقية فى آسيا (سوريا) نتيجة للتعارض فى سياستهما الخارجية ومحاولة الطرفين السيطرة على جنوب سوريا . وقد نشبت الحرب السورية الأولى بين بطلميوس الثانى وأنتيوخوس الأول، والحرب السورية الثانية بين بطلميوس الثانى وأنتيوخوس الثانى، والحروب السورية الثالثة بين بطلميوس الثالث وأنتيوخوس الثالث، والحرب السورية الرابعة بين بطلميوس الرابع وأنتيوخوس الثالث والحرب السورية الخامسة بين بطلميوس الخامس وأنتيوخوس الثالث والحرب السورية السادسة بين بطلميوس السادس وأنتيوخوس الرابع، كان ميدان القتال فى الحروب الخمسة الأولى أما فى داخل سوريا أو بممتلكاتها أو بممتلكات مصر ، إلا أن الحرب السادسة دارت فى داخل مصر نفسها حيث غزاها أنتيوخوس الرابع وحاصر الاسكندرية إلا أن روما أجبرته على الإنسحاب إلى سوريا . وقد أسهمت هذه الحروب فى إضعاف دولتى البطالمة والسلوقيين وفى نفس الوقت زادت من نفوذ روما فى شرق البحر المتوسط.

إلى حياة البذخ والترف إلى جانب ثقافته الواسعة وتشجيعه للعلم والعلماء وتعتبر فترة حكمه إلى حد كبير هى الفترة التى أعطت للاسكندرية صورتها القديمة كعاصمة للفنون والآداب والعلوم فى العالم القديم، وقد شاركت بطلميوس الثانى في الحكم أخته الشقيقة وزوجته فى نفس الوقت (أرسينوى الثانية).

وقد ركز بطلميوس الثانى على النشاط الخارجى نظراً لأن الوضع الداخلى كان قد استقر في عهده وعهد أبيه على ماهو عليه. وتركز نشاطه فى ثلاث مناطق رئيسية هى :

– الشرق وتمثله سوريا فقد تفجرت الحروب السورية الأولى والثانية للاستيلاء على جنوب سوريا وهو الصراع الذى بدأ فى عهد بطلميوس الأول ، بالإضافة إلى مهاجمة بطلميوس الثانى المستمرة لسواحل آسيا الصغرى وإستيلائه على أجزاء منها وضمها إلى الدولة البطلمية رغم تبعيتها للملك السليوقى أنتيوخوس.

– الشمال فى حوض بحر أيجه إذ استعمل بطلميوس الثانى أسطوله القوى فى إخضاع بعض الجزر مثل جزر الكيكلاديس وساموس وبعض المدن على ساحل آسيا الصغرى والتى دانت بالولاء له ومثلت بالنسبة له نقاط ارتكاز استطاع عن طريقها التدخل المستمر فى شئون العالم اليونانى طبقاً لمصالحه.

– الغرب ويمثله إقليم برقة الذى ظهرت فيه دعوة إلى الإستقلال عن مصر لم أجهضت هذه الدعوة نتيجة الظروف السياسية الدولية فى حوض البحر المتوسط كظهور قرطاجة وتحالفها مع روما ضد المدن اليونانية ومن بينها برقة، مما أضطرها للعودة إلى مصر لتصبح الحد الغربى لها .

هذا النشاط العسكرى المتنوع لبطلميوس الثانى قد يوحى بأنه كان قائداً عسكرياً من الطراز الأول، إلا أنه كان على العكس إذ لم يشترك فى أغلب الحروب وأقام فى مصر معظم فترة حكمه واهتم بتنظيمها من الناحية الإدارية

والاقتصادية. وفى السنة الأخيرة من حكمه اشترك معه ابنه بطلميوس الثالث الذى استقل بالعرش بعد موت أبيه.

وحين تولى بطلميوس الثالث حكم مصر فى ٢٤٦ ق.م. كان ملكاً على مصر وبرقة معاً ، وكان على عكس أبيه أميل إلى البساطة والحياة العملية لذا فسرعان ماينتهز فرصة وفاة الملك السليوقى أنتيوخوس الثانى ويزحف بجيشه على سوريا ليبدأ الحرب السورية الثالثة وفعلاً ينجح فى إحتلال سوريا إلا أنه يضطر للعودة إلى مصر للقضاء على إحدى الثورات الناجمة عن سوء أحوال المصريين الاقتصادية تاركاً بعض المناطق التى أحتلها إلا أنه يحتفظ بجنوب سوريا.

أما سياسته الخارجية فقد قامت على استثمار انتصاره العسكرى هذا فى المجالات الدبلوماسية ولم يخرج للحرب ثانية، فعمل على إشعال الحروب الأهلية داخل الدولة السليوقية العدو التقليدى للبطالمة وبذلك شغلها بخلافاتها الداخلية عن مهاجمة مصر . وفى اليونان ساند المدن اليونانية ضد السيطرة المقدونية، مما جعل الدولة المقدونية توجه إهتمامها لهذه المناطق وبالتالى شغلها عن مهاجمة مصر. وبهذا استطاع بطلميوس الثالث حماية مصر من التدخل السليوقى أو المقدونى دون مجهود عسكرى يذكر . أما سياسته الداخلية فقد قامت على إستمالة المصريين خاصة بعد تدهور أحوالهم الاقتصادية عن طريق التخفيف من الضرائب بل والتنازل عنها أحياناً وتشجيع العلم والعلماء وإنشاء معابد للآلهة أهمها كان معبد « السرابيوم » بالاسكندرية حيث أنشأه أو على الأقل أعاد ترميمه وأضاف إليه الكثير .

أما بطلميوس الرابع فقد عاصر منذ توليه الحكم فى ٢٢١ ق.م. أهم أحداث التاريخ القديم وهى الحرب بين روما وقرطاجة والتى سميت بالحروب البونية [١] . كما عاصر الحرب السورية الرابعة التى شنها الملك السليوقى

---

(١) الحرب البونية نسبة إلى لفظ «بونى» الذى أطلقه الرومان على القرطاجيون والذين أنشأوا مستعمرة تجارية على الساحل الجنوبى للبحر المتوسط (مكان تونس حاليا) وسميت أيضاً بالحروب القرطاجية ودارت على ثلاثة مراحل انتهت بهزيمة قرطاجة وتدميرها تماماً.

أنتيوخوس الثالث محاولاً استعادة جنوب سوريا منتهزاً فرصة الضعف الذى ساد مصر إبان حكم بطلميوس الرابع لكن الملك البطلمى ينتصر فى موقعة « رفح » الشهيرة ١١٧ ق.م.[1]. أما عن سياسة بطلميوس الرابع الخارجية فقد اتخذ موقف المحايد من كل الأحداث الدولية المحيطة به ولم يغامر بالحرب مرة أخرى بعد إنتصاره فى رفح.

أما عن سياسته الداخلية فقد تميزت بمحاولته الدائبة إرضاء المصريين تجنباً لثوراتهم المستمرة ضد حكم البطالمة، ويعتبر عهده هو بداية النهاية للدولة البطلمية إذ تعرف الفترة التالية له باسم عصر الضعف.

عصر الضعف :

يبدأ عصر الضعف فى مصر البطلمية بتولى بطلميوس الخامس الحكم، وحدث نتيجة لصغر سن الملك الجديد صراع على العرش، وبالتالى ونتيجة للانقسامات الداخلية فى الدولة البطلمية فقد فقدت مصر ممتلكاتها فى جنوب سوريا إذ استغل الملك السليوقى انتيوخوس الثالث فرصة انشغال ملوك البطالمة فى صراعاتهم الداخلية لشن حرب ناجحة ضد مصر لاستعادة جنوب سوريا وهو ماعرف بالحرب السورية الخامسة سنة ٢٠٠ ق.م.

وفى هذا الوقت ظهرت روما كقوة جديدة فى البحر المتوسط خاصة بعد قضائها على قرطاجة فى موقعة زاما ٢٠٢ ق.م. وبدأت فى توطيد علاقاتها بمصر وغيرها من دول البحر المتوسط. وخلال سنوات قلائل نجد أن مصر فقدت

---

(١) اعتمد البطالمة الثلاثة الأوائل إلى أقصى حد فى تكوين جيوشهم على الجنود المقدونيين والإغريق وعندما هدد الملك السليوقى أنتيوخوس الثالث دولة البطالمة وعجز بطلميوس الرابع عن تجنيد العدد الكافى من الإغريق والمقدونيين اضطر لتجنيد ٢٠٠٠٠ مصرى ودربهم على فنون القتال وكون منهم قلب جيشه الذى لاقى به أنتيوخوس وأذهلت هذه القوة الجديدة العالم القديم عندما اكتسحوا خصومهم المقدونيين والإغريق من جنود أنتيوخوس المحنكين . وقد أعاد هذا الانتصار الثقة إلى المصريين فمنذ عودتهم من رفح وثوراتهم ضد البطالمة لم تنقطع.

إمبراطوريتها فلم يبق لها سوى إقليم برقة إذ أن ملك مقدونيا قد استولى على ممتلكات مصر فى بحر أيجة واستولت سوريا على الباقى فى آسيا الصغرى وقبرص بينما كانت الدولة الأثيوبية تساعد الثوار فى جنوب مصر باستمرار .

وفى أعقاب وفاة بطلميوس الخامس بدأت فترة المنازعات الأسرية فى الدولة البطلمية على العرش وإزدادت مصر ضعفاً حتى أن الملك السليوقى أنتيوخوس الرابع استطاع غزو مصر ومحاصرة الاسكندرية ، وكان معنى أن يستولى الملك السليوقى على مصر أن تتكون دولة جديدة قوية فى هذه المنطقة تشمل سوريا ومصر مما كان يعد تهديداً لمصالح القوى الكبرى الموجودة في البحر المتوسط وأهمها روما .

فأجبرت روما الملك السليوقى على الإنسحاب من مصر بل وأعادت لها ممتلكاتها فى قبرص. وإذا أضفنا إلى هذا الموقف الدولى الضعيف لمصر معاناة ملوك البطالمة المستمرة من الثورات ضدهم فى داخل مصر لوجدنا أنه من الطبيعى أن يتجه ملوك البطالمة فى هذا الوقت إلى روما لحمايتهم ومساعدتهم فى الحفاظ على عرشهم فى الاسكندرية، وهكذا كانت بداية تبعية مصر البطلمية لروما . وبدأ التدخل الرومانى يظهر بوضوح فى تعيين الملوك البطالمة أو عزلهم عن العرش وأبرز مثل على ذلك هو تدخل روما الصريح بالقوة العسكرية لإعادة بطلميوس الثانى عشر وهو أحد حلفائها للعرش فى الاسكندرية رغم الثورة الشعبية ضده ، واستمر هذا الوضع حتى ظهور كليوباترا كملكة على مصر خلفاً لأبيها بطلميوس الثانى عشر.

بتولى كليوباترا السابعة عرش مصر نشبت الحرب الأهلية فاضطرت كليوباترا للهرب من الاسكندرية طمعاً فى الحصول على مساعدة من روما لإعادتها للعرش، وفى نفس الوقت حدثت موقعة فارسالوس التى هزم فيها بومبيوس أحد قادة الجمهورية الرومانية على يد يوليوس قيصر وهرب إلى مصر إلا

أنه قتل عند نزوله للشاطئ وتبعه يوليوس قيصر إلى مصر، وانتهز فرصة وجوده فى مصر كممثل لروما فى إنهاء الحرب الأهلية وأعلن كليوباترا ملكة على مصر بعد معركة ضد السكندريين احترقت فيها أجزاء كبيرة من الاسكندرية وربما كانت المكتبة بين الأماكن المحترقة.

وبظهور ماركوس أنطونيوس أحد القادة الرومان خلفاً ليوليوس قيصر فى شرق البحر المتوسط كمشرف على أملاك روما بدأت كليوباترا فى توطيد علاقتها به كحليف جديد لها ، إلا أن ذلك أثار الشعور العام ضدها وضد ماركوس أنطونيوس فى روما خوفاً من محاولة أنطونيوس إستقلاله بالجزء الشرقى من الإمبراطورية الرومانية وإعلان نفسه ملكاً عليها بمساعدة كليوباترا ونتج عن ذلك أن سيرت روما جيشاً بقيادة أحد أعظم الشخصيات فى التاريخ الرومانى وهو أوكتافيوس الذى سيعرف فيما بعد باسم أوغسطس وكان اللقاء الحاسم فى موقعة أكتيوم ٣١ ق.م. حيث هزمت جيوش أنطونيوس وكليوباترا ودخل أوكتافيوس الاسكندرية وأعلن ضم مصر رسمياً إلى الإمبراطورية لتصبح إحدى ولاياتها وبهذا ينتهى عهد البطالمة فى مصر لتبدأ فترة تاريخية جديدة هى مصر الرومانية.

ثالثاً : ظروف الحياة فى مصر تحت حكم البطالمة :

الظروف السياسية :

كان انتصار المصريون فى موقعة رفح ٢١٧ ق.م. على ا لعدو التقليدى السليوقى حداً فاصلاً بين العهد الذى بلغت فيه دولة البطالمة أقصى إتساعها وقمة مجدها، والعهد الذى أخذت فيه عوامل الضعف والتحلل تسرى فى كيانها والتى انتهت بسقوطها، بعد فقدانها لأملاكها فى الخارج وتزعزع سلطانها فى الداخل نتيجة للثورات المستمرة.

وإلى حد ما توجد ثلاث عوامل ساهمت فى النهاية التى وصلت إليها دولة البطالمة فى مصر وهى : الخلافات والمنازعات الأسرية حول العرش التى شغلت

ملوك البطالمة عن أى شئ آخر مما دفع بالطامعين لغزو مصر بل ومحاصرتهم للاسكندرية كما حدث فى حالة الملك السليوقى أنتيوخوس والحرب السورية السادسة التى فصلناها سابقاً . أما العامل الثانى فكان الثورات المستمرة التى قام بها المصريون فى وجه حكامهم من الأجانب اليونانيين فقد اعتاد البطالمة التمييز فى المعاملة من جميع النواحى بين المصريين والإغريق فاغدقوا على الإغريق المناصب العليا والوظائف الهامة والأراضى الخصبة وغيرها من الإمتيازات وعلى الجانب الآخر عومل المصريين أسوأ معاملة من حيث أثقالهم بالضرائب وإستبعادهم من المناصب الهامة والخدمة فى الجيش مما عبأ الشعور العام ضد هذه الأحوال غير العادلة وبدأ هذا الشعور يأخذ شكلاً عملياً سلبياً فى بداية الأمر كالإضراب عن العمل والإلتجاء إلى المعابد طلباً للحماية ثم ازدادت الإضطرابات عنفاً فشهد عصر بطلميوس الثالث أول ثورة شعبية، وبعد معركة رفح وانتصار المصريون فيها وإحساسهم بإمكانية تكوين قوة عسكرية مؤثرة منهم إزدادت الثورات عنفاً وأخذت شكلاً منظماً وبدأت الثورة فى الدلتا ٢٢١ ق.م. وحتى عام ٢٠٦ ق.م. وكانت قد امتدت إلى مصر الوسطى والعليا واستمرت حتى ١٨٤ / ١٨٣ق.م. وأعلنت طيبة إستقلالها وأقيم فيها حكم وطنى استمر ثمانية عشر عاماً ، ثم تجددت الثورة فى طيبة مرة أخرى فى ٨٨/٨٩ق.م. وبلغ من عنفها أن حاول بطلميوس العاشر تدمير المدينة بأكملها حتى يستطيع القضاء على الثورة . أما ثالث العوامل التى ساعدت فى إنهاء وجود دولة البطالمة فكان إزدياد قوة روما ومحاولتها تكوين إمبراطورية عالمية على حساب دول حوض البحر المتوسط بقسميه الشرقى والغربى كاليونان وقرطاجة ومصر التى استولت عليها ٣٠ ق.م.

الظروف الاقتصادية :

١ - **الزراعة :** ظلت الزراعة فى مصر البطلمية كما فى مصر الفرعونية قبلاً تحتل المكانة الأولى فى التركيبة الاقتصادية للمجتمع المصرى بوصفها الحرفة

الأولى والأساسية لأغلب المصريين وظل حفر القنوات وبناء السدود وصيانتها من أهم واجبات الحاكم والتى استعمل فى إنجازها أسلوب السخرة للمصريين ولم يكن يعفى من هذه السخرة إلا من يدفع ضريبة خاصة وكانت أهم المحاصيل هى الغلال كالقمح والشعير وتليه زراعة البساتين كالكروم والزيتون التى برع فيها الإغريق، وأدخلت إلى مصر فى هذا العصر زراعات لم تعرفها من قبل كما عمل البطالمة فى محاولة منهم لزيادة الإنتاج الزراعى وبالتالى زيادة مواردهم المالية على زيادة الرقعة الزراعية باستصلاح مساحات واسعة من الأراضى فى الفيوم وغيرها من المناطق (١).

كذلك اهتم البطالمة بتربية الحيوانات وقد ساعدهم على ذلك وفرة المراعى فى البلاد . وأدى هذا الإهتمام من قبل البطالمة إلى النهوض بالزراعة وزيادة الإنتاج الزراعى، لكن إرهاق الفلاحين بالضرائب الباهظة تبعه إضمحلال هذا الإنتاج لأن الفلاحين أهملوا أعمالهم وهجروا مزارعهم بل وعملوا أحياناً على تخريب هذه المزارع فى محاولة للهرب من الضرائب.

٢ - **الصناعة** : اعتمدت الصناعة على مواد أولية وجدت فى البيئة المحلية مثل صناعة الزيوت ونسيج الصوف والكتان والجلود والخمور والزجاج كما وجدت أيضاً ولكن بدرجة أقل صناعات تعتمد على المواد الأولية المستوردة كنسج الحرير المستورد من الشرق الأقصى عن طريق البحر الأحمر وأعمال النجارة المستخدم فيها الأخشاب المستوردة من سوريا ، كذلك استوردت معظم المعادن من خارج البلاد ، بالإضافة إلى هذا انتعشت صناعات الذهب والفضة والبرونز فى الاسكندرية ورغم أن الملك البطلمى قد احتكر بعض الصناعات إلا أن المصانع الحرة انتشرت بكثرة كما انتشرت مصانع أخرى تابعة للمعابد أو كبار الملاك.

(1) Pierre Jouguet. L'Egypte Ptolemaique, PP. 98 - 99.

لم تعتمد الصناعة فى مصر كما فى اليونان على العبيد بشكل أساسى وذلك بسبب الكثافة السكانية فى مصر . وإجمالاً فقد ازدهرت الصناعة فى فترة حكم البطالمة الأوائل إلا أنه ببداية عهد بطلميوس الثالث بدأت فى التدهور لأنها اعتمدت أساساً على المنتجات الزراعية ولذا كان طبيعياً فى ظل تدهور الإنتاج الزراعى أن تتدهور الصناعة بالتالى [1].

٣ - **التجارة** : أزدهرت التجارة فى عهد ملوك البطالمة الأول بسبب إزدهار الزراعة والصناعة وإتساع الإمبراطورية المصرية فى ذلك الوقت وبالتالى أصبحت لمصر علاقات تجارية قوية مع البلاد الخاضعة لسيطرة البطالمة ومع غيرها أيضاً سواء فى الجزء الشرقى من البحر المتوسط أو الجزء الغربى بالإضافة إلى أفريقيا والهند . وفى مقدمة السلع التى تصدرها مصر تأتى الغلال دائماً فقد كانت مصر أكبر مركز لإنتاج الحبوب كما سبق القول فى شرق البحر المتوسط بالإضافة إلى إحتكارها لصناعة البردى ، كما اشتهرت مصر أيضاً بالمنسوجات الكتانية الرقيقة. وفى المقابل استوردت مصر الأخشاب والمعادن والنبيذ وزيت الزيتون والبهارات والعطور والأصباغ والقطن وغيرها من السلع التى لا تتوفر فى أرضها غير أن ما أصاب الزراعة والصناعة من تدهور فى عهد البطالمة الضعاف وما أصاب ممتلكاتهم من تقلص أدى بالتالى إلى إنكماش حجم تجارة مصر الخارجية.

٤ - **النقود** : وتألفت فى مصر البطلمية من نقود برونزية وفضية وذهبية وكانت النقود الفضية أكثر استعمالاً خاصة فى عصر البطالمة الثلاثة الأوائل، أما العملة الذهبية فكانت قليلة الاستعمال فى الأسواق الداخلية، وكانت العملة البرونزية تستخدم فى بادئ الأمر بوصفها جزء من العملة الفضية وتدريجياً انتشر استعمالها فى المعاملات الرسمية وغير الرسمية. وفى البداية لم يوجد ما يمنع استعمال عملات أجنبية فى المعاملات الداخلية غير أن بطلميوس الثانى فى

---

(1) Ibid., P. 100.

محاولة منه لتقوية مركز العملة البطلمية لجأ لفرض استعمالها وحدها فى الصفقات التى تتم فى داخل البلاد . وقد أدت كثرة النقود وشيوع تداولها إلى إنشاء مصارف خاصة بها مثل المصارف الخاصة التى يقتصر تعاملها على أموال الأفراد فقط [١].

٥ - **الضرائب** : فرض البطالمة على المصريين الكثير من الضرائب برغم الإيرادات الضخمة التى جنوها من الزراعة والصناعة والتجارة ، وعانى المصريون من هذه الضرائب الكثير خاصة وأن العديد من العناصر السكانية التى استوطنت مصر وبشكل محدد « الإغريق » لم يخضعوا لكل هذه الضرائب مما أوجد شعوراً بالإضطهاد لدى المصريين تبلور فيما بعد فى شكل ثورات مستمرة وصلت لحد العصيان والتمرد العسكرى شبه المنظم وأهم الضرائب التى فرضها البطالمة كانت ضريبة حيازة المبانى، وضريبة نقل ملكية الأموال الثابتة من منازل وأراضى وبعض الأموال المنقولة ، وضريبة التركات، وإختلف الباحثون حول ضريبة الرأس وهل كانت مفروضة فى العصر البطلمى أم أنها فرضت فى العصر الرمانى فقط [٢]. وهناك مايشير إلى أن هذه الضريبة اقتصرت على المصريين فقط. وتعتبر من قبل الضريبة أيضاً حملات التسخير التى كان يسخر فيها الناس فى أعمال الحصاد وبناء الجسور وشق الترع وغيرها . ويتميز نظام الضرائب فى العصر البطلمى بعدم المساواة بين الأفراد فى خضوعهم لها. وكانت طريقة جباية الضرائب تختلف بإختلاف نوع الضريبة فالضرائب العينية كانت الدولة تتولى جبايتها مباشرة بواسطة موظفيها، أما الضرائب النقدية فقد لجأ البطالمة فيها إلى نظام الإلتزام وهو

---

(١) ابراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثالث ، ص ٩٨ ومابعدها.

(٢) يذهب معظم الباحثون إلى أن البطالمة كانوا يجبون ضريبة الرأس عن هذا الرأى راجع :

ابراهيم نصحى : المرجع السابق ، الجزء الثالث ، ص ٢٤٦ ومابعدها .

محمود سلام زناتى : تاريخ القانون المصرى ، ص ٢٣٥ وعن الرأى المضاد . راجع :

لطفى عبد الوهاب يحيى : مجتمع الاسكندرية فى العصر الرومانى ، مجتمع الاسكندرية عبر العصور، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٤ ، ص ٥٩.

النظام الذى وإن كان قد حقق فائدة الدولة فى حصولها على الضريبة التى فرضتها كاملة إلا أنه من الناحية الأخرى أرهق دافعى الضرائب إلى أقصى حد بسبب محاولة كل ملتزم أن يخرج لنفسه بأكبر كسب ممكن بعد إيفاء الدولة حقها الرسمى المطلوب.

الظروف الدينية :

أهم مايميز الحياة الدينية فى مصر فى العصر البطلمى هو تعدد المعتقدات الدينية فقد وجدت فى مصر بالإضافة إلى سكانها الأصليين الذين شكلوا الغالبية العظمى بطبيعة الحال جاليات من جنسيات أخرى، فبالإضافة إلى الإغريق وجدت جاليات من الفرس والعرب واليهود وغيرهم.

واحتفظ المصريون بمعتقداتهم الدينية ا لمتوارثة وظلوا يعبدون آلهتهم القديمة، وفى مقدمتها آمون ورع وبتاح وإيزيس وأوزوريس ، وقد عمل البطالمة فى محاولة منهم لإحتواء المصريين واسترضائهم على التقرب من آلهتهم وبناء المعابد لها وتقديم القرابين ، إلا أنهم فى نفس الوقت قد سعوا إلى الحد من سلطات كهنة هذه الآلهة، وقد كانت سلطاتهم واسعة جداً مما يشكل خطراً على الوجود البطلمى ذاته فى مصر إذا استنفر هؤلاء الكهنة مواطنيهم المصريون فى ثورة شعبية، وقد تم هذا الإجراء أى الحد من سلطان الكهنة عن طريق انتزاع إدارة أموال المعابد من أيديهم وتفتيت الهيكل الإدارى للنظام الكهنوتى نفسه وقد احتفظ الإغريق الذين سكنوا مصر بمعتقداتهم الدينية وظلوا يعبدون آلهتهم الخاصة التى نقلوها معهم من موطنهم الأصلى وأقاموا لها المعابد فى المدن التى كثروا بها، وقد ساعد الإغريق على المحافظة على معتقداتهم الدينية أنهم قد عاشوا فى مدن لها نظامها الخاص كما سيأتى الحديث عنها، أما من لم يستوطن منهم هذه المدن فقد تكتلوا فى تجمعات دينية واجتماعية قاصرة عليهم، لكن بطبيعة الحال لم يستطيع الإغريق وخاصة من عاش منهم

خارج المدن ذات الطابع اليونانى أن يظلوا لفترة طويلة بعيدين عن المعتقدات الدينية المصرية فتأثروا بها، ومن مظاهر هذا التأثير إطلاق أسماء إغريقية على الآلهة المصرية كتسمية الإله آمون المصرى باسم الإله زيوس الإغريقى.

وقد أوجد البطالمة فى محاولتهم للتقريب بين المصريين والإغريق ديانة جديدة تقوم على فكرة الثالوث الذى قدم للإغريق فى شكل أغريقى وللمصريين فى شكل مصرى، أى فى شكل إنسانى للإغريق وفى شكل حيوانى للمصريين.

كما لجأ البطالمة إلى تأليه أنفسهم وفرض عبادة ملوك البطالمة فى محاولة منهم لإحكام سيطرتهم على إمبراطورية تتكون من عناصر متباينة قد لايجمعها سوى رباط دينى من هذا النوع أى عبادة الملك رمز وحدة الدولة. وإدعاء ملوك البطالمة لأنفسهم صفة الألوهية كان من الممكن قبوله لدى المصريين إذ اعتادوا من قبل عبادة ملوكهم من الفراعنة بوصفهم أنصاف آلهة أو ممثلين للآلهة على الأرض.

الظروف الاجتماعية :

كما سبق القول وجدت بمصر فى العصر البطلمى العديد من الجاليات الأجنبية بالإضافة إلى المصريين ، ولم يتبع البطالمة سياسة المساواة بين العناصر المختلفة التى تكون منها المجتمع فى ذلك الوقت بل طبقوا سياسة التمييز والتفرقة مما أدى بالتالى إلى تفاوت فى الأوضاع الاجتماعية والقانونية لهذه العناصر، وظهر هذا واضحاً فى حالة ثلاث من هذه العناصر هم المصريون والإغريق واليهود.

١ - **المصريون** : كان المجتمع المصرى يتكون من عدد من الطبقات على رأسها طبقة ارستقراطية تضم الأسر ذات النفوذ والثروة سواء من المدنيين أم من رجال الدين، تليها طبقة متوسطة تضم المحاربين والموظفين، وأصحاب الحرف

والتجار أما الطبقة الأخيرة فتضم الفلاحين، وقد لجأ البطالمة الأوائل إلى حرمان الارستقراطية من أملاكها ومناصبها الإدارية ، وأقصوا الكهنة عن إدارة أموال المعابد وتولاها بدلاً عنهم موظفون تابعون للملك، كما لم يحاول البطالمة الاستعانة بالمصريين في الجيش أو تعيينهم في المناصب الهامة أو الحساسة واستعانوا بهم فقط في الوظائف المتواضعة . غير أن البطالمة خاصة بعد موقعة رفح اضطروا إلى تعديل سياستهم مع المصريين فردت إلى رجال الدين بعض إمتيازاتهم ، وتمت الإستعانة بالمصريين بشكل أفضل في الجيش وسمح لهم بتولي المناصب الإدارية الهامة لكن ذلك لم يكن يعني أن المساواة قد تحققت بين المصريين والإغريق فقد ظل هناك فرق . أما أصحاب الحرف وصغار التجار والعمال والفلاحين فقد كانوا أكثر الطبقات معاناة.

٢ – **الإغريق** : وقد شكلوا في مصر أكبر الجاليات الأجنبية وتمتعوا في ظل حكم البطالمة بكل الإمتيازات التي جعلت منهم كبار الموظفين والقادة في الإدارة والجيش البطلمي. كما أعفوا من بعض الضرائب التي خضع لها كل السكان في مصر .

ورغم أن الإغريق كانوا بصفة عامة أفضل العناصر السكانية وضعاً في مصر إلا أنهم كانوا ينقسمون فيما بينهم إلى طبقات مثل طبقة كبار الموظفين وفي مقدمتهم الوزراء والقواد ورجال الحاشية يليهم حكام الأقاليم والضباط ثم صغار الموظفين مثل مساعدوا حكام الأقاليم ورجال الإدارة المحلية والجنود. ويلي هذه الطبقة أرباب المهن المختلفة من العلماء والمهندسين والأطباء والفنانين وغيرهم.

وقد ترتب على السياسة التي اتبعها البطالمة الأواخر من الإعتراف للمصريين ببعض الحقوق التي كانت وقفاً على الإغريق من قبل، تقريب الشقة

بينهم، ومع ذلك فقد ظل الإغريق حتى نهاية عصر البطالمة أسمى مكانة وأحسن حالاً من المصريين.

٣ – **اليهود** : ترجع علاقة اليهود بمصر إلى أقدم العصور فكثيراً مانزحت القبائل العبرية إلى مصر طلباً للرزق ، وكثيراً ما طلب اليهود عون مصر عند تعرضهم للخطر ، كما حدث عندما تعرضوا لخطر الآشوريين ودمر نبوخذ نصر مدينتهم أورشليم واستمر اليهود يقيمون بمصر حتى قيام دولة البطالمة وأتت إليها دفعات جديدة منهم. وقد عامل البطالمة اليهود على نحو أفضل مما عاملوا به المصريين فسمحوا لهم بالإقامة فى الاسكندرية رغم عدم كونهم مواطنين سكندريين كما عهدوا إليهم بالمناصب الكبيرة واستخدموهم كمحاربين فى جيوشهم جنباً إلى جنب مع الإغريق.

وأهم جاليات اليهود فى مصر كانت جالية الاسكندرية التى أقامت فى حى خاص بها ، ولم يكن أبناء هذه الجالية على مستوى اجتماعى واحد ، وبالإضافة إلى يهود الاسكندرية انتشر اليهود فى مختلف أنحاء مصر واختلفت مكانتهم تبعاً لاختلاف أوجه نشاطهم من أرباب إقطاعيات أو جنود أو مديرو مصارف ملكية أو ملتزموا ضرائب وغيرهم [١].

القانـــون :

حفلت مصر كما سبقت الإشارة إلى ذلك بالعديد من العناصر السكانية المختلفة، وبالطبع كان لكل عنصر من هذه العناصر قوانينه وعاداته ، ولم يحاول ملوك البطالمة إخضاع جميع هذه العناصر لقانون موحد يسرى على الجميع بل تركوا كل فئة تطبق قانونها الخاص، غير أنهم لجأوا أحياناً إلى إصدار تشريعات على هذه الفئة أو تلك من رعاياهم وامتدت هذه التشريعات أحياناً أخرى إلى كل سكان البلد.

---

(١) محمود سلام زناتى : المرجع السابق ، صفحات ٢٣١ – ٢٣٤.

Cf. Pierre Jouguet, op. cit., P 78 - FF

فيما يخص المصريون فقد استمروا خلال العصر البطلمى يطبقون شريعتهم التى تكونت عبر قرون طويلة ومن ناحية أخرى لم ير البطالمة ثمة مايدعو إلى فرض قوانينهم الإغريقية على المصريين غير أن ذلك لم يمنعهم من التدخل أحياناً لتغيير بعض القواعد القانونية المصرية.

أما بالنسبة للإغريق فقد تركوا يسيرون طبقاً لقوانينهم وتقاليدهم الخاصة، وفيما يتعلق بالمدن الإغريقية فى مصر فهناك مايشير إلى أن كلا منها كان له قانونه الخاص الذى يطبق على مواطنى المدينة فقط دون غيرها. ولابد أن هذه القوانين قد أخذت معظم أحكامها من القانون الإغريقى . أما الإغريق المنتشرون فى أرجاء مصر من غير مواطنى المدن الإغريقية الثلاث فكانت تطبق عليهم كقاعدة عامة قوانين المدن التى وفدوا منها.

كذلك سمح البطالمة لأفراد الجاليات الأخرى باتباع تقاليدهم وشرائعهم كاليهود على سبيل المثال .

هذا الإختلاف فى التشريعات الذى ترتب بالضرورة على تعدد العناصر السكانية فى مصر البطلمية وتطبيق كل عنصر منهم لشريعته الخاصة كان من الممكن ألا يثير أية صعوبات إذا كان طرفا العلاقة القانونية ينتميان إلى نفس الفئة من السكان، لكن هذه الصعوبة تظهر عندما تختلف جنسية الطرفين، إذ يثور فى هذه الحالة التساؤل عن نوعية الشريعة الواجب تطبيقها. إلا أن هناك من ناحية أخرى بعض الإعتبارات التى قللت من هذه الإختلافات إلى حد بعيد وأهمها أن هذه الشرائع رغم الإختلافات العميقة بينها فى بعض النواحى كانت تتضمن قواعد متماثلة أو متشابهة فى نواحى أخرى، ومعنى هذا أن الإختلاف بين الشرائع لم يكن من الناحية العملية بالقدر الذى قد يبدو للوهلة الأولى فضلاً عن ذلك فإن تعايش هذه الشرائع لاسيما المصرية والإغريقية جنباً إلى جنب أدى إلى قدر من التقارب بينهما [١] .

---

(١) محمود سلام زناتى : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ - ٢٣٧ .

كان الملك البطلمى هو صاحب السلطة التشريعية وتمت ممارسته لها عن طريق إصدار القوانين والمراسم واللوائح المختلفة، وكانت غالبية هذه التشريعات تتصل بالجانب الاقتصادى نظراً لطبيعة النشاط البطلمى فى مصر والذى اتسم بميله نحو الممارسات الاقتصادية . وبالتالى صدرت عن ملوك البطالمة العديد من التشريعات حول الضرائب والرسوم المختلفة والإحتكارات الملكية والإقطاعات وغيرها.

وقد يكون التشريع الصادر عن الملك عام التطبيق ، وفى هذه الحالة يخضع له جميع السكان دون تفرقة. وقد يكون خاصاً بمنطقة أو طائفة معينة، وفى هذه الحالة يقتصر تطبيقه على المنطقة المعنية أو الطائفة المذكورة.

أما بالنسبة للمدن الإغريقية فى مصر ، فقد كانت كل من نقراطيس وبطلمية تتمتع بسلطة تشريعية مستقلة عن الملك ، لكن هذا الإستقلال لم يكن مطلقاً ، فلا بد وأن الملك كانت له سلطة الإشراف على التشريعات التى تصدر عن مجالس هذه المدن على نحو أو آخر ، أما الإسكندرية فهناك من الشواهد مايدلل على أن مصدر قانونها الخاص كان عبارة عن تشريعات ملكية.

أما القضاء فى مصر فى عصر البطالمة فكل الدلائل تشير إلى أنه لعب دوراً هاماً كمصدر للقانون فى ذلك العصر ، فالتعدد والتنوع فى الشرائع المطبقة كان ولابد عاملاً هاماً فى خلق مواقف أو مشاكل قانونية لايمكن الخروج منها إلا بتدخل القضاء عن طريق خلق أو إستحداث قواعد قانونية جديدة.

ولابد أن العرف قد ساهم أيضاً بنصيب فى خلق القواعد القانونية، لكن مهمة العرف لم تنته عند هذا الحد ، فقد ساهم من جديد جنباً إلى جنب مع التشريع والقضاء فى تطوير النظم القانونية فى مصر تحت ضغط الظروف

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الجديدة، وليس من شك فى أن التقارب الذى حدث فى أواخر العصر البطلمى بين القانونين المصرى والإغريقى يرجع فى جزء منه إلى العرف [١].

رابعاً : نظام الحكم والإدارة فى مصر فى عصر البطالمة :

حكم البطالمة مصر بنظام ملكى مطلق مستندين فى ذلك إلى حق الفاتح المنتصر فى السيطرة على المهزوم ، كما سبق القول وكمحاولة منهم لاستمالة المصريين أظهروا أنفسهم بمظهر خلفاء الفراعنة واتخذوا من هذا المظهر واجهة لتبرير سلطتهم المطلقة، على اعتبار أن النظام والتقاليد والعقيدة المصرية كانت ترتفع بالفرعون فوق أى تساؤل عن طبيعة سلطته وحقه فى الحكم، ولكن الملك وإن نظر له باعتباره إلهاً لم يستطع حكم البلاد بمفرده خاصة وأن البطالمة دخلوا مصر فوجدوا بها نظاماً إدارياً دقيقاً فاحتفظوا به وأدخلوا عليه بعض التعديلات التى اقتضتها سياستهم. ووضعهم كملوك أجانب وهدفهم من استغلال البلاد إلى أقصى حد ممكن . كما شجع ملوك البطالمة الإغريق على التوافد إلى مصر والإقامة بها وذلك عن طريق منحهم العديد من الإمتيازات كالإعتراف لهم بنوع الحياة السياسية التى ألفوها فى وطنهم الأصلى داخل المدن الإغريقية التى استوطنوها فى مصر كالإسكندرية ونقراطيس وبطلمية . لذا فأثناء دراستنا لنظام الحكم والإدارة فى مصر البطلمية لابد من الإشارة لأربعة عناصر رئيسية هى الملك، الإدارة المركزية ، والإدارة ا لمحلية ، والمدن الإغريقية.

الملك :

كان من الممكن للمصريين أن يتقبلوا فكرة ألوهية الملك البطلمى باعتبارها امتداداً لألوهية الفرعون ، أما الإغريق فلم يكن سهلاً عليهم تقبل الفكرة لأنهم عاشوا فى مدن حكمت بنظام ديمقراطى أو أوليجركى أو حتى

---

(١) محمود سلام زناتى : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ - ٢٣٩.

ملكي، لكن كان لكل فرد فيها نصيبه من السيادة . وعندما حاول الاسكندر أن يؤسس عبادته في المدن الإغريقية لقيت هذه الفكرة معارضة شديدة من المدن الأوروبية بينما قبلتها المدن الآسيوية بسهولة. إلا أنه تدريجياً بدأت هذه الفكرة وكأمر واقع فرضه بطلميوس الثاني في السيطرة ، ومنذ ذلك الوقت جرت العادة بأن يحمل كل الملوك والملكات عند توليهم العرش أسماً إلهيا وأن يعبدوا شأنهم في هذا شأن الاسكندر وأسلافهم.

وكما كان الحال عند الفراعنة أصبح الملك البطلمي هو مصدر السلطات جميعها، فهو الحاكم المطلق، والمهيمن على الإدارة وصاحب السلطة التشريعية والقضائية والدينية باعتباره رئيساً للكهنة.

فالملك بوصفه الرئيس الأعلى للدولة هو الذى يحدد العلاقات السياسية وطبيعتها بالدول الأخرى ويعلن الحرب أو يعقد المعاهدات ويستقبل سفراء الدول الأجنبية ويبعث بسفرائه إليها وهو الرئيس الأعلى للجهاز الإدارى بأكمله والذى أداره وفقاً لإرادته دون رقابة أو إشراف من أى جهة أخرى. كما هو المسئول عن التشريعات سواء كانت ذات طابع عام أو خاص، فالتشريعات أو الأوامر الملكية العامة توجه إلى كل سكان المملكة أو إقليم معين أو عدة أقاليم ، أما الأوامر الخاصة التي تعالج مصلحة خاصة فتقتصر على مواطن بعينه أو مجموعة من المواطنين أو مكان معين مثل الأوامر التي تمنح شخصاً ما عفواً ملكياً شاملاً أو جزئياً أو تقرر إمتيازات أو تخول حصانات أو غيرها.

ويثور الآن تساؤل حول سلطة الملك التشريعية المطلقة وعلاقتها بحرية بعض المدن الإغريقية في مصر في إصدار تشريعاتها الخاصة التي تسرى على مواطنيها فقط. ويبدو أن مجالس هذه المدن لم تكن تتمتع بسلطة تشريعية، فالتى تمتعت بها هذه المدن لم تكن سلطة أصلية فيها وإنما هى منحة من الملك ومن المنطقى أن من يمنح يستطيع أن يمنع أو يتدخل على الأقل وقت الضرورة لتحقيق

مصالحه بحيث لا تتعارض تطبيقات تشريعات هذه المدن مع السياسة العامة لدولة البطالمة.

كذلك كان للملك سلطات خاصة بالكهنة والمعابد ، فقد كان للملك مندوب في كل المعابد الرئيسية كما كان موظفوه هم الذين يديرون أملاك المعابد. وكان الملك يسيطر على الوظائف الدينية بمعنى أنه يعين فيها من يشاء وبمعنى آخر من يدفع أكثر لأن هذه الوظائف أو بعض منها على الأقل كانت تدر ربحاً مجزياً لمن يتولاها . كما عمل على إمداد المعابد بما تحتاجه من خدمات وعلى إحترام الشعائر الدينية.

أما وراثة العرش فقد خضعت لدى البطالمة لنفس القواعد تقريباً التى تخضع لها الميراث العادى في القانون الإغريقي، فانتقال العرش كان يتم عن طريق الذكر مع تفضيل الابن الأكبر . وفيما بعد سمح للبنات بتولي العرش فى حالة عدم وجود أبناء [1].

الإدارة المركزية :

استعان الملك البطلمى بالعديد من الموظفين لأداء الخدمات اللازمة له ولأسرته ولإدارة شئون البلاد. وكان على رأس هؤلاء الموظفين الذين يمكن تسميتهم وزراء أيضاً كبير الموظفين أو الوزراء الذى تولى الإدارة العامة للسياسة يليه وزير المالية ومدير الأملاك (ديويكيتيس Dioiketes) الذى أشرف على الإيرادات والمصروفات، ويعين موظفوا الإدارة المالية ويراقب عملهم ويوقع الجزاء على المقصرين منهم. وكان لهذا المنصب أهميته التى استمدها من تغليب الجانب الاقتصادى على سياسة البطالمة فى مصر. وإلى جانب هذا المسئول المالى وجدت وظيفة هى (الأرخيديكاستيس Archidikastes) الذى اختص بتعيين القضاة المصريين والإغريق والإشراف عليهم، وفضلاً عن ذلك كان له اختصاص

---

(١) محمود سلام زناتى ، المرجع السابق ، ص ٢٣٧ – ٢٣٩.

قضائى فمن المحتمل أنه كان يرأس محكمة معينة بالإسكندرية وفى عهد البطالمة الأوائل وجد موظف كبير كانت مهمته تحسين مياه الرى وصيانة وسائله وهو (الأرخيتكتون Architecton) ومن المحتمل أنه قد وجد وزير للحرب يشرف على الجيش ودفع رواتب الجنود وتوزيع الإقطاعات عليهم .

الإدارة المحلية :

كانت مصر فى عهد الفراعنة مقسمة من الناحية الإدارية إلى قسمين رئيسيين هما مصر العليا ومصر السفلى، وكل من القسمين قسم إلى عدد من الأقاليم . وقد احتفظ ملوك البطالمة بهذا التقسيم لكنهم أدخلوا عليه بعض التعديلات التى تطلبتها الظروف، فقسمت مصر إلى عدد من الأقاليم يسمى كل إقليم منها (نوموس) وعلى رأس كل إقليم حاكم يسمى (نومارخوس Nomarchos) وكل إقليم ينقسم بدوره إلى عدد من المقاطعات تسمى كل منها (توبوس Topos) وعلى رأس كل مقاطعة رئيس يسمى (توبارخوس Toparchos) وانقسمت هذه المقاطعات إلى قرى صغيرة تسمى القرية منها (كومى Kome) وعلى رأسها رئيس سمى (كومارخوس Komarchos) .

وفى بداية عهد البطالمة احتفظ المصريون بهذه الوظائف ، إلا أن البطالمة أخذوا فى العمل على إضعاف هذه المناصب وتجريدها من أهميتها حتى أدت هذه السياسة تدريجياً إلى إختفائها . فعين البطالمة رئيس عسكرى لكل إقليم من بين الإغريق والمقدونيين يحمل اسم (ستراتجوس Strategos) أى قائد [1].

وتدريجياً استولى هذا الحاكم على سلطات (النومارخوس) وإلى جانبه عين موظف إدارى بواسطة الإدارة المركزية عرف باسم (الكاتب الملكى) ثم عين موظفان آخران فى المقاطعات والقرى بجانب (التوبارخوس والكومارخوس) عرفا

(1) Pierre Jouguet, L'Egypte Ptolemaique, PP. 47 - 57.

باسم (كاتب المقاطعة وكاتب القرية) وما لبثا أن احتلا مكان الصدارة بدلاً من التوبارخوس والكومارخوس مما أدى بالتالى إلى خضوع كافة الأقسام الإدارية لمصر للإدارة المركزية البطلمية وبشكل مباشر تماماً .

وبالإضافة لهؤلاء الموظفين الإداريين الملحقين بالأقاليم والمقاطعات والقرى كان هناك البعض من ذوى الإختصاص المالى، كالمشرف المالى الذى سمى «إيكونوموس» والذى خضع فى عمله لإشراف ومراقبة الكاتب المكى.

المدن الإغريقية فى مصر :

تمتعت المدن الإغريقية الثلاث فى مصر البطلمية «نقراطيس وبطلمية والاسكندرية» بقدر من الإستقلال الذاتى فى إدارتها لشئونها لكن هذا القدر من الحرية لم يكن واحداً بالنسبة للمدن الثلاث.

بالنسبة لنقراطيس التى سبق الإشارة لكيفية وأسباب إنشائها كمحطة تجارية إغريقية فى مصر فقد أبقى البطالمة لها على وضعها الذى اكتسبته فى الماضى ويبدو أنها قد احتفظت بقانون خاص بها، والقاعدة الوحيدة التى عرفت من هذا القانون هى القاضية بمنع زواج الإغريق المختلط من المصريين.

أما بطلمية التى أسسها بطلميوس الأول فقد تمتعت بنظام سياسى يماثل نظام المدن الإغريقية فى الممارسة وفى المسميات أيضاً ويبدو أنه قد وجد لهذه المدينة مجلس حاكم يتكون من ستة أعضاء ، كما كان لها مجلس شعبى يتمتع بسلطة تشريعية لكن هذا الإستقلال السياسى أيضاً لم يكن مطلقاً فقد ظهر لدى البطالمة المتعاقبين إتجاه متزايد نحو التدخل فى شئون المدينة وأحكام الرقابة عليها عن طريق موظفين ملكيين.

أما الاسكندرية فقد اختلف فيها الحال فقد اكتسبت المدينة أهميتها من الناحية الإدارية والسياسية من كونها مركزاً للحكم ومقراً للملك وإداراته المختلفة

وبالتالى كان لابد من إحكام السيطرة عليها تماماً من جميع النواحى، إلا أن هذا لايمنع أن سكانها من الإغريق قد تمتعوا بنوع من التنظيم السياسى الخاص بهم فى حدود مقبولة ويبدو أن المدينة وجد لها مجلس شعبى اختفى فيما بعد وإن تعددت الآراء بشأن هذا المجلس [1].

---

(١) محمود سلام زناتى : المرجع السابق ، ص ٢٤١ - ٢٤٤.

الفصل الثانى

مصر وروما

الفصل الثانى
مصر وروما

اولاً : مصر وروما حتى أوكتافيانوس (أوغسطس) :

كانت المعركة التى حسمت مصير الدولة البطلمية هى معركة أكتيوم البحرية فى ٣١ . ق. م . والتى دارت بين قوات ماركوس انطونيوس وكليوباترا السابعة من ناحية وقوات الجمهورية الرومانية بقيادة جايوس اوكتافيانوس(اوغسطس فيما بعد) من ناحية اخرى ، كان من نتيجتها ان تحولت مصر الى ولاية رومانية فى عام ٣٠ ق . م. وتنطبق نفس المقولة السابق ذكرها فى بداية حديثنا عن العلاقات بين مصر واليونان قبل ظهور الاسكندر المقدونى هنا ، اذ لم تات ، معركة اكتيوم من فراغ بل كانت مرحلة متأخرة من مراحل العلاقات بين مصر البطلمية والجمهورية الرومانية . فتحدثنا بعض المصادر القديمة بان العلاقات بين مصر وروما تعود الى فترة حكم بطلميوس الثانى حين ارسل سفارة ديبلوماسية الى روما فردت روما بسفارة مماثلة فى نفس العام [١] .

واختلفت الآراء بين الباحثين حول هدف هذه السفارات ما بين محاولة لتدعيم العلاقات بين بلدين احدهما وهو روما بدأ يظهر كقوة دولية مؤثرة فى محيط حوض البحر المتوسط والآخر وهو مصرعرف بانه اغنى مخزن للغلال (القمح) فى العالم الهللينستى والذى كانت روما بحاجة مستمرة له . والفريق الثانى من الباحثين رأى انها محاولة لتنمية العلاقات التجارية بين مصر وروما.

وقد لاحظ بعض دارسو العملة ان اقدم مجموعة من العملة الرومانية والتى سكت فى عام ٢٦٩ ق . م . تحمل شبها كبيرا من مجموعة النقود البطلمية التى ضربت فى عام ٢٧٠ ق . م .مما يرجح الرأى القائل بان الهدف

(1) Eutropius , II , 15 , Valerius Maximus , IV . 3.9 , Dionysius Halic., II . 14.

من هذه الاتصالات كان عقد معاهدة اقتصادية ، خاصة وان احد القنصلين اللذان ضربت فى عهدهما هذه العملة الرومانية كان عضوا فى السفارة الثلاثية الى بلاط بطلميوس الثانى فيى ٢٧٣ ق. م . فضلا عن ان علماء العملة يرون ان روما لم يكن باستطاعتها سك عملة فضية فى ٢٦٩ ق. م. دون ان تستورد الفضة ويرجحون استيرادها لها من مصر ويدعمون هذا الرآى بتخفيض مصر لقيمة عملتها نتيجة لبعض الإضطرابات الاقتصادية ما بين ٢١٧ – ٢١٠ ق. م . مما استتبعه تخفيض روما لقيمة عملتها ايضا وفى نفس التاريخ [١].

ويبدو ان العلاقات بين مصر وروما بدات تتطور فى اواخر القرن الثالث وتخرج عن نطاقها الاقتصادى لتتخذ مظهرا سياسيا ، فبعد انتهاء الحرب البونية الاولى (وهى الحروب التى دارت بين روما وقرطاجة على ثلاث مراحل وعرفت باسم الحروب البونية او القرطاجية) عرضت روما على مصر مساعدتها فى حروبها ضد سوريا (وهى الحروب التى عرفت باسم الحروب السورية ودارت بين مصر وسوريا على ستة مراحل)الا ان بطلميوس الثالث رفض العرض شاكراً لان الحرب كانت قد انتهت [٢]. وفى عام ٢٠٠ق. م. اى بعد إنتصار روما فى الحرب البونية الثانية ارسلت سفارة الى مصر تطلب من بطلميوس الخامس الوقوف على الحياد فى حالة اعلان روما الحرب على فيليب الخامس ملك مقدونيا الذى وقف ضد روما فيى الحرب البونية [٣] .

وهذا الموقف من روما يبدو من الواضح انه محاولة للابقاء على الاوضاع السياسية السائدة فى حوض البحر المتوسط وتعطيل اية محاولة لخلق دولة جديدة قوية قد تشكل خطرا بشكل من الاشكال على الكيان الرومانى الذى بدأ فى

---

(١) عن هذه الآراء بالتفصيل راجع : عبد اللطيف أحمد على ، مصر والأمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية ص ١ – ٣ وحاشية ٥.

(2) Eutropius , III. I.

(٣) راجع أيضاً عبد اللطيف أحمد على . المرجع السابق . ص ٣ – ٥ .

التضخم او على الاقل محاولة تطويع الاوضاع السياسية القائمة لمصلحة روما اولاً وقبل كل شئ.

ولم يأت القرن الثاني ق. م. حتى كانت العلاقات بين مصر وروما قد دخلت فى مرحلة جديدة هى التدخل السياسى من جانب الرومان فى شئون مصر البطلمية. وكانت مصر قد ازدادت ضعفا بينما ازداد الرومان قوة – وبالتالى ونتيجة لضعف مصر والبطالمة بسبب فترة المنازعات الاسرية السابق الاشارة اليها فى القسم الاول من هذه الدراسة فقد بدأت اطماع القوى الاخرى فى المنطقة فى ممتلكات مصر الخارجية فى الظهور مثل فيليب الخامس ملك مقدونيا وانتيوخوس الثالث ملك سوريا وقيل ان معاهدة سرية قد عقدت بين الملكين لاقتسام ممتلكات مصر [١]. وهكذا اتيحت لروما فرصة التدخل فى شئون مصر بحجة حمايتها من اطماع الملكين المقدونى والسليوقى ، وان كان هدفها الحقيقي كما سبقت الاشارة هو منع تكوين اية دول جديدة قوية قد تهدد خططها التوسعية سواء فى الشرق او الغرب ، اذ ان استيلاء سوريا او مقدونيا على ممتلكات مصر سينتج عنه بالتالى ظهور دولة قوية جديدة قد تكون ندا لروما وقد تتفوق عليها ، ويتضح هذا تماما من موقف روما من غزو انتيوخوس الرابع الملك السليوقى لمصر ومحاصرته للاسكندرية فيما عرف بالحرب السورية السادسة فقد اجبرته روما على الانسحاب والعودة لبلاده وبلغ من جبروت وصلف المندوب الرومانى – كما روى لنا بوليبيوس وليفيوس – ان الملك السليوقى حين تردد فى تنفيذ امر السناتور الرومانى بانسحابه من مصر وطلب مهلة يستشير فيها معاونيه رسم المندوب الرومانى حولة دائرة بالعصا التى يحملها وطلب منه الاجابة قبل ان يغادر الدائرة مما اجبره على قبول الانسحاب [٢] .

ثم تدخل العلاقات المصرية الرومانية فى مرحلة جديدة حيث تعمل روما على استغلال منازعات افراد الاسرة المالكة البطلمية لاضعاف مصر وتجريدها من

(١) عبد اللطيف أحمد على : المرجع السابق ص ٥ – ٦ ، حاشية ١ .

(2) polybius , XXXIX , 27 . Livius . Xiv , II, 1.

ممتلكاتها مثل برقة وقبرص . وبلغ من سيطرة روما على ملوك البطالمة ان بطلميوس الثامن فى صراعه مع اخيه بطلميوس السادس على العرش قد اوصى ان تؤول مملكته (مصر) الى روما اذا مات دون وريث حتى لاتؤول الى اخيه ومنافسة على العرش .

وتستمر العلاقات المصرية الرومانية فى التطور بازدياد اهتمام الرومان بشئون مصر والتعرف على احوالها طمعا فى ثروتها وتمهيدا للاستيلاء عليها . وقد زار « سكيبيو اميليانوس » بطل الحرب القرطاجية الثالثة مصر حوالى ١٤٠ - ١٣٩ ق. م. فى مهمة عهد بها اليه السناتو الرومانى لتفقد امور الممالك الهللينستية الشرقية ولا شك انه عاد الى روما بتقرير واف عن مدى ثراء مصر مما كان له ابلغ الاثر فى توجيه سياسة السناتو نحو مصر .

كل ذلك ادى الى ان تظهر فى ساحة السياسة الرومانية ما عرف باسم (المسألة المصرية) وهى القضية التى استغلتها الاحزاب السياسية المتصارعة فى روما كل لصالحه وتدور حول كيفية ضم مصر لاملاك روما والوقت المناسب لذلك . وفجر هذه القضية هروب بطلميوس الثانى عشر من مصر بسبب ثورة السكندريين ضده ومناشدته روما ان تعيده الى عرشه ، وحاول كل حزب سياسى فى روما استغلال المشكلة لصالحه الا ان الآراء تعددت وتضاربت المصالح ولذلك ارجأ السناتو البت فى هذه المسألة . الا ان « جابينوس » الوالى الرومانى على سوريا دخل مصر بجيشه واعاد بطلميوس الثانى عشر الى عرشه ضد ارادة كل المصريين وضد قرار السناتو بتأجيل البت فى هذه المشكلة . وكان من الممكن ان تصبح مصر منذ هذا التاريخ ولاية رومانية الا ان الظروف ارجأت هذا الحدث اذ نشب فى نفس الوقت الصراع بين زعماء روما حول السلطة السياسية والعسكرية [1]. ثم تتعرض مصر مرة اخرى للتدخل المسلح من جانب الرومان بعد وفاة بطلميوس الثانى عشر وتفجر الصراع بين ابنائه بطلميوس الثالث عشر وكليوباترا السابعة

---

(١) عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق ، صفحات ٩ - ١٦.

على عرش مصر ، وفى نفس الوقت عانت روما من الحرب الاهلية التى دارت بين يوليوس قيصر وبومبى والتى هزم فيها الاخير فى موقعه فارسالوس عام ٤٨ ق. م. وفر الى مصر حيث كانت تربطه بملكها الراحل بطلميوس الثانى عشر علاقات ودية الا انه اغتيل عند وصوله للساحل المصرى حتى لاتتهيأ ليوليوس قيصر فرصة لغزو مصر بحجة انها تأوى عدواً لروما ، ووصل قيصر الى الاسكندرية حيث قوبل بعداء شديد من قبل السكندريين ، ونتيجة لبعض تصرفاته التى جرحت احساس السكندريين واعتزازهم باستقلالهم بالاضافة الى تحيزه لكليوباترا السابعة تفجر الصراع بينه وبين السكندريين فيما عرف باسم (حرب الاسكندرية) والتى انتهت بهزيمة بطلميوس الثالث عشر ونصب قيصر كليوباترا مكانه على مصر . وتوطدت علاقة كليوباترا السابعة بقيصر الا ان اغتياله على يد انصار الحزب الجمهورى فى روما فى ١٥ مارس عام ٤٤ ق. م. جاء مخيباً لآمالها فبدأت فى البحث عن حليف جديد لها بين خلفائه .

وتمثل هذا الحليف فى ماركوس انطونيوس الذى آلت له مهمة تنظيم شئون الولايات الرومانية الشرقية فأخذت كليوباترا تقوى علاقتها به مما كان له ابلغ الاثر فى تشويه سمعته بين مواطنيه الرومان خاصة وان اوكتافيوس الذى سيطر على القسم الغربى من الولايات الرومانية بدأ فى استغلال هذا الموقف ضد انطونيوس بعد تدهور العلاقات بينهما فاستغل الاخطاء التى ارتكبها انطونيوس وتحدى بها السناتو ومشاعر الشعب الرومانى للدعاية ضده وتأليب الرأى العام عليه ، واستطاع عن هذا الطريق انتصدار قرار من السناتو بالغاء سلطة انطونيوس العليا وابطال انتخابه قنصلا لعام ٣١ واعلان الحرب على كليوباترا ، وكان هذا الاجراء الاخير دليلا على الذكاء السياسى الذى تمتع به اوكتافيوس اذ كان يدرك ان انطونيوس كان لا يزال يحظى بتأييد بعض من أعضاء السناتو وفئة لا يستهان بها من الشعب الرومانى لذا فاعلان الحرب عليه مباشرة قد لا يحظى بكل التأييد لكنه اعلنها على حليفته كليوباترا وبالتالى عليه هو ايضا ولكن بشكل ضمنى .

وحدثت المعركة الفاصلة في خليج اكتيوم عام ٣١ ق.م. حيث استطاع اوكتافيوس شل حركة جيوش انطونيوس وكليوباترا وبات من الواضح ان مصر ستسقط في يده الا ان هذا لم يحدث الا في العام التالي حيث دخل مصر من ناحية بيلوزيون كما فعل الاسكندر المقدوني من قبل مما يكشف لنا جانباً من شخصية هذا القائد العسكري العظيم الذي سيصبح فيما بعد اوغسطس اول اباطرة الرومان ، وساء مركز انطونيوس العسكري بتخلي العديد من قواده وجنوده عنه اذ أتت الحرب الدعائية التي قادها اوكتافيانوس ضده ثمراتها واحس الجنود الرومان انهم يحاربون معركة خاسرة من اجل ملكة مصرية غريبة عنهم وليس من اجل قائدهم الروماني انطونيوس ، وانتحر انطونيوس يائساً في اول اغسطس عام ٣٠ ق.م. وحاولت كليوباترا ان تتوصل الى اتفاق مع اوكتافيانوس الا انه رفض فاضطرت هي الاخرى للانتحار خوفاً من المهانة التي ستتعرض لها عند أخذها اسيرة وعرضها في موكب انتصاره في روما.

وهكذا انتهت آخر ملوك البطالمة في مصر والتي كانت ثاني شخصية سياسية عسكرية اثرت في روما بعد هانيبال فاحتفلت روما بنهايتها وتمثل هذا في القصائد الشعرية التي كتبها فرجيليوس واوفيديوس وغيرهما كثير [١].

---

(١) عن موقعة أكتيوم راجع :

W.W.Tarn , The Battle of Actium , J. R . S., 21 , 1931 , PP. 173 - 177.

وعن إنتحار كليوباترا أنظر :

T. C . Skeat , The Last Days of Cleopatra , Achronological Problem. J R. S. , 43, 1953 , PP. 98 - 100.

مقتبس من عبد اللطيف أحمدعلى ، المرجع السابق ، صفحات ٢٦ - ٣٠ وعن هجاء شعراء الرومان لكليوباترا أنظر :

Vergilius . Aen., VIII. 685 - 713; Ovidius , Metam., XV. 826 - 828 . Propertius , III. II. 27 - 54.

Res Gestae Divi Augusti . 27. 1.

ثانياً . مصر ولاية رومانية :

"Aegyptum Imperio Populi Romani Adieci ". (١)

« لقد اضفت مصر الى سلطان الشعب الرومانى »

كانت هذه هى كلمة اوكتافيان « اوغسطس » التى سجلها بعد دخوله مصر فى سنة ٣٠ ق. م. عقب موقعة اكتيوم فى سجل اعماله المعروف باسم « اثر انقرة » – وكما سبق القول – فى الجزء الاول من هذه الدراسة – فان فتح الاسكندر المقدونى لمصر لم يكن عملا فرديا بل هو نتيجة لعلاقات ومصالح متبادلة ادت كمقدمة بالضرورة الى نتيجة حتمية هى خضوع مصر لحكم البطالمة ، كذلك يمكن القول بان ما سبق بيانه يصدق ايضا على فتح الرومان لمصر.

ويعتبر ظهور روما كقوة عسكرية مؤثرة فى حوض البحر المتوسط قرب نهاية القرن الثالث ق. م. هو السبب الاساسى وراء هذه العلاقة بينها وبين مصر ، فقد استطاعت روما ان توحد كل ايطاليا تحت سيطرتها حوالى ٣٢٠ ق. م. وكانت قبل ذلك قد بدأت حركتها التوسعية بالمعارك التى دارت على الساحل الغربى لشبه جزيرة البلقان ضد إيبروس، ثم استمرت هذه التوسعات بالحروب الفينيقية بين روما وقرطاجة والتى انتهت بعد ثلاث مراحل بهزيمة قرطاجة وتحويلها الى ولاية رومانية فى سنة ١٣٦ ق. م. وقبل هذا التاريخ بعامين فقط كانت روما قد انهت الحروب المقدونية والتى دارت ايضاً على ثلاث مراحل منفصلة وبنهايتها تحولت مقدونيا بدورها الى ولاية رومانية.

---

(١) وينسب الأثر إلى أنقرة بآسيا الصغرى وهو عبارة عن نقش باليونانية واللاتينية على حائط أحد المعابد تخليداً لأعمال أوغسطس التى قام بها طوال فترة حكمه من ٣٠ ق. م. إلى ١٤م عن الموضوع بشكل عام راجع : مصطفى العبادى حول وضع مصر فى الأمبراطورية الرومانية مطبوعات جامعة الإسكندرية ١٩٦٨ صفحات ٢٤١ – ٢٥١.

وإذا اضفنا الى هذا العامل الاول وهو ظهورروما كقوة عسكرية يحسب حسابها فى حوض البحر المتوسط عامل آخر هو مقدار الضعف الذى وصل اليه الملوك المتأخرين البطالمة فى مصر لوجدنا انه من الطبيعى ان يتقرب هؤلاء الملوك الى روما بشكل متزايد منذ منتصف القرن الثانى ق. م. حتى اصبح ثبات الملك البطلمى على عرشه مرهونا برضاء روما عليه وخاصة ان النزاعات الاسرية حول العرش كانت على اشدها ، وبالتالى فكان من الطبيعى ان يقود كل هذا الى فتح روما لمصر .

إقرار وجود روما فى مصر :

كان من الطبيعى ان يتجه اوغسطس بعد اتمام فتحه لمصر الى تأكيد وجوده فيها لتستتب له الامور وقد تم ذلك عن طريق قمع الفتن والثورات التى كان من الطبيعى انتشارها فى بداية حكم جديد ثم تأمين حدود مصر المشتركة مع جيرانها وذلك حتى يمكن لمن يحكم مصر ان يتفرغ لاستغلالها اقتصاديا .

وساعد اوغسطس على هذا الظروف الجغرافية لمصر ، فسهولة المواصلات الداخلية بسبب عدم وعورة الارض بطبيعتها جعل من السهل على القوات الرومانية التحرك بسرعة لضرب اى ثورة داخلية بالاضافة الى طبيعة الحدود المصرية التى تجعل من الصعوبة مهاجمتها ، حيث تقع فى الشرق جبال البحر الاحمر وصحراء سيناء وفى الغرب الصحراء الغربية اما الشمال فهو الساحل الضحل وفى الجنوب توجد بعض العوائق الطبيعية كصحراء النوبة. وبهذا امكن للقوات الرومانية ان تحكم تحصيناتها الدفاعية مستخدمة الارض التى ساعدتها فى ذلك .

وفى الداخل استطاع اول والى رومانى (كورنيليوس جالوس) ان يقمع بعض الثورات التى اشتعلت فى شرق الدلتا والاسكندرية والصعيد فى عام ٢٩ ق. م. ، مباشرة بعد مغادرة اوغسطس لمصر . وانتهز الوالى الجديد الفرصة

ليؤكد سيطرته على الحدود الجنوبية لمصر . واستطاع فعلا ان يجعل المنطقة حتى جنوب اسوان تحت الحماية الرومانية .

كما خصص اوغسطس جانبا من الاسطول الرومانى لحماية الاسكندرية باعتبارها مدخلا يمكن عن طريقه غزو مصر ، وقام هذا الاسطول بحماية الساحل الجنوبى للبحر المتوسط وتأمين السفن المحملة بقمح مصر والمتجهة الى روما . كما امن الجانب الشرقى وخاصة « بلوزيوم » أو « الفرمة » .

اما فى الخارج فقد كان من اول واجبات كورنيليوس جالوس ان يحول اثيوبيا جنوب مصر الى احدى محميات روما ولاتمام هذا تقدم بقواته حتى الشلال الاول فى الجنوب مما دفع بملك اثيوبيا الى قبول الحماية الرومانية . ثم ارسل اوغسطس ايليوس جالوس الذى خلف كورنيليوس جالوس فى ولاية مصر الى الجنوب الشرقى فى حملة على السواحل الجنوبية لبلاد العرب ، وبرغم الفشل الجزئى لهذه الحملة الاولى - (التى اعقبتها حملة اخرى بعد ٢٤ سنة اى فى سنة ١ ق. م.) الا ان ظهور القوات الرومانية فى هذه المنطقة أكد تماماً على مقدرة روما فى الدفاع عن مصر فى جميع الاتجاهات واحكام قبضتها عليها . وبهذا سيطرت روما على مصر تماما داخليا وخارجيا .

مصر ولاية رومانية ذات وضع متميز

كانت الحكومة فى روما (طبقا لاتفاق عام ٢٧٠ ق. م.) ثنائية بين اوغسطس ومجلس الشيوخ (السناتو) ولذا فقد قسمت الولايات الرومانية ليصبح بعضها تابعا للسناتو والآخر تابعا لاوغسطس نفسه ، فكانت مصر من نصيب القيصر الجديد.

وكان جوهر الاتفاق السابق الذكر يفرض على اوغسطس شرطين اساسيين هما المحافظة على السلام الرومانى الداخلى ثم ضمان موارد الغذاء اللازم لروما ، ولما كانت مصر - بثروتها الزراعة المعروفة - تشكل الممون الاساسى لروما لذا كان من الطبيعى ان ينظر لها بعين الاعتبار.

ولما كان اوغسطس قد بدأ سياسة مؤداها اضعاف السناتو وتجريده من اى قوة عسكرية قد يستخدمها اعضاؤه ضده فيما بعد لذا فقد عين اول والى من قبله على مصر (بريفكتوس) من طبقة الفرسان وكان كورنيليوس جالوس متجاهلا بذلك اعضاء السناتو ، بل ومنع اعضاء السناتو من دخول مصر الا باذن خاص منه. ومنح اوغسطس واليه على مصر سلطانا مطلقا لا يحده سوى ارادة الامبراطور نفسه، اما اوغسطس فقد احتل مكانة ملوك البطالمة وخلعت عليه الالقاب الفرعونية المألوفة واصبح ملكا للبلاد.

ومن الطبيعى انه لما كانت مصر قد اشتهرت بكثرة الحركات الثورية ولما كانت لا تزال حديثة العهد بالفتح الرومانى ان يحتفظ اوغسطس فيها بقدر كبير من الاستعداد العسكرى ، لذا فقد بقيت فى مصر ثلاث فرق عسكرية يقدر عدد جنودها بما يزيد عن اثنين وعشرين الف جندى وفارس وهو عدد ضخم بالمقارنة باعداد الجيوش فى هذا الوقت . الا ان الحوادث اثبتت بعد نظر اوغسطس اذ استغل واليه كورنيليوس جالوس هذه القوة العسكرية الضخمة فى اخماد الثورات التى قامت ضد الحكم الرومانى لمصر وخاصة فى الجنوب وتامين حدود مصر من جميع الجهات كما سيأتى تفصيل ذلك فيما بعد . وكانت هذه القوة موزعة بين الاسكندرية واهم المواقع الجغرافية فى مصر والتى تكفل للوالى احكام قبضته على البلاد . الا انه باستتباب نظام الحكم الرومانى لمصر رأى الامبراطور تيبريوس خليفة اوغسطس ان السيطرة على مصر لا تحتاج الى كل هذه القوة فخفض عددها إلى فرقتين عسكريتين فقط، ثم خفضت هذه القوة مرة أخرى بحلول القرن الثانى الميلادى ، ومنذ عهد تبيريوس فصاعدا اصبحت الاسكندرية هى المقر الثابت للحامية الرومانية فى مصر .

ثالثاً : ظروف الحياة فى مصر فى العصر الرومانى

الظروف السياسية

كان فتح مصر حدثا هاما بالنسبة لروما ، فمن ناحية قضى هذا الفتح على

الخطر الذى كان يهدد روما بفقدان اجزاء من ولاياتها الشرقية ومن ناحية اخرى وضع تحت تصرفها اكبر مركز لانتاج القمح فى البحر المتوسط ، وقد كان تأمين القمح الذى يشكل الجزء الاساسى من غذاء الشعب الرومانى محور مزايدات اغلب الاحزاب السياسية فى روما .

فاستغل اوكتافيانوس (الذى سنطلق عليه من الان اوغسطس) هذا الحدث فى الدعاية السياسية لنفسه .

وقد ترتب على تحويل مصر الى ولاية رومانية فقدانها لاستقلالها السياسى وارتباط مصيرها بمصير روما على عكس ما حدث خلال فترة الحكم البطلمى حيث كانت مصر دولة مستقلة لها سياستها الخاصة

وقد بلغت روما حدا كبيرا من التوسع فى عصر اوغسطس فقد اقتصرت مهمة خلفاؤه على الدفاع عن حدود الدولة وتأمينها ، وفيما يخص مصر كان هدف الرومان الاساسى هو تأمين حدود مصر الجنوبية والشرقية والغربية بالقوة او عن طريق المعاهدات .

وتتميز الحياة السياسية فى مصر خلال العصر الرومانى بكثرة الفتن وشيوع الاضطرابات التى تباينت اسبابها واختلفت مظاهرها تبعا للعهود .

ومن امثلة ذلك ما حدث عقب مغادرة اوغسطس لمصر بعد فرضه لضريبة الرأس الضخمة على معظم المصريين فاشتعلت الثورة عام ٢٩ ق. م. لكن الوالى الرومانى استطاع قمعها فى عنف [1]. وايضا المعارك المستمرة بين الاغريق واليهود وخاصة فى عهد الامبراطور كاليجولا ثم كلوديوس ، هذه المعارك التى وصلت الى ذروتها فى عام ١١٥م . فيما عرف باسم الثورة اليهودية التى بدأت من برقة ثم امتدت الى قبرص ومصر وبدأت هذه الثورة بصدام بين الاغريق

(1) Victor Chapot , L' Egypte Romaine , Histoire de la Nation Egyptienne , Tome III, PP . 245 - 246.

واليهود ما لبث ان تحول الى صراع بين اليهود من ناحية والمصريين والدولة الرومانية من ناحية اخرى ، تم فيه تخريب متعمد لموارد الثروة فى مصر ، لكنها انتهت بهزيمة ساحقة لليهود [1] .

الظروف الاقتصادية

١ – فيما يخص الزراعة فقد انقسمت الاراضى الزراعية فى مصر خلال فترات حكم البطالمة ومن بعدهم الرومان الى قسمين رئيسيين هما : اراضى تملكها الدولة واراضى يملكها الافراد . وبقدر ما شجع البطالمة مبدأ ملكية الدولة للاراضى الزراعية واخذوا به فقد اختلف الوضع اثناء حكم الرومان لمصر .

وهكذا قننت ظاهرة تملك الافراد للاراضى والتى كانت قد بدأت تنتشر فى فترة حكم البطالمة الا انها اصبحت واضحة تماما ومعترف بها من جانب الدولة في الفترة التالية (فترة حكم الرومان) .

والأراضى العامة التى امتلكتها الدولة تكونت من مساحات شاسعة من الارض الملكية التى كونها ملوك البطالمة خلال فترة حكمهم والتى آلت بدورها للرومان ، واضيف اليها اراضى المعابد التى صادرها اوغسطس ضمن خطته السابق الحديث عنها فى اضعاف شوكة الكهنة المصريين بهدم الدعامة الاقتصادية التى استمدوا منها قوتهم المتمثلة فى اراضيهم الزراعية الموقوفة على معابدهم.

أما النوع الثانى من الارض وهو الذى يمتلكه الأفراد فقد بدأ اوغسطس فور فتحه لمصر فى سياسة جديدة مؤداها توزيع بعض الأراضى التابعة للدولة على جنوده ثم فتح المجال أمام كل من يرغب فى شراء الأراضى الزراعية باسعار زهيدة كخطوة تنفيذية لانقاذ الاقتصاد المصرى الزراعى من الانهيار ، وكان من نتائج هذه الاجراءات تضخم الملكية الخاصة حتى ظهر ما يعرف باسم (الوسية) .

---

(١) عن الظروف السياسية بشكل علم راجع : مصطفى العبادى مصر من الإسكندر إلى الفتح العربى . صفحات ١٥١ وما بعدها و ٢٨٩ وما بعدها .

٢ – أما الصناعة فقد كان لمصر امتياز واضح تماما هو وقوعها جغرافياً فى منطقة وسطى بين طريقى التجارة الشرقية والغربية ، واذا اضفنا الى هذا ظروف الاستقرار التى مرت بها الامبراطورية الرومانية الى حد ما خلال القرنين الاولين بعد الميلاد ، وتشجيع الرومان للنشاط الاقتصادى فى مصر والذى كان عائده يرجع الى روما بالطبع ، لوجدنا انه كان من الطبيعى ان تشهد مصر خلال هذه الفترة نهضة صناعية تضاف الى النشاطات الاقتصادية الاخرى ، فظهرت صناعة الزجاج التى عرفها المصريون القدماء ثم طورها أحفادهم فى العصر الرومانى ليصلوا بها إلى درجة عالية من الجودة والاتقان . كما ازدهرت أيضا صناعة ورق البردى وإن لم يكن واضحاً هل كان هناك إحتكار حكومي لهذه الصناعة كما كان الحال فى عصر البطالمة أم تركت حرة كما كانت صناعة النسيج من الصناعات المنتشرة فى مصر على المستوى الفردى والجماعي. وصدرت كميات كبيرة منه خاصة المنسوجات التيلية الشهيرة. وبالإضافة إلى هذه الصناعات الرئيسية الثلاثة وجدت الصناعات الأدنى شهرة كالتوابل والعطور والصناعات الدقيقة.

٣ – أما التجارة فقد كان لنفس العامل السابق وهو مركز مصر المتميز من الناحية الجغرافية نفس الأثر بالنسبة لها كما حدث مع الصناعة، فقد ازدهرت التجارة وأصبحت الاسكندرية من أكبر موانئ العالم التجارية فنشطت حركة التصدير والإستيراد فاستوردت مصر الفضة والخشب والعاج والمنسوجات القطنية وصدرت القمح بشكل أساسي والذى كان يشكل أيضاً جزءاً كبيراً من الضريبة أو الجزية التى تدفعها سنوياً إلى روما [١].

٤ – أما فيما يخص النقود فقدظلت العملة البطلمية مستمرة فى مصر لبعض الوقت فلم تنتشر العملة الرومانية فى مصر انتشارها فى الأجزاء الأخرى من الامبراطورية وكانت هناك دار لسك النقود خاصة فى الاسكندرية.

---

(١) مصطفى العبادى المرجع السابق ، صفحات ٢٥٢ وما بعدها .

وبمرور الوقت حدث هبوط مستمر فى قيمة العملة مما أدى بالتالى إلى إرتفاع الأسعار وبالتدريج أخذت العملة تقل وصار التعامل يتم على أساس عينى ولم يكن وقع هذه الأزمة على الفلاحين شديداً لأنهم اعتادوا من قديم الزمان التعامل بشكل عينى ولكن وقعها على سكان المدن كان مدمراً ، وماحدث لمصر فى هذا الخصوص كان مثالاً لما أصاب غيرها من أجزاء الدولة الرومانية[١] .

وبالنسبة للضرائب فقد فرضت روما على سكان مصر جزية ثقيلة وضرائب باهظة كان وقعها أشد بالنسبة للفلاحين، وكثيراً ما اضطروا لعجزهم عن سداد الضرائب المطلوبة منهم إلى الهروب من أراضيهم الزراعية للاختفاء من جباة الضرائب الذين اتبعوا أساليب وحشية أحياناً فى تحصيل الضرائب المفروضة واحتفظ الرومان بمعظم الضرائب التى فرضها البطالمة بل وأضافوا إليها ضرائب جديدة لم تكن موجودة من قبل مثل ضريبة الرأس التى فرضت على كل الذكور من المصريين مابين الرابعة عشر وحتى الستين بفئات مختلفة ومن الغريب أن هذه الضريبة كانت قيمتها تتناسب تناسباً عكسياً مع المقدرة الاقتصادية لدافعيها، ففرضت بقوة على فقراء الفلاحين بينما أعفى منها بعض القادرين اقتصادياً ومما زاد الأمر سوءاً أن كل الضرائب التى تجبى كانت ترسل إلى روما مباشرة فلا تستفيد منها مصر أبداً ، بينما انفق البطالمة ما حصلوه من ضرائب داخل مصر نفسها مما كان يعود فى النهاية بالفائدة على البلاد [٢].

كانت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية فى مصر منذ بداية عهد البطالمة واستمر الوضع كما هو فى العصر الرومانى حتى أن القرارات الرسمية وبيانات الإمبراطور والقوانين التى كانت تصدر أصلاً باللغة اللاتينية كانت تترجم إلى اليونانية عند نشرها فى الاسكندرية . أما على الجانب الآخر ونعنى به اللغة الشعبية أو الدارجة التى استخدمها المصريون فى كافة تعاملاتهم اليومية فكانت اللغة

---

(1) Victor Chapot , Op. Cit. , PP. 312 - 313.

(2) Ibid., P . 318.

المصرية القديمة المكتوبة بالخط الديموطيقى، ونقول الخط الديموطيقى وليس اللغة لأن الديموطيقية ليست لغة فى حد ذاتها وإنما هى طريقة كتابة اللغة المصرية المتطورة استخدمت فيها حروف هجاء هيروغليفية المنشأ . ولما كانت اللغة المصرية لاتحوى حروفاً متحركة مما يساعد على جمودها، لذا استخدم المصريون الحروف اليونانية وأضافوا إليها ستة حروف ديموطيقية لكتابة لهجتهم الجديدة المأخوذة أصلاً عن الهيروغليفية وسميت باللهجة القبطية.

كما استمرت اللغة اليونانية منتشرة فى مصر منذ العصر البطلمى حتى العصر الرومانى فقد ظلت الاسكندرية ، كما كانت منذ إنشائها من أشهر مراكز العالم القديم الثقافية ولم يقتصر تأثيرها على العالم اليونانى فحسب وإنما تعداه إلى روما نفسها لذا اهتم الرومان بالمؤسسات الثقافية والعلمية فى الاسكندرية بعد فتحهم لمصر وأهمها كانت المكتبة والجامعة (الموسيون) وأشهر علماء الاسكندرية فى هذا العصر كان الجغرافى بطلميوس الذى رسم خريطة العالم معتمداً على الرياضة والفلك . وتميزت الاسكندرية فى العصر الرومانى بظهور مدرستها الفلسفية والتى تصبح شيئاً جديداً يضاف إلى رصيدها من الأدب والفن والعلم، إذ لم تعرف الاسكندرية فى عصر البطالمة الفلسفة، وربما كان لبدء إنتشار المسيحية دخل فى اتجاه السكندريين فى هذا الوقت نحو الفلسفة ومن أشهر فلاسفة الاسكندرية كان فيلون اليهودى ثم أفلوطين والذى اعتبر مؤسس مذهب فلسفى جديد عرف باسم (الأفلاطونية الحديثة).

ورغم المعاملة المميزة التى عوملت بها مدينة الاسكندرية من قبل الأباطرة الرومان، إلا أن الاضطرابات لم تهدأ بها خاصة الأحداث ضد اليهود، مما أدى بالتالى إلى ظهور نوع من الأدب يحمل طابع تلك الفترة يحكى عن البعثات المرسلة إلى الامبراطور فى روما أو وصف المحاكمات التى تجرى أو تمجيد للأعمال الوطنية للسكندريين ، ومن الأمثلة الواضحة كانت رسالة (فيلون Legatio) ثم مجموعة من المواقف الوطنية لأعمال السكندريين، صنفت تحت

اسم معروف هو Acta Alexandrinorum أو (أعمال الشهداء الوثنيين وأخبارهم) لتشابهها مع عمل مشهور آخر يعرف باسم (أعمال الشهداء المسيحيين وأخبارهم).

أما بالنسبة للحياة الدينية فقد شهدت مصر الرومانية ثلاثة أنواع من العبادات هي :

١ - الآلهة المصرية واليونانية والشرقية التى استمرت عبادتها حتى هذا العصر بل وانتشرت فى العديد من أرجاء الإمبراطورية الرومانية نتيجة لنشاط حركة التجارة.

٢ - عبادة الأباطرة الرومان والتى حلت محل عبادة ملوك البطالمة التى عرفتها مصر فى العصر البطلمى، واقتصرت عبادتهم على تقديسهم فقط وليس تحويلهم إلى آلهة وبشرط أن يكون الإمبراطور قد مات ، وبهذ أصبحت عبادة الأباطرة الرومان الموتى عبارة عن طقس رسمى له صفة الديانة الشخصية.

٣ - أما أهم هذه العبادات فكانت الثالوث المقدس الذى ظهر فى عهد البطالمة وتكون من إيزيس وسيرابيس وهاربوكراتيس وقد انتشرت هذه العبادة فى مصر كلها فى العصر الرومانى وتجاوزتها إلى الخارج حتى دخلت روما نفسها فى عهد الإمبراطور دوميتيان (٨١ - ٩٦) [١]. وهذا الوضع الجديد لم يكن إلا تقنيناً لوضع كان موجوداً بشكل غير رسمى ولفترة طويلة إذ كانت الآلهة المصرية وخاصة إيزيس قد انتشرت فى روما والتى وصلتنا عن عبادتها بردية من البهنسة من القرن الثانى الميلادى فيها حصر للأماكن التى تعبد فيها هذه الآلهة والتى وصلت إلى ٦٧ مدينة فى مصر و خمسة مدن خارج مصر.

وفى نفس الوقت الذى استقرت فيه هذه العبادات الثلاثة فى مصر الرومانية

---

(١) عبد اللطيف أحمد على . المرجع السابق ص ١٤٧ وما بعدها.

نجد أنه حوالى القرن الثانى الميلادى بدأت الأفكار المسيحية فى الظهور فى مصر نتيجة لازدياد النشاط التجارى البرى والبحرى، ولذا كان طبيعياً أن تنتقل المسيحية من فلسطين وسوريا إلى مصر . وكانت الاسكندرية فى هذا الوقت تمر بظرف دينى أثر على الديانة الجديدة ، فقد توحد العالم القديم تحت أمرة الإمبراطورية الرومانية وبذلك اختلطت الأديان وظهر تناقضها لذا ظهرت حركة فلسفية دينية جديدة فى الاسكندرية تنكر الأديان القديمة وتنادى بفكرة إلهية مثالية وسميت بالحركة (الغنوسية Gnosticism) وهذه الحركة شجعت على إنتشار المسيحية لأنها دعت فى البداية إلى ترك الأديان القديمة لقصورها، رغم أنها فى البداية اعتبرت منافساً خطيراً للمسيحية الجديدة. وبدأت المسيحية فى السيطرة والإنتشار تدريجياً وظهر من أعلامها فى مصر كليمنت السكندرى وأورجينيس حتى اعترف بها الامبراطور قسطنطين ديانة رسمية للامبراطورية الرومانية بعد سنوات طويلة من الاضطهاد (١).

الظروف الاجتماعية :

حوالى نهاية القرن الأول قبل الميلاد سكن مصر مايقرب من الثمانية ملايين نسمة (٢). كان غالبيتهم من المصريين بالإضافة إلى أقلية من اليونانيين واليهود وبعض الفينيقيين والليبيين وغيرهم. ومع بداية فترة جديدة فى تاريخ مصر أصبحت بمقتضاها ولاية تابعة للامبراطورية الرومانية نجد أن عنصراً جديداً قد دخل على البنية الأساسية للمجتمع المصرى وهو المواطنون الرمان.

---

(١) عن الموضوع بشكل عام راجع :
مصطفى العبادى . مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ص ٢٦٧ - ٢٨٣ .

(٢) قدر المؤرخ جوزيفوس عدد سكان مصر (ما عدا الإسكندرية) بسبعة ونصف مليون نسمة وذلك فى كتابه عن الحرب اليهودية (٢ - ١٦ - ٤) بينما يقدر ديودوروس الصقلى سكان الإسكندرية من المواطنين بثلاثمائة ألف (١٧ - ٥٢ - ٦) وبذلك يقترب المجموع من ثمانية ملايين نسمة .
وعن الظروف الإجتماعية بشكل عام راجع : مصطفى العبادى .
صور من الحياة الإجتماعية فى الإسكندرية القديمة - مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية ١٩٦٨ ، صفحات ٤١ - ٥٥

وكان من الطبيعي في ظل نظام الحكم الروماني الجديد أن ينقسم سكان مصر إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي : الرومان ثم السكندريون ثم المصريون، ويؤكد هذا التقسيم طبيعة ضريبة الرأس التي لم يكن المواطن الروماني خاضعاً لها بالضرورة ثم أعفى منها السكندريين وبالتالي فمن الناحية العملية نجد أنها قد فرضت على المصريين فقط من أهالي القرى أو سكان عواصم النوموس.

وقد شكل الرومان طبقة جديدة في المجتمع المصري في ذلك الوقت تكونت أساساً من جنود الحامية الرومانية المقيمة في مصر والتي تكونت في واقع الأمر من العديد من الأجناس التي ضمتها الامبراطورية الرومانية إلا أنهم عند تسريحهم من الخدمة العسكرية كان أول ما يحصلون عليه هو المواطنة الرومانية وبالتالي تشكلت هذه الفئة من خليط من مختلف الأجناس لايجمعهم في النهاية إلا المواطنة الرومانية وإذا رجعنا إلى ماسبق ذكره في البداية عن عدد الجنود الرومان الذين احتفظ بهم أوغسطس في بداية فتحه لمصر والذين شكلوا ثلاث فرق عسكرية يقدر عدد جنودها بما يزيد عن اثنين وعشرين ألف جندي وفارس استطعنا تقدير حجم الإضافة التي شكلها هؤلاء الجنود باعتبارهم طبقة جديدة للمجتمع المصري آنذاك . حقيقي أن حجم هذه القوات قد خضع للتخفيض مرتين آخرهم كانت في القرن الثاني الميلادي حيث وصل تعداد الحامية إلى نصف عددها الأصلي تقريباً إلا أن الكم العددي من المواطنين الرومان الذين أضيفوا إلى المجتمع المصري عن هذا الطريق يظل كبيراً . ويضاف إلى هذه الطبقة الموظفين الرومان الذين تولوا العديد من المناصب الإدارية والتجار والصناع الذين وجدوا في مصر مجالاً جديداً لأعمالهم.

وكان من الطبيعي أن يحدث إحتكاك اجتماعي بين هذه الطبقة الجديدة وبين المصريين الذين شكلوا البنية الأساسية للمجتمع. وتمثل هذا الإحتكاك في صورة الزواج بين الجنود الرومان ونساء مصر (وخاصة في الاسكندرية) وذلك رغم القوانين الرومانية التي تحرم على الجندي الزواج أثناء مدة خدمته العسكرية

بالإضافة إلى بعض النشاطات الاقتصادية إذ كان بعضهم يمتلك أراضى زراعية وبعضهم أصبح يقرض المال نظير فوائد معلومة. وساعد على تثبيت مثل هذا الوضع الظروف العسكرية التى شهدتها الامبراطورية الرومانية فى القرنين الأول والثانى الميلاديين والتى مالت كثيراً إلى السلام والاستقرار مما جعل النشاط العسكرى لجنود الحاميات الرومانية فى مختلف الولايات يتراجع ليأخذ المحل الثانى من ينظر لهم فى بعض الأحيان على أنهم يكونون طبقة اقتصادية واحدة وانتهى هذا التقارب بإصلاحات « دقلديانوس » فى نهاية القرن الثالث التى ألغت إمتيازات الأقليات أى السكندريين والرومان معاً .

وفى قاعدة الهرم الطبقى تأتى طبقة المصريين الذين اشتركوا جميعاً فى شئ واحد هو خضوعهم لضريبة الرأس بغض النظر عن نصيب كل منهم فيها حسب منزلته الاجتماعية . وباستثناء بعض الفئات المتميزة داخل هذه الطبقة نجد أن هؤلاء المصريون عاشوا حياتهم كما ألفوها منذ بداية عصر الأسرات فعبدوا نفس الآلهة وتكلموا نفس اللغة وتعرضوا لنفس المتاعب الاقتصادية، بل وأخذت هذه المتاعب تزداد حدة مع ثبات أقدام الرومان فى مصر. وتمثلت هذه المتاعب فى الضرائب المرهقة والتى أدت بالتالى إلى هروب العديد من زراع الأراضى من أراضيهم لعدم تمكنهم من مواجهة الضرائب الفادحة المطلوبة منهم مما شكل بالتالى خطراً يتهدد الاقتصاد المصرى كله ، ودفع هذا الخطر الحكام إلى توجيه نداء تلو النداء لعودة أصحاب الأراضى إليها ، وبلغ هذا الإتجاه ذروته عندما أصدر الإمبراطور كاركلا أثناء زيارته لمصر قراره بترحيل المصريين من الاسكندرية ما عدا ما تحتاجه المدينة منهم مثل تجار اللحوم والعاملون بالقوارب النيلية ومتعهدو وقود الحمامات.

بالإضافة إلى هذه العناصر الثلاث (الرومان والسكندريون، والمصريون) الذين شكلوا البنية الأساسية للمجتمع المصرى فى هذه الفترة وجدت جاليات أجنبية أخرى كما سبق القول كان أبرزها اليهود والذين اعتبروا من أقدم الفئات

التي سكنت مصر ومن أكثرها عدداً بالمقارنة بجاليات أجنبية أخرى وخاصة في الاسكندرية والتي تمتع اليهود فيها بمركز ممتاز أضفاه عليهم الرومان باعتبارهم جالية أجنبية كان يمكن للرومان استخدامها لصالحهم مما شكل استفزازاً مستمراً للسكندريين وتمثل هذا في العديد من المعارك بين الطرفين أشهرها كانت معركة عام ٣٨ بين السكندريين واليهود في عهد الامبراطور كاليجولا (١).

وكانت لليهود رابطة خاصة بهم (بوليتيوما) ومجلس للشيوخ (جيروزيا) كما تمتعوا بحرية العبادة لآلهتهم ومحاكم دينية خاصة بهم ورغم كل ذلك فلم ينظر إليهم كسكندريين فقد ظلوا ملزمين بدفع ضريبة الرأس كباقي المصريين.

أما باقي الفئات التي تواجدت في مصر بغرض وقتي أو حتى للاستيطان مثل الفينيقيين والليبيين وغيرهم فيبدو أنهم لم يحتفظوا لوقت طويل بشخصيتهم القومية بل اصطبغوا بالصبغة الإغريقية ثم ذابوا في المجتمع المصري ككل حيث أخذت صفة المصرية تتغلب تدريجياً على كل ماعداها من الصفات الأخرى.

القانـــون :

بقيت مصادر القانون في العصر الروماني على ماهي في العصر البطلمي فمازالت هناك شرائع القوميات المختلفة ومازال هناك التشريع والقضاء ، غير أن هذه المصادر قد طرأ عليها بعض التغيير ، فقد اتبع الرومان نفس المبدأ الذى سار عليه البطالمة من قبل وهو السماح لأفراد الجاليات المختلفة بتطبيق شرائعهم فيما بينهم ولم يحاولوا تطبيق القانون الروماني على سكان مصر ، فاستمر الإغريق في تطبيق قوانين دولتهم واليهود التزموا بأحكام شريعتهم بينما سار المصريون وفقاً لقانونهم.

---

(١) راجع : مصطفى كمال عبد العليم . اليهود في مصر في عصرى البطالمة والرومان ص ١٣٩ وما بعدها .

عبد اللطيف أحمد علي . المرجع السابق ص ٨٢ وما بعدها مصطفى العبادى . مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ١٠٢ - ٢١٦.

واستمرت الامبراطورية الرومانية على هذا المبدأ حتى عام ٢١٢ حين أصدر الامبراطور كركلا مرسومه الشهير الذى حمل اسمه ومنح بمقتضاه الجنسية الرومانية لكل الأحرار من سكان الامبراطورية ومن ثم اعتبر المصريون والإغريق واليهود مواطنين رومان خاضعين بالضرورة للقانون الرومانى وإن كان تطبيق هذا القانون قد سار ببطء في البداية أما الجالية الرومانية فى مصر فقد كان بديهياً أنها منذ البداية تخضع للقانون الرومانى بوصفه شريعتها القومية.

أما السلطة التشريعية فقد كانت فى يد الامبراطور والذى باشرها عن طريق المراسيم التى يصدرها وتوجه إلى الحكام والولاة لتنفيذها وكان للامبراطور حق تعميم مراسيمه وأحكامه على كل الأقاليم أو قصرها على إقليم أو ولاية بعينها كما كان له حق الفتوى فى المسائل القانونية التى تثير نزاع يصعب الوصول فيه إلى حل. وفيما يختص بمصر فقد أصدر الأباطرة الرومان على مر العهود العديد من المراسيم المتعلقة بالضرائب والتنظيمات الإدارية وتناول بعضها الآخر مسائل تتعلق بالقانون الخاص كالمراسيم التى تحرم الزواج بين الأقارب من الدرجة الأولى أو الثانية. وكان على والى مصر العمل على نشر المراسيم الصادرة من الامبراطور وضمان تطبيقها واحترامها واتخاذ كل الإجراءات ليكفل هذا التطبيق.

كما كان الامبراطور هو الجهة القضائية العليا فى الامبراطورية وبالتالى فمن حقه أن يفصل فيما يعرض عليه من قضايا مما كان يعطى حكم الإمبراطور قوة تتجاوز النزاع الذى صدر بشأنه ومن ثم كان يعتبر سابقة قضائية جديرة باتباعها.

وفيما يخص الجهات القضائية فى مصر فلا شك أنها لعبت دوراً فى تطوير القواعد القانونية وإن لم يكن فى الاستطاعة تحديد أبعاد هذا الدور بدقة[1].

---

(١) محمود سلام زناتى . المرجع السابق . صفحات ٣٥١ – ٣٥٨.

رابعاً : النظام الإدارى فى مصر تحت حكم الرومان :

اتبعت روما سياسة دائمة تجاه الولايات التى ضمتها إلى الامبراطورية الرومانية مؤداها الحفاظ على الأنظمة الإدارية القائمة فى هذه الولايات قبل الفتح، مع بعض التعديلات البسيطة - إن اقتضى الأمر - والتى تهدف أساساً إلى تأكيد ارتباط هذه الولايات بالامبرطورية الأم ، وهذا ماحدث فى مصر ، فقد أبقى الرومان على الهيكل الإدارى فى مصر - والذى كان طابعه الدائم هو المركزية الشديدة - باستثناء بعض التعديلات التى أجراها الإمبراطور سبتيموس سفيروس أثناء زيارته لمصر فى سنة ٢٠٠ ، ثم الإمبراطور دقلديانوس فى أواخر القرن الثالث الميلادى.

وبالضرورة كان النظام الإدارى فى مصر فى هذا الوقت لازال يحمل طابع النظام الفرعونى القديم ، ثم التعديلات التى أدخلها عليه البطالمة أثناء حكمهم لمصر ، ثم بعض تعديلات النظام الرومانى الجديد ، إلا أنه وطوال هذه القرون كان لازال يحمل طابع المركزية الشديدة .

ومن الناحية الإدارية نجد أن مصر قسمت إلى ثلاثة أقاليم Epistrategia على قمة كل إقليم منها يوجد قائد يسمى Epistrategos وأول هذه الأقاليم كان مصر العليا وسمى « طيبة » والثانى كان يسمى إقليم « السبع مقاطعات وأرسينوس » ، والثالث هو إقليم « الدلتا » أو مصر السفلى، ويأتى على رأس الأقاليم الثلاثة والى مصر « البريفتكوس » Praefectus Aegypti .

وكان مركز الإدارة هو الأسكندرية، فكانت مقراً للوالى ورؤساء الأقاليم أما رؤساء المقاطعات Strategoi فكان مركزهم فى مقاطعاتهم حتى يتمكنوا من الإشراف الفعلى على القرى الصغيرة التابعة لهم.

أما الشروط الوجب توافرها فى شاغلى هذه المناصب فبالنسبة للمناصب العليا كالوالى وكرؤساء الأقاليم كان يشترط أن يكونوا من طبقة الفرسان الرومان

لضمان ولاءهم للامبراطور ، أما المناصب الأقل أهمية كرؤساء المقاطعات فكان يتولاها من كان يحمل ثقافة يونانية أو من أصل يونانى، أما أقل المناصب فكانت للمصريين.

ومن الناحية المالية كان يساعد الوالى اثنان من كبار الموظفين أولهما كان يسمى Dioiketes ويشرف على الدخل العام المنتظم للولاية، والثانى وكان يسمى Idios Logos ويشرف على أى دخل استثنائى أو غير منتظم يدخل للولاية.

كما وجد مسئول مالى فى كل مقاطعة كان يلى رئيس المقاطعة فى الأهمية وسمى Basilikos Grammateos وكانت مهمته تنحصر فى مراقبة الضرائب بأنواعها والنشاط المالى لرئيس المقاطعة.

أما من الناحية القضائية فقد ظلت وظيفتين قضائيتين نعرفهما منذ العصر البطلمى موجودتين وهما « قاضى القضاة Archidicastes » والمستشار القضائى Juridicus وكانا يعملان كمساعدين للوالى فى الشئون القانونية والإدارية المحلية ، إلا أنه يبدو أن بعض التعديل قد حدث فى العصر الرومانى بالنسبة لطبيعة الوظيفتين فقد استولى « المستشار القضائى » على العديد من إختصاصات « قاضى القضاة » والذى تحولت وظيفته لتصبح إدارية قبل كل شئ كرئاسة دار المحفوظات التى تودع بها نسخ من جميع الوثائق الرسمية التى تبرم فى كافة أرجاء مصر وكان مقر عمله الاسكندرية.

وتمثل التنظيم الإدارى لبعض النواحى الدينية فى هدف واحد كان من الواضح أن الحاكم الرومانى قد وضعه نصب عينيه وهو محاولة إضعاف الكهنة كطبقة متميزة فى المجتمع المصرى، فى ذلك الوقت استطاعت أن تحقق لنفسها مكانة أدبية متميزة ثم دعمتها بالناحية الاقتصادية التى تمثلت فى سيطرتهم على أراضى شاسعة موقوفة عليهم أو أراضى خضعت لإشراف الدولة بينما استغل الكهنة ريعها فى الإنفاق على المعابد بالإضافة إلى إعفائهم من العديد من

الإلتزامات المالية المرهقة كضريبة الرأس والخدمات العامة مما جعلهم يعتمدون على قاعدة اقتصادية قوية بالإضافة لنفوذهم الأدبى لذا عمد الرومان إلى مصادرة العديد من أراضى الكهنة بينما أخضعوا البقية الباقية منها للإشراف الدقيق حتى تؤدى دورها فقط فى الإنفاق على المعابد وليس كوسيلة لزيادة ثراء الكهنة وأعادوا تنظيم ضريبة الرأس والخدمات العامة بحيث لم يعد معفياً منها إلا عدد قليل من الكهنة يحدد بدقة كل فترة، وهكذا ضمنت الإدارة الرومانية ولاء طبقة الكهنة لها بعد أن جردوا من قوتهم الاقتصادية ولم يعد لهم من مورد إلا المكافأة التى تصرفها الحكومة لهم. كما عمدت هذه الإدارة إلى تفتيت النفوذ الأدبى لهؤلاء الكهنة عن طريق إنشاء لجان تابعة للحكومة تدير المعابد وتشرف عليها وبذلك تجنب الحاكم تركيز السلطة الدينية في يد شخص واحد من الممكن أن يتضخم نفوذه الأدبى والدينى حتى يصبح خطراً على الحكم الرومانى فى مصر .

أما من الناحية العسكرية فقد اختلف الوضع فى مصر الرومانية عنه فى مصر البطلمية، ففى عهد البطالمة نجد أن الموظفين المدنيين كرؤساء المقاطعات ومديرو الأقاليم قد تمتعوا بقدر من السلطة العسكرية مما عد بشكل من الأشكال تقسيماً للسلطة بين الملك ومعاونيه، إلا أن نظام الإدارة الرومانية الذى اتسم بطابع المركزية الشديدة فصل الفصل التام بين السلطتين المدنية والعسكرية، فبرغم إحتفاظ الموظفين المدنيين بألقابهم العسكرية إلا أنهم جردوا تماماً من أى سلطة عسكرية وأصبح المسيطر تماماً هو الوالى الرومانى على كل القوات المنتشرة فى أنحاء مصر مما شكل تأكيداً على شكل الحكومة المركزية الرومانية.

النظم الإدارية للمدن اليونانية فى مصر
فى العصرالرومانى

كما أبقى الرومان على النظام الإدارى المصرى المركزى وزادوا من مركزيته فقد أبقوا على المدن اليونانية الأربع التى وجدت فى عصر البطالمة – باستثناء نقراطيس التى يعود تاريخ إنشائها إلى حوالى نهاية القرن السابع ق.م. – وهى

الاسكندرية وبراتيونيوم وبطلمية ونقراطيس بل وزادوا عليها مدينة خامسة هي انتينوبوليس التي أنشأها الامبراطور هادريان في عام ١٣٠م . أى بعد مايقرب من مائة وستين عاماً من فتح الرومان لمصر.

ويبدو أن المدن الثلاثة نقراطيس وبرايتونيوم وبطلمية قد احتفظت في العصر الروماني بنظام المدينة اليونانية، فكان لكل مدينة من الثلاثة حكام يتم إختيارهم بالإنتخاب ومجلس تشريعي ومواطنة خاصة بها. أما مدينة أنتينوبوليس التي أسسها الامبراطور هادريان على أنقاض مدينة مصرية قديمة تسمى « بسوى » تخليداً لذكرى أحد أصدقائه الذى كان يدعى « أنتينوس » وكان قد مات غرقاً في نفس الموقع، فقد كانت شاهداً على مدى إهتمام هادريان بالحضارة اليونانية وكان لها – أى المدينة – نظام للحكم المحلى ومجلس تشريعى، ويسكنها بعض اليونانيون من مدينة بطلمية فى إقليم طيبة وبعض من سكان منطقة الفيوم ثم الجنود الرومان المسرحون من الجيش الرومانى، وقد منح هؤلاء السكان إمتيازاً لم يحصل عليه أحد من سكان المدن اليونانية الأخرى وهو حق الزواج من المصريين.

أما الإسكندرية فلقد حدث فى نظامها الإدارى بعض التغيير طبقاً لمفاهيم الإدارة الرومانية الجديدة ، فقد ألغى الإمبراطور أوغسطس فى بداية الفتح الرومانى لمصر المجلس التشريعى للاسكندرية « مجلس البولى » [1]. وكان هذا المجلس يعتبر ركناً هاماً من نظام المدن اليونانية فى مصر ، وربما تم هذا الإلغاء لتأكيد تبعية أهالى الإسكندرية للدولة الرومانية ، إلا أن السكندريين كتعويض لهم عن هذا الإلغاء اعفوا من ضريبة الرأس كما أصبحت مواطنة مدينة الإسكندرية هى الخطوة الأولى للحصول على المواطنة الرومانية ولهذا شكل السكندريين طبقة متميزة فى مصر . وكانت السلطة المدنية فى الإسكندرية مركزة فى أيدى

(١) دعت قلة المعلومات عن هذا المجلس بعض الباحثين إلى إنكار وجوده حتى فى العصر البطلمى ، ولمزيد من المعلومات عن الموضوع راجع كتاب « ميلن » عن مصر تحت الحكم الرومانى صفحات ٢٨٢ وما بعدها .

الموظفين التابعين للحاكم الرومانى كما أصبح النظام القضائى بدوره تابعاً للسلطة المركزية ، وحتى منح مواطنة الإسكندرية لغير السكندريين كان حقاًمن حقوق الإمبراطور وليس المدينة.

إصلاحات النظم الإدارية فى القرن الثالث

إستمر النظام الإدارى لمصر والذى إتسم - كما سبق القول - بالمركزية الشديدة يعمل حتى قرب نهاية القرن الثانى الميلادى حيث أخذت تتكشف عيوبه ومواطن القصور فيه عاماً بعد آخر . فطبقاً للسياسة الإقتصادية التى إتبعتها روما فى مصر من إستمرار جباية الجزية المفروضةعليها دون النظر لطبيعة الظروف الإقتصادية التي تمر بها البلاد مما شكل إستنزافاً مستمراً لموارد مصر ، أصبحت الوظائف العامة والأعباء الإدارية والخدمات العامة التى لا يدفع عنها أجر تمثل عبئاً كبيراً على شاغليها مما أدى للعديد من حالات التهرب من تأدية مثل هذا الأعباء وبالتالى أصبح هيكل النظام الأدارى كله قابلاً للسقوط .

وحوالى بداية القرن الثالث (١١٩ - ٢٠٢) زار مصر الأمبراطور سبتيموس سفيروس وأقر بحق مدينة الأسكندرية وعواصم المقاطعات فى إقامة المجالس التشريعية الخاصة بها «مجالس البولى » وللوهلة الأولى قد يبدو مثل هذا الأصلاح وكأنه تراجع عن النظام المركزى فى إدارة مصر وإعطاء بعض الحرية لأهالى البلاد فى إدارة شئونهم ، إلا أن النظرة الواقعية للأمور مع عدم إغفال الأحوال الإقتصادية المتردية تظهر بوضوح أن هذا التغير لم يهدف أساساً الى زيادة الحرية السياسية للأهالى بقدر ما هدف إلى إلقاء تبعة الإدارة على أعضاء مجالس البولى وإزاحتها عن كاهل الإدارة المركزية بل مشاكلها الإقتصادية والتى هددت بإنهيار الهيكل الإدارى بكامله كما سبق القول . هذا بالإضافة إلى أن هذا التغير لم يضعف من سيطرة الحكومة المركزية على المقاطعات وعواصمها لأن إختيار أعضاء مثل هذه المجالس التشريعية لم يكن بالإنتخاب وإنما كان من سلطة الوالى

الروماني وكانوا في الأغلب، الأعم من الموظفين السابقين أو الموجودين فعلاً أو المرشحين لوظائف وبالتالي فإن هذا التغير في جوهره لم يضف جديداً إلى الشكل الإداري سوى إلزام أعضاء هذه المجالس بشغل الوظائف الإدارية التي تهرب منها البعض فيما مضى .

وفي نفس الإتجاه وهو محاولة الإصلاح الإداري الذي إستهدف أساساً إنقاذ الوضع الإقتصادي المتردي أصدر الإمبراطور كاركلا مرسومه الشهير في ٢١٢ م. بمنح المواطنة لجميع السكان الأحرار في الإمبراطورية (وضمنها مصر بطبيعة الحال)وبذلك أصبح جميع المواطنون الرومان الجدد (ومنهم المصريون) ملزمون بالخضوع لضريبة (الخمس) الشهيرة على أيلولة التركات ولكن دون أن يجني المصريون إمتيازاً على وجه الخصوص لأنهم إستمروا خاضعين لضريبة الرأس . ومن الناحية العملية في مصر نجد أن مرسوم كاركلا قد ألغى جميع الإمتيازات التي تمتع بها الرومان والسكندريين كالتمتع بالأعفاء من ضريبة الرأس والخدمات العامة وأصبح الجميع ملزمون بالدخول في المجالس أو من هم مكلفون بملء هذا الفراغ ولم يستثن من هذا سوى مواطني مدينة أنتينوبوليس الذين ظلوا حتى عام ٢٤٥م . يتمتعون بإمتياز قديم يقضي بألا يجبر أحد منهم على شغل أي منصب عام أو خدمات إجبارية خارج مدينته حتى ألغى هذا الإمتياز في ٢٤٥ م.

وفي سنة ٢٩٧ م. إتجه الإمبراطور دقلديانوس إلى أعطاء التنظيم الإداري المصري صفة المحلية وذلك عن طريق إعادة تقسيم مصر إلى أربعة أقسام هي : مقاطعة ليبيا ، إقليم شرق الدلتا والمقاطعات السبع ، إقليم غرب الدلتا ، وإقليم طيبة . وكان الهدف من إعادة التقسيم هو خلق حكومات محلية في الأقاليم الأربع تصبح هي الحاكم الفعلي والمركز الوحيد للإدارة حتى يمكن تجنب إزدواجية الإدارة ، ويقتصر دور الحكومة المركزية على كونها الصلة بين هذه الحكومات المحلية وبين الحكومة الأم في روما .

إلا أننا لا يجب أن نغفل هنا نقطة هامة هى أن الإتجاه إلى إعطاء الولايات الخاضعة للحكم الرومانى كمصر بعضاً من حرية الحركة لم يأت عن إقتناع أو عقيدة سياسية معينة وإنما كان ضرورة حتمية فرضتها الظروف التى أحاطت بالإمبراطورية الرومانية فى ذلك الوقت نتيجة الصراعات الداخلية على العرش والعجز عن الإشراف الحازم القوى على الجهاز الإدارى المركزى الذى إتسمت به الفترة الأولى من حكم الرومان ، وبدايات تفكك الإمبراطورية وعلامات إنهيارها.

الفصل الثالث

مصـر وبيزنطـة

الفصل الثالث

مصر وبيزنطة

حتى أواخر القرن التاسع عشر كان عام ٤٧٦ يحمل أهمية خاصة حيث اعتبره العديد من المؤرخين نهاية للامبراطورية الرومانية، عندما استطاع القائد الجرمانى «أودواكر Odoacer» أن يسقط الامبراطور رومولوس أوغسطولوس آخر اباطرة روما عن عرشه فى الغرب، وأن يستولى على مقاليد السلطة فى إيطاليا[١]. ويرتب هؤلاء المؤرخون على ذلك نهاية الإمبراطورية الرومانية الغربية، وإستمرار إمبراطوريتين الرومانية الشرقية، وينبع هذا الرأى من الإعتقاد السائد بوجود امبراطورية رومانيتين فى سنة ٣٩٥ عقب وفاة الأمبراطور ثيودوسيوس الأول وتقسيم الإمبراطورية بين ولديه أركاديوس فى الشرق، وهونوريوس فى الغرب[٢].

إلا أنه يبدو أن التقسيم الذى حدث فى عام ٣٩٥ ونتج عنه ظهور إمبراطورية رومانية غربية وأخرى شرقية لم يعدو أن يكون تقسيماً لإدارة الحكم فى الامبراطورية الرومانية وليس تقسيماً لها، فقد كان كل من الإمبراطورين الغربى والشرقى يعترفان بنفس القوانين ومبادىء الحكومة والتقاليد الرومانية[٣].

ولم تكن نهاية الإمبراطورية الرومانية الغربية والتى حدثت فى ٤٧٦ بالظاهرة الفريدة، ففى الواقع لم يزد الأمر عن خضوع إقليم معين لسيادة حاكم جرمانى، ربما كانت صدمة كبيرة أن تقوم هذه المملكة الجرمانية الجديدة فى إيطاليا مركز الإمبراطورية الرومانية الغربية الأصلى والرئيسى، إلا أن هذا الأمر لم يكن جديداً

---

(1) C. Oman, The Dark Ages, European History (476 - 918), pp. 2 - 3.

(٢) تم الاعتماد فى الجزء التالى عن بدايات الإمبراطورية البيزنطية والآراء المتعددة حول هذا الموضوع على المقدمة الضافية التى قدم بها د. رأفت عبد الحميد ترجمته لكتاب «ج.م. هسى» عن «العالم البيزنطى».

- «ج.م. هسى» العالم البيزنطى ، ترجمة د. رأفت عبد الحميد، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤، ص ص ٩ — ٨٢.

(٣) نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ى.

كل الجدة، فقد كانت السيادة للجرمان على ايطاليا مسألة حدثت عدة مرات، بل لقد خلا العرش فى الجزء الغربى من الإمبراطورية لعدة سنوات فى الفترة السابقة على عام ٤٧٦، ويضاف إلى هذا أن روما وإيطاليا قد أخذتا تفقدان أهميتهما تدريجياً خاصة بعد أن أسس قسطنطين الأول عاصمته الجديدة على شاطىء البوسفور.

ويبدو أن أحداً لم يشعر أن الإمبراطورية الرومانية الغربية قد انتهت فى ٤٧٦ أو أن ايطاليا أصبحت خارج نطاق الإمبراطورية بعد هذا التاريخ، ومما يدعم هذا الإفتراض أن الامبراطور زينون حاكم الجزء الشرقى من الامبراطورية استقبل فى عام ٤٧٧ وفداً يمثل «أودو آكر» حاكم ايطاليا الجرمانى يطلب اليه ان يعتبر «أودو آكر» نائباً له فى حكم ايطاليا، ورغم رفض زينون لهذا الطلب، إلا أن القائد الجرمانى استمر يحكم ايطاليا بإعتباره ملكاً، ولم يكن أمام زينون إلا أن يغض الطرف عن ذلك[1].

وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت الأجزاء التى تكون الشق الغربى من الامبراطورية الرومانية قد أصبحت تحت السيادة الفعلية للجرمان. وهكذا ندرك أن ضياع سيادة روما على إيطاليا لم يكن شيئاً جديداً، ومن ثم يصبح القول بسقوط الإمبراطورية الرومانية عام ٤٧٦ بعيداً عن الحقيقة، فقد كانت هناك دائماً إمبراطورية رومانية واحدة، سواء كان على عرشها إمبراطور واحد أو إثنان أو حتى ستة أباطرة مثلما حدث فى عام ٣٠٨. لقد ظلت نظرية الدولة الواحدة قائمة دون تغيير، وانتقلت حقوق الحاكم الغربى من تلقاء نفسها إلى صاحب العرش فى القسطنطينية، ورغم أن السلطة الفعلية فى الغرب كانت فى يد الجرمان، إلا أن كل رومانى، وبصفة خاصة الاباطرة في القسطنطينية كانوا يعتبرون الإمبراطورية الواحدة لازالت قائمة[2].

---

(1) A.H.M.Jones, Later Roman Empire , Vol.I, p. 245.

– راجع أيضا: هسى . المرجع السابق. ص ص ١٠ – ١١.

(٢) بينز، المرجع السابق، ص ى.

ويرى المؤرخ الشهير ادوارد جيبون أن الامبراطورية الرومانية قد إستمرت متواجدة حتى عام ١٤٥٣ حينما استولى السلطان محمد الفاتح السلطان العثمانى التركى على القسطنطينية، إلا أن هذا التواجد لم يخرج عن كونه حركة تدهور وإنحطاط مستمر بدأت منذ القرن الثانى الميلادى واستمرت حتى القرن الخامس عشر.

أما المؤرخ بيورى فرغم أنه يتفق مع جيبون فى القول بإستمرارية تواجد لإمبراطورية الرومانية مستشهداً فى ذلك بتتابع الاباطرة دون إنقطاع بدءاً من أوغسطس وحتى قسطنطين الحادى عشر باليولوجوس، إلا أن يرفض القول ببداية الإمبراطورية بيزنطية، ففى رأيه أن الإمبراطورية الرومانية لم تنته إلا فى ١٤٥٢، وإذا أتى ذكر لحديث عن «فن بيزنطى» أو «حضارة بيزنطية، فهو فى الحقيقة حديث عن الدولة التى اتخذت من القسطنطينية عاصمة لها والتى لايجد «بيورى» خيراً من تسمية «الإمبراطورية الرومانية» للتعبير عنها.

أما أرنولد توينبى فهو يرى عكس ذلك، إذ يفترض أن الإمبراطورية الرومانية قد ماتت اواخر القرن السادس، وان القرن السابع الميلادى قد شهد مولد إمبراطورية جديدة بإعتلاء الإمبراطور «ليو الثالث» العرش وتأسيسه للأسرة الإيزورية، ويرى توينبى أن هده الإمبراطورية الجديد تمثل رد فعل المسيحية الشرقية تجاه التهديد الاسلامى الجديد، وأنها لم تكن إستمراراً للإمبراطورية الرومانية القديمة أو إمتداد لها، إلا فيما يخص المحافظة على الشكل الإمبراطورى في الحكم، والإدارة المركزية لمواجهة الظروف المتغيرة[1]

إلا أننا لايمكن أن نتجاهل مجهودات الإمبراطور جستنيان فى النصف الأول من القرن السادس والتى بذلها من أجل إستعادة الأراضى التى اغتصبها الجرمان فى النصف الغربى من الإمبراطورية الرومانية. وقد نجح جستنيان بالفعل فى إستعادة ايطاليا وصقلية وسردينيا وكورسيكا ودلماسيا وافريقيا وجزر البليار وجزءاً من

(١) هسى. المرجع السابق. ص ص ٢١ ٢٢

فمنذ وفاة جستنيان عام ٥٦٥ كانت الإمبراطورية الرومانية تكاد تسيطر على أغلب املاكها السابقة فى الغرب بإستثناء غالة (فرنسا) وبريطانيا واغلب اسبانيا.

ورغم أن القبائل اللومباردية قد تمكنت من إجتياح شمال ايطاليا بعد ثلاث سنوات من وفاة جستنيان، إلا أن أباطرة القسطنطينية ظلت لهم السيادة – ولو من الناحية النظرية – على ايطاليا[١].

وهكذا يمكن القول أن الإمبراطورية الرومانية القديمة لم تنته أواخر القرن السادس، لتولد إمبراطورية جديدة فى القرن السابع كرد فعل للخطر الإسلامى طبقاً لرأى توينبى، فالفرس كانوا يمثلون الخطر التقليدى تجاه الرومان، فلما وضع المسلمون حداً لهذا الخطر، حلت الدولة الإسلامية الجديدة محل الفرس فى العداء للإمبراطورية.

فالمتتبع لتاريخ الإمبراطورية الرومانية خلال الفترة من القرن الرابع وحتى السابع يستطيع أن يلمح عناصر جديدة ومؤثرات وتفاعلات تركت بصمات واضحة على أوجه الحياة السياسية والإدارية والإقتصادية والإجتماعية والفنية والعقائدية، حتى اذا حل القرن السابع امكن التعرف على هذه الملامح الجديدة دون عناء[٢].

ومن المؤكد أن تحول الإمبراطورية الرومانية إلى الديانة المسيحية كان عاملاً هاماً فى إحداث هذا التغير، فقد أصبح على الإمبراطورية فى مطلع القرن الرابع ان تختار بين طريقين فى علاقتها بالمسيحيين، إما أن تستمر فى السياسة التعسفية التى انتهجتها على مدى ثلاثة قرون واثبتت الأحداث عدم جدواها، وإما أن تفتح ذراعيها للعقيدة الجديدة وتحاول توظيف معتنقيها لخدمتها، وهو الاختيار الذى آمن به الامبراطور قسطنطين وقام بتنفيذه.

ولايخفى على أى دارس للتاريخ الرومانى الأثر الواضح الذى تركته المسيحية

(١) المرجع السابق، ص ص ٢٢ – ٢٥.
(٢) نفسه، ص ٢٧.

على مختلف ميادين الفكر والفن والحياة الاجتماعية، وقد بالغ بعض المؤرخين فى هذا الأثر إلى الحد الذى جعل ادوارد جيبون مثلاً يبنى نظريته حول اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية، أو على الأقل جانباً كبيراً منها، على هذه المبادىء المسيحية(١).

لهذا فقد اصطلح العديد من المؤرخين على إتخاذ القرن السابع بما حمله من ملامح متميزة، بداية طبيعية لما عرف بالامبراطورية البيزنطية(٢)، هذا رغم أن البعض الآخر يعود بهذه البداية إلى تاريخ اسبق بكثير، فالبعض يقترح عام ٢٨٤ بداية لهذه الامبراطورية - وهو العام الذى تولى فيه الإمبراطور دقلديانوس الحكم انطلاقاً من محاولته لبعث الروح الخامدة فى الإمبراطورية عن طريق العديد من الإصلاحات السياسية والإدارية رغم جنوحه فى أواخر حكمه - لأسباب سياسية - إلى اضطهاد المسحيين كما يقترح البعض الآخرعام ٣٢٣ الذى تولى فيه الإمبراطور قسطنطين الحكم تاريخاً لبدء الإمبراطورية البيزنطية انطلاقاً من اعترافه بالمسيحية كديانة رسمية ضمن الديانات الأخرى التى حفلت بها الإمبراطورية الرومانية(٣).

وبعيداً عن محاولة وضع تاريخ محدد لبدء مايعرف بالإمبراطورية البيزنطية يغلب عليه بالضرورة الجانب السياسى والإدارى فقد يمكن القول هنا ببدء عصر جديد هو امتداد بلاشك لعصر سيادة حضارة روما إلا أنه حمل بذرة جديدة هى الديانة المسيحية بكل ماتركته من بصمات على النواحى السياسية والإدارية والفنية والأدبية والعقائدية، وما استتبع ذلك من سياسات جديدة تجاه الإمبراطوريات الموجودة كالفرس أو الدول الجديدة الفتية كالدولة الإسلامية، ولهذا فقد يكون من الأفضل إستعمال اصطلاح «عصر بيزنطى» بدلاً من إمبراطورية بيزنطية، وهو العصر الذى أستمر حتى سقوط القسطنطينية فى ١٤٥٣ على يد السلطان محمد الفاتح.

(١) المرجع السابق، ص ص ٣١ - ٣٢ قارن أيضا: ادوارد جيبون، اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية، الجزء الثانى، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٢) راجع القائمة التى اوردها د. رأفت عبد الحميد فى مقدمته لترجمة هسى، المرجع السابق، ص ٤٤ وحاشية ٤٤.

(٣) مصطفى العبادى، الإمبراطورية الرومانية، ص ٢٤٣ ومابعدها.

ظروف الحياة فى مصر
فى العصر البيزنطى

الظروف السياسية والإدارية:

انتشرت المسيحية في مصر إنتشاراً سريعاً، إلا أن هذا الإنتشار لم يتم بسهولة، وإنما أخذ شكل صراع بين المسيحية والوثنية على الصعيد الدينى، ثم صراع بين قسم لايستهان به من الشعب المصرى الذى اعتنق المسيحية وبين حكامه من الرومان الوثنيين على الصعيد السياسى، ثم صراع بين المسيحيين من المصريين وحكامهم من الاباطرة المسيحيين بسبب الخلاف المذهبى الدينى.

وقد كان للإسكندرية الزعامة الدينية في الشرق المسيحى، وفى مصر نشأت ظاهرة الرهبنة التى أخذها عنها العالم المسيحى فيما بعد، وفى مصر أيضاً ظهر أعظم وأشهر رجال الفكر المسيحى[1].

وقد حكم مصر اباطرة الرومان سواء من روما أو من بيزنطة (التى أعاد الإمبراطور قسطنطين تشييدها وعرفت بالقسطنطينية) فى الفترة من ٣٠ ق.م وحتى ٦٤١ ميلادية، وفى حديثنا عن ظروف الحياة السياسية والادارية فى مصر تحت الحكم البيزنطى قد يكون من المستحسن أن نبدأ بعصر دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥) على إعتبار أن ملامح ما اتفقنا على تسميته بالعصر البيزنطى كانت قد بدأت تتضح فى هذه الفترة بالإضافة إلى محاولة دقلديانوس لبث روح وحياة جديدة فى الإمبراطورية الرومانية عن طريق اصلاحاته السياسية والادارية. وقد اعتلى دقلديانوس العرش فوجد نفسه أمام مجموعة من القوانين والنظم تسير عليها الإمبراطورية ولاتتماشى مع حاجة العصر فحاول أن يعالج الموقف بإدخال تغييرات أساسية فى سياسة الدولة ليتفادى الإنهيار المتوقع للإمبراطورية، فقد فصل بين السلطتين المدنية والعسكرية فى الولايات، ثم قسم الولايات الكبرى إلى عدد من

(١) مراد كامل، حضارة مصر فى العصر القبطى، ص ص ٧ - ٨، ٢٨ - ٣٠.

الولايات الصغرى ليخفف العبء الادارى عن كاهل الإدارة المركزية، كما حاول إصلاح نظام العملة لمنع تدهورها، وأصدر قائمة تحدد أسعار السلع الضرورية فى انحاء الامبراطورية وإن كان التجار – كما هو متوقع – قد قاوموها حتى اضطرت الحكومة إلى غض الطرف عنها، كما حاول أن يوجد نظام ضرائبى جديد موحد بدلاً من الانظمة الضرائبية المتعددة التى كانت تسود أرجاء الامبراطورية، كما حاول أيضا أن ينظم مسألة وراثة العرش(١).

أما الفترة من قسطنطين إلى جوستنيانوس (٣٢٣ – ٥١٨) فقد شهدت الإعتراف بالمسيحية وظهور القسطنطينية كعاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية والتى كانت آخذه فى النمو والازدهار بخطى سريعة، وأضفى قسطنطين الصبغة النهائية على إصلاحات دقلديانوس وفى عهده أصبح للعصر البيزنطى طابعه الخاص فإنحصرت السلطة الإدارية فى البلاط الامبراطورى الذى تحول إلى مركز للدولة. وقد تميزت هذه الفترة بكثرة القلاقل والإضطرابات وتوزع السلطة مابين امبراطور واحد وامبراطورين احدهما فى الشرق والآخر فى الغرب هذا بالإضافة إلى هجمات القبائل البربرية المستمرة على الجزء الغربى من الإمبراطورية وأثره المدمر.

وتلى هذه الفترة التى انتهت فى ٥١٨ ميلادية فترة جديدة إستمرت من ٥١٨ إلى ٦١٠ ميلادية وشهدت حكم أسرة جوستنيانوس والتى بدأت بجوستنيانوس الأول الذى بدأ مع اعتلاءه للعرش يتطلع إلى الغرب محاولاً إستعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية واستنفذ جزءاً كبيراً من جهده فى محاولة بعث الحياة فى هذا الجزء الميت من الإمبراطورية. واشتهر جوستنيانوس بأعماله التشريعية التى عرفت باسم «مجموعة قوانين جوستنيانوس» والتى تنقسم إلى أربعة اجزاء:

١– مدونة جوستنيانوس التى نشرت فى عام ٥٢٩ ثم أعيد نشرها فى عام ٥٣٤ وهى عبارة عن مجموعة تشريعات الاباطرة التى كانت لاتزال سارية.

(١) مصطفى العبادى، المرجع السابق، ص ص ٢٤٤ – ٢٤٧.

٢- البندكت أو المجمل ونشر عام ٥٣٣ وتضمن مقتطفات من كتابات فقهاء القانون الرومانى تسد أى نقص لم يرد ذكر له فى مدونة جوستنيانوس.

٣- القوانين وكانت كتاباً موجزاً وضع لإستخدام طلبه القانون.

٤- النوفيلاى أو المراسيم الجديدة التى أصدرها جوستينانوس وعددها ١٦٨ وقد نشرت الأجزاء الثلاثة الأولى من مجموعة جوستنيانوس القانونية باللغة اللاتينية أما الجزء الرابع والأخير فقد نشر باللغة اليونانية.

كما قام جوستنيانوس بالعديد من الإصلاحات الداخلية مثل إلغاء الوظائف الزائدة عن الحاجة ورفع مرتبات الموظفين وإعادة الجمع بين السلطتين المدنية والعسكرية التى كان دقلديانوس قد فصل بينهما فيما مضى.

كما أسرف جوستنيانوس فى تعبيد الطرق وانشاء الحصون والقلاع وبناء العديد من الكنائس والاديرة مما يعطى ايحاءاً بالرخاء الذى ساد الدولة فى عصره، إلا أن هذه المشروعات استنزفت قدراً لايستهان به من دخل الإمبراطورية مما اضطره إلى التوقف عنها بعد أن اثقل كاهل الشعب بالضرائب[١].

أما خلفاء جوستنيانوس فقد ورثوا مشاكل الامبراطورية المالية ومايرتبط بها من فساد الادارة وهو الأمر الذى ظهر بشكل واضح فى مصر التى ساءت حالتها الإقتصادية وفسدت الادارة فيها، ولعل أشهر من أتى من أباطرة القسطنطينية بعد جوستنيانوس كان هرقل، ولاتأتى شهرته من أعمال قد قام بها بقدر ماتأتى من ارتباطه بظهور الإسلام وفتح العرب لمصر فى ٦٤١ ميلادية على يد عمرو بن العاص وهو الفتح الذى رحب به أهل مصر فراراً من أوضاعهم المتردية فى ظل الحكم الرومانى.

---

(١) مراد كامل، المرجع السابق، ص ٩ - ١٤

قارن أيضا: مصطفى العبادى، المرجع السابق، ص ٢٤٧ - ٢٦٣

ومن الناحية الادارية يمكن القول أن مصر قد مرت بمرحلتين حاسمتين طبعا النظام الادارى فيها بطابعهما هما اصلاحات دقلديانوس الادارية ثم اصلاحات جوستنيانوس:

أولا: اصلاحات دقلديانوس الادارية:

عندما تولى دقلديانوس العرش كان أول ما أتجه إليه هو فصل السلطة المدنية عن السلطة العسكرية كما سبق القول كما قرر العمل بمبدأ اللامركزية فى إدارة الامبراطورية حتى يخفف العبء عن الادارة المركزية فى العاصمة،ثم أنشأ وحدات إدارية جديدة تمثل حلقة الوصل بين الادارة المركزية فى العاصمة وادارة الولايات سميت «دوقيات» وقسم الامبراطورية الرومانية إلى إثنى عشر دوقية هى:

١- بريطانيا.

٢- بلاد الغال وشملت شمال فرنسا وهولندا.

٣- فيينسيس أو جنوب فرنسا.

٤- أسبانيا مع البرتغال ومراكش.

٥- ايطاليا مع صقلية وسردينيا وكورسيكا.

٦- أفريقيا وهى تشمل الجزائر وتونس وطرابلس.

٧- بانونيا أو غرب شبه جزيرة البلقان.

٨- موسيا أو وسط شبه جزيرة البلقان.

٩- طراقيا أو شرق شبه جزيرة البلقان.

١٠- أسيانا أو جنوب غرب أسيا الصغرى.

١١- بونتيكا أو شمال شرق أسيا الصغرى.

١٢- دوقية الشرق وشملت كيليكيا وسوريا وفلسطين ومصر وقورينة.

من هذا يتضح أن مصر كانت تقع ضمن دوقية الشرق، وإستمراراً من دقلديانوس فى اصلاحاته اعاد تقسيم مصر إلى عدة ولايات صغرى شملت ولاية مصر الجوبيترية وتضم الإسكندرية ومنطقة غرب الدلتا، وولاية مصر الهرقلية وتضم شرق الدلتا ومصر الوسطى، وولاية طيبة وتضم مصر العليا، وولاية ليبيا التى تضم الصحراء الغربية[1].

وتم تعيين حاكم لكل ولاية، إلا أن حاكم ولاية مصر الجوبيترية الذى اتخذ من الاسكندرية مركزاً له يبدو أنه قد تمتع بقدر أكبر من السلطات تفوق فيه على نظرائه من حكام الولايات الثلاث الأخرى، وكان حكام الولايات جميعاً يخضعون للمشرف على دوقية الشرق الذى اتخذ لقب «كونت» والذى خضع بدوره لإمبراطور القسطنطينية. يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الحكام لم تكن لهم أى سلطة عسكرية فقد كانت سلطتهم مدنية بحتة إنطلاقاً من مبدأ دقلديانوس فى الفصل بين السلطات، اذ كانت الحامية الرومانية التى تسيطر على مصر تخضع لقيادة قائد عسكرى مستقل تماماً عن السلطة المدنية.

وإستمر هذا النظام الادارى يسود مصر خلال الفترة من القرن الرابع وحتى الثلث الأول من القرن السادس حين أصدر جوستنيانوس قانونه الثالث عشر الشهير فى ٥٣٨ والذى سعى فيه إلى تقوية الادارة المباشرة عن طريق توحيد السلطة المدنية والعسكرية وتركيزها فى يد حاكم كل ولاية، هذا رغم أن الواقع قال بغير ذلك، اذ أن قوة هؤلاء الحكام العسكرية كانت عاجزة أمام أى خطر حقيقى يهدد البلاد، وقد اتضح هذا تماماً أمام الفتح العربى لمصر والتى سقطت دون مقاومة تذكر[2].

---

(1) A. H.M Jones, Cities of The Eastern Roman Provinces, pp 338 - 350.

قارن : السيد الباز العرينى، مصر البيزنطية ، ص ٨١ - ٩٥ ، ١٥٥ - ١٧٧

راجع أيضا: مصطفى العبادى، المرجع السابق، ص ٢٦٥ - ٢٦٧

مراد كامل، المرجع السابق، ص ١٧ - ١٨

(٢) مصطفى العبادى، المرجع السابق، ص ص ٢٦٧ ٢٧١

الظروف الإقتصادية:

لما كان العصر البيزنطى هو إمتداد لحكم الرومان لمصر فبالتالى لم تتغير سياسة بيزنطة أو القسطنطينية المالية تجاه مصر عن السياسة الرومانية قبل ذلك، وإستمرت عملية الاستنزاف المستمر لثروات الشعب المصرى، أما التغير الوحيد الذى حدث هو أن ناتج عملية الاستنزاف المستمر للثروات المصرية بدلاً من أن يذهب إلى روما أصبح يوجه إلى بيزنطة أو القسطنطينية.

وهكذا فلم تتناقص الضرائب طوال العصر البيزنطى عما كانت عليه من قبل، بل احيانا ماكانت تتزايد باضطراد، فساءت حالة الشعب حتى أخذ الناس فى الهروب والإلتجاء إلى الصحراء هرباً من قسوة جامعى الضرائب.

وعلى العكس مما هو منطقى أو مفترض فقد كانت أكثر الإلتزامات تقع على عاتق صغار الملاك الذين ازداد عددهم عبر حكم الرومان لمصر بسبب تشجيع الرومان للملكيات الخاصة، إلاَّ أن ظلم الحكومة البيزنطية أضطرهم إلى التنازل عن اراضيهم لجيرانهم من الأثرياء أو ذوى النفوذ، وبالتالى أخذت طبقة صغار الملاك تختفى خلال القرن الخامس حتى لم يعد لها وجود فى القرن السادس[1].

وهكذا أصبحت ثروة مصر الزراعية مركزة فى أيدى قلة من كبار الملاك يتحكمون فى مقدرات الاقتصاد المصرى، ولم ينافس هذه القلة إلا الاديرة المسيحية التى أخذت تضيف بإستمرار أملاكاً جديدة إلى أراضيها حتى أصبحت بعض الأقاليم تخضع تماماً لسلطان الاديرة التى ساعدها على ذلك الاعفاء الذى تمتعت به من الضرائب الباهظة التى فرضت على بقية المصريين.

وقد ظهرت فى العصر البيزنطى ظاهرة غريبة لم تعرفها الفترات السابقة —وإن جاءت كنتيجة منطقية للنظام التعسفى فى جمع الضرائب – الا وهى ظاهرة (الحماية) وملخصها أن صغار الملاك فى ظل عجزهم عن الاستمرار فى دفع

(١) مراد كامل، المرجع السابق، ص ص ٢١ – ٢٢

الضرائب الباهظة كانوا يلجأون إلى طلب (حماية) أحد كبار الملاك أو أصحاب النفوذ فى منطقتهم مقابل تعهده بدفع الضرائب المطلوبة، وهكذا تحول صغار الملاك إلى اتباع ثم رقيق أرض يستأجرون من اسيادهم الأرض التى كانوا يمتلكونها، وبالمقابل شهد العصر تضخم الإقطاعيات الزراعية على حساب الملكيات الصغيرة[1].

أما من ناحية الصناعة والتجارة فقد استمرت الإسكندرية فى العصر البيزنطى تحتل مكانة هامة رغم أن سوء الأحوال العامة واستمرار الاضطهادات كان له أثر واضح على قدرة البلاد الانتاجية وعلى نوعية الانتاج نفسه.

فصناعة الزجاج التى اشتهرت بها مصر الفرعونية واستمرت مزدهرة تحت حكم البطالة والرومان استمرت موجوده فى الاسكندرية، لكن ماعثر عليه ويعود إلى فترة العصر البيزنطى يدلل على تراجع مستوى الجودة العالى الذى اشتهرت به المصنوعات الزجاجية المصرية. كذلك صناعة البردى التى استمرت موجودة كسلعة عالمية إلا أن مستواها تراجع عن ذى قبل خاصة فى ظل ظهور منافس قوى هو رق الجلد الذى استعمل فى صناعة الكتب بكثرة خاصة فى تسجيل الادب والفكر المسيحى الجديد. هذا بالاضافة إلى الصناعات الأخرى كنسيج الكتان وإعادة تصنيع التوابل والعطور التى كانت تستورد من الشرق ثم يعاد تصديرها إلى الغرب والتى استمرت موجودة كسابقتيها رغم تراجع مستواها الواضح[2].

أما التجارة والتى كانت قد ازدهرت فى العصر الرومانى فقد أخذت تتعثر فى العصر البيزنطى، فموانىء البحر الأحمر أخذت فى الأنكماش حتى لم يبق على ساحله سوى ميناء القلزم (السويس) وذلك بسبب المنافسة الفارسية التى أدت إلى

(1) H.I. Bell, Egypt and The Byzantine Empire, in The Legacy of Egypt, pp. 335 -6.

(٢) مصطفى العبادى، المرجع السابق، ص ص ٢٧٨ – ٢٨٠.

تحويل جانب كبير من التجارة الشرقية إلى الخليج الفارسى. وقد دعا ذلك الوضع الإمبراطور جوستنيانوس إلى محاولة التخلص من وساطة الفرس فى التجارة الشرقية وإعادة النشاط التجارى إلى البحر الأحمر، إلا أنه لم يحقق إلا نجاحاً محدوداً. وقد تدهورت الحالة الاقتصادية فى مصر - رغم محاولات الاباطرة المتكررة لإنعاشها - فكان الحكام على جانب كبير من الضعف لاهم لهم إلا جمع الضرائب وإرضاء الموظفين[1].

أما صادرات مصر عبر العصر البيزنطى فلم تخرج عن كونها الصادرات التقليدية كالقمح والكتان والبردى والروائح والعاج والتوابل، ويبدو أن الصادرات من الزجاج قد تراجعت إلى حد كبير، بالإضافة إلى بعض التراجع فى تصدير البردى. أما الواردات الاساسية فقد اشتملت على الفضة والخمور والحرير والعطور والتوابل التى كانت تصنع محليا ثم يعاد تصديرها.

ويبدو أن التجارة كانت حرة فى ايدى الأفراد، بإستثناء الجزية التى كانت مصر ترسلها إلى روما أولا ثم إلى القسطنطينية، ويؤكد هذه الحرية التى غالى فيها بعض التجار عن طريق رفع أسعار سلعهم القائمة التى اصدرها دقلديانوس لتحديد أسعار اغلب السلع الاساسية وفيها يتحدث عن جشع التجار وطمعهم رغم أن هذه المحاولة لم تحدث أثراً ذى بال كما سبق القول.

وعند الحديث عن التجارة الخارجية لايمكننا أن نتجاهل دور الكنيسة التى بالإضافة إلى أملاكها من الأراضى الزراعية عملت على استغلال اموالها فى التجارة الخارجية مما حق لها الربح الوفير، حتى أن القديس يوحنا الذى تولى أمر الكنيسة في مطلع القرن السابع استطاع أن يحقق للكنيسة امتلاك اسطول بحرى تجارى في البحر المتوسط وقد استخدمه فى عمليات التصدير والاستيراد[2].

---

(١) مراد كامل، المرجع السابق، ص ص ٢٢ - ٢٧.

(٢) مصطفى العبادى، المرجع السابق، ص ص ٢٨٢ - ٢٨٥.

الحيـــاة الفكريـــة:

أولا: اللغة:

اللغة هي الاداة التي يعبر بها الإنسان عن أفكاره ومشاعره وتيسر له التعامل في مختلف نواحي الحياة، واللغة كائن حي يتطور أو يتدهور مثله مثل الإنسان تماماً، ومثالنا هنا هو اللغة المصرية التي تطورت عبر أربعة مراحل من اللغة المصرية القديمة إلى الوسيطة ثم الحديثة وانتهت باللهجة الديموطيقية أو الشعبية السهلة التي كانت تستخدم في الحياة اليومية، وقد كتبت هذه اللغة بعدة خطوط أو طريقة في الكتابة هي:

١- الخط الهيروغليفي الذي اكتسب صفة القدسية.

٢- الخط الهيراطيقي وهو صورة مهسرة للخط الهيروغليفي.

٣- ثم الخط الديموطيقي وهو الصورة المبسطة التي استعملها الشعب في كتاباته في العصور المتأخرة.

وقد ظلت اللغة المصرية القديمة بمراحلها المختلفةوخطوطها الكتابية المتعددة هي لغة مصر الرسمية حتى قيام دولة البطالمة حين أصبحت اليونانية هي اللغة الرسمية لمصر، وبمرور الوقت وحكم الضرورة اضطر الكثير من المصريين إلى تعلم اليونانية واستخدامها في وثائقهم وخطاباتهم، إلا أن هذا لاينفي أن اللغة المصرية في شكلها الديموطيقي كانت لاتزال مستعملة في التخاطب والكتابة وبخاصة الكتابات الدينية، مما استدعى- غالبا - الحاجة إلى حل وسط تمثل في تدوين اللهجة الديموطيقية بأحرف يونانية وسميت باللهجة أو الخط القبطي. وربما كان إستعمال اصطلاح «لهجة أو خط قبطي» هو أقرب إلى الدقة العلمية رغم ادعاء البعض بأن القبطية «لغة»، إلا أنه من الواضح أنها لم تكن إلا اللغة المصرية القديمة ولكن مدونة بأحرف يونانية، ولاترتبط بأى شكل بالمسيحية أو بقبط مصر، ودليلنا على ذلك العديد من الوثائق المدونة باللغة المصرية ولكن بأحرف يونانية

وتعود إلى أواخر عصر البطالة أى قبل ظهور المسيحية ومحفوظة بمتحف اللوفر والمتحف البريطانى.

وتوجد عدة ملاحظات على اللهجة أو الخط القبطى نلخصها فيما يلى:

١- اللهجة أو الخط القبطى هى لغة مصرية صميمة كتبت بأحرف يونانية.

٢- تمت إضافة سبعة أحرف من اللغة الديموطيقية ليس لها مقابل فى اللغة اليونانية إلى الخط أو اللهجة القبطية هى: شاى (ش) فاى (ف) خاى (خ) هورى (هـ)، جنجا (ج)، تشيما (تش)، تى (ت).

٣- انقسمت اللهجة أو الخط القبطى إلى عدة لهجات أهمها لهجة مصر السفلى أو البحيرية نسبة إلى البحر وسادت فى الاسكندرية، ولهجة مصر العليا أو الصعيدية وسادت فى طيبة أو الأقصر حاليا.

٤- دخلت على اللهجة أو الخط القبطى العديد من المفردات اليونانية التى لم تكن موجودة أصلا فى اللغة الديموطيقية خاصة فى العصر المسيحى كما اهملت هذه اللهجة العديد من المفردات المصرية القديمة.

وأمام الفتح العربى وسيادة اللغة العربية وانتشارها كلغة للتخاطب والكتابة والمعاملات المختلفة والتعليم بدأ انحسار اللهجة أو الخط القبطى رغم أن المقريزى يقول بتواجدها حتى القرن الخامس عشر الميلادى خاصة فى صعيد مصر، إلا أن هذه اللهجة بقيت حتى الآن كلغة للكنيسة تستخدم فى الصلوات وقراءة الكتب المقدسة ويعرفها ويدرسها بعض أقباط مصر من المهتمين بها خاصة فى الصعيد، هذا طبعاً بالإضافة إلى العلماء الغربيين والشرقيين الذين اهتموا بها[١].

وكما ظلت العديد من العادات المصرية القديمة مستمره حتى الآن

---

(١) راجع الدراسة القيمة التى اجراها مراد كامل عن اللغة المصرية واللهجة أو الخط القبطى، رغم قناعته الواضحة من أن القبطية هى لغة مستقلة ومنفردة، فى : مراد كامل، المرجع السابق، ص ص ٦٣ - ٧٤.

كالإحتفال بسبوع المولود أو اربعين المتوفى أو ختان الذكر أو الأنثى أو شم النسيم أو وفاء النيل أو الندب والشلشلة على المتوفى وغيرها كثير، فقد استطاعت اللغة المصرية القديمة سواء من خلال لهجتها القبطية أو حتى شكلها الديموطيقى الأكثر قدماً أن تغزو اللغة العربية الوافدة الجديدة على مصر وتطعمها بألفاظ مصرية أصيلة مثل: برسيم، أردب، بم، أم قويق، حلق، بقوطى، كعك، قلة، كحة، لقمة، لبشة، ماجور، تمساح، نبوت، مقطف، ننوس، نونو، بصارة، رقاق، مشنه، سمان، سلة، طوربة، ذهبية، تندة، شرش، شونة، شوطة، شوربة، رمان، شوشة، شبورة، بلح، وغيرها كثير جداً.

هذا بالإضافة إلى أسماء بعض أنواع الأسماك مثل البورى والبنى والشال والشلبه، وفى تعبيرات الأطفال مثل تاتا بمعنى يمشى، وأمبو بمعنى ماء، وواواو بمعنى ورم، وببه بمعنى برغوث، غير بعض الأفعال مثل شأشأ، فرفر، هلوس، هوش، لكلك، نكت، نط، فتفت، دمس، شلشل، شن، بشبش وغيرها.

وكذلك تعبيرات مثل الورور للفجل الصغير الطازج، والكاس بمعنى الألم وتوت للحاوى، وليلى بمعنى افرح، وبح بمعنى انتهى، وكانى مانى وأصلها كانى نانى بمعنى سمن وعسل.

ورغم اختفاء بعض أسماء المدن المصرية الأصيلة بسبب الاحتلال اليونانى وسيادة اللغة اليونانية وفرض أسماء يونانية على هذه المدن مثل: ابولونوبوليس لمدينة قوص، واوكسيرنخوس لمدينة البهنسة، وليتوبوليس لكوم اوشيم، وبالوبوليس لإخميم، وهرموبوليس للأشمونين، وهيراكليوبوليس لإهناسيا إلا أن الأسماء الأصلية سرعان ماعادت مع دخول العرب وزوال الإحتلال الرومانى البيزنطى وعدنا نعرف مدنا مثل قوص والبهنسة وكوم اوشيم وإخميم والأشمونين وإهناسيا وغيرها[1].

---

(١) مراد كامل، المرجع السابق، ص ص ٧٣ - ٧٤/

ثانيا الإنتاج العقلى:

كانت الإسكندرية عاصمة ثقافية للعالم القديم، عاش فيها المصريون أهل البلاد بدياناتهم وآلهتهم المصرية القديمة، واليونانيون بلغتهم وفلسفتهم والهتهم اليونانية والمتمصرة، والرومان بقوانينهم وثقافتهم وعباداتهم، واليهود بديانتهم السماوية وتقاليدهم الموروثة، هذا بالاضافة إلى العديد من الأجناس الأخرى مثل الفرس والعرب وتجار فينيقيا وغيرهم ممن حملوا أيضا نماذج مختلفة من الثقافات والعقائد الدينية والعادات والتقاليد، وبالضرورة كان لابد من حدوث احتكاك مستمر وعلاقات قد تتطابق وقد تتضارب احيانا بين هذه الثقافات المختلفة مما نتج عنه نوع من الامتزاج الفكرى تولدت عنه افكار وفلسفات ومذاهب جديدة، بل لقد حدثت محاولات للتقريب بين الاديان المختلفة، وهى الحركة التى عرفت باسم (التوفيق).

ووسط هذا الخضم ظهرت المسيحية فى الإسكندرية، وكان عليها لكى تبقى أن تصمد أمام كل هذه الأديان والفلسفات العقلية وحتى الديانة اليهودية السماوية مما ساعد على تنشيط حركة البحث فى الديانة الجديدة وظهرت العديد من الكتابات التى تؤيدها أو تقف ضدها، بل ووصل الأمر إلى أن تبرز من قلب المسيحية نفسها طائفة منشقة عرفت بالغنوسيين أو ما اصطلح على تسميته «الفلسفة الغنوسية» وهى الفلسفة التى وضعت العقل فوق الدين وجعلت منه رقيباً على الوحى يستطيع أن يرفض بعض المعتقدات وينكر المعجزات وماهو خارق للطبيعة، أى أن الغنوسية كانت تنكر ركنا هاماً من الديانة المسيحية إلا وهو المعجزات التى لايمكن تفسيرها طبقاً للقوانين التى تحكم عالم البشر.

ومن الانجازات الأدبية التى ظهرت فى مصر كانت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة المصرية القديمة بخطها القبطى وقد أخذت هذه الترجمة عن اليونانية وبدأت منذ القرن الثانى ووصلت إلى شكلها النهائى مع بدايات القرن الخامس. هذا بالإضافة إلى سير القديسين والشهداء والرهبان وبعض آباء الكنيسة وبعض

القصص الخيالى الدينى وبعض الأشعار الكنسية وكتابات الأباء اللاهوتية(١)

الحياة الفنية:

مع بدايات حكم الرومان لمصر وإنتقال مركز السلطة وبالتالى رجال السلطة إلى روما بدأ الفن الرسمى ذو التوجهات السياسية الذى ازدهر إبان حكم البطالة لمصر يتراجع مفسحاً الطريق لفن شعبى يتعامل مع مختلف الطوائف ويتوجه إليهم بعد أن كان يتعامل مع طبقة الحكام، ومع انتشار المسيحية التى كان لها تأثيرها على الحياة الفكرية والسياسية والإجتماعية كان من المحتم أن يتأثر الفنان الشعبى بهذه الديانة الجديدة. ومن المؤكد أن الفن المصرى فى العصر البيزنطى كان نتاجاً للفن المصرى القديم مطعماً بالعديد من المؤثرات اليونانية والرومانية والسورية، شابته مسحة دينية وبالتالى حاول الفنان فيه أن يصل إلى جوهر الأشياء مبتعداً قدر إمكانه عن الماديات، ونرى هذا بوضوح فى ملامح الوجوه التى كثيراً رسمها الفنان وكأنه يحاول النفاذ إلى روحها بدلاً من تجسيدها تجسيداً فوتوغرافياً، كما اتجه هذا الفن إلى الأكثار من استعمال الأشكال الهندسية والزخارف النباتية كأوراق النباتات المختلفة وثمارها مثل العنب والنخيل والرمان والقمح والفول وغير ذلك.

والعمارة المصرية فى العصر البيزنطى لم تختلف كثيراً عن العمارة المصرية التقليدية إلا فى بعض الجوانب كالبعد عن الضخامة المفرطة والتوظيف المستمر للتراث الدينى المسيحى، وهو نفس ماحدث فى التصوير فقد انتشرت طريقة الفرسكو أو الرسم بألوان الأكاسيد على الحوائط المغطاة بطبقة من الجبس إلا أن المصور لم يستمد اشكاله من الطبيعة المنظورة ولكن استعمل صور القديسين والشهداء وموضوعات الكتاب المقدس، أما النقش على الحجر والخشب فقد استمد الفنان فيه أيضا الهامه من الطبيعة المحيطة به مثل الأشكال الزخرفية لأوراق

---

(١) مراد كامل، المرجع السابق، ص ص ٧٥ – ١٣١.

النباتات أو فروعها أو الزخارف المتشابكة من نبات العنب واللوتس وسعف النخيل والرمان، كما ظهر فن زخرفة المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية برسوم للطيور والأسماك ونباتات اللوتس والعنب أو زخرفتها بأشكال هندسية أو بصور أشخاص أو أوجه كما ظهر أيضا فن زخرفة الكتب المصنوعة من البردى أو الرق الجلدى برسوم ذات ألوان زاهية ثابتة تبهر كل من يراها[١].

الحياة الإجتماعية:

يبدو أن أهتمام المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور، قد تركز على العنصر الأنثوى بإعتباره الركن الأساسى فى عمليات التكاثر والنماء، ولما كانت أقرب الصور الأنثوية إلى خيال ونظر الإنسان هى المرأة، لذا نجدها تظهر فى أقدم الأعمال الفنية للإنسان، فمن أواخر العصر الحجرى القديم، وحتى نهاية العصر الحجرى الحديث، وجميع الأعمال الفنية للإنسان تتركز حول المرأة، والتى اعتبرها الإنسان القديم رمزاً حياً للخصوبة والنماء.

ويؤكد هذا أن أقدم تمثيل لإمرأة جاءنا من أواخر العصر الحجرى القديم الأعلى (حوالى ٣٠ - ٢٠ ألف قبل الميلاد) وهو عبارة عن تصوير على جدار أحد كهوف فرنسا الأثرية يمثل امرأة عارية مستلقية على جانبها الأيمن وتسند وجهها براحة يدها اليمنى، ويبرز فيها الثديان والبطن والعضو التناسلى وذلك على مايبدو فى محاولة من الفنان للتأكيد على صلة هذه الأعضاء بظواهر الحمل والنماء والتكاثر[٢].

ومن هناك ونتيجة طبيعية لجهل الإنسان البدائى بوظائف الأعضاء أصبحت المرأة هى الرمز الأوحد للإستمرار وبقاء النوع، وفى هذه الظروف كان من الطبيعى أن تبرز ظاهرة اقتفاء الأنساب عن طريق الإناث، وأن يتم التوريث عن طريق الأم[٣].

---

(١) مراد كامل، المرجع السابق، ص ص ١٣٢ - ١٥٨

(٢) رضا جواد الهاشمى، نظام العائلة فى العهد البابلى القديم، ص ص ٩١ - ٩٢.

(3) E.M White, Woman in World Society, p. 35 CF. Hrodutos, I. 173.

إلا أنه ومع تطور المجتمعات البدائية التى اتسمت بالصيد والرعى، وتحولها تدريجياً إلى مجتمعات زراعية مستقرة، وماتبع ذلك من ظهور للملكية الفردية، تغير الوضع فأصبح الأطفال ينسبون إلى الأب لإثبات حقهم فى الإرث، وأخذت الشيوعية الجنسية فى الإختفاء تدريجياً، لأن الزوج أصبح يطالب زوجته بالعفة الجنسية التى لم تعرف قبل ذلك، حتى يضمن أولاداً من صلبه يرثون ممتلكاته[1].

وهكذا أخذت الأسرة البدائية تتجه نحو شكلها الطبيعى الذى تكون من زوج وزوجة وأطفالهما، وتدريجيا أخذت المرأة تحتل مكاناً واضحاً كأحد طرفى الزواج - فى داخل هذه الأسرة - ومن ثم فى مجتمعها المكون من العديد من الأسر.

وفيما يخص الأسرة المصرية القديمة فيبدو أن المصريون كانوا يفضلون الذكر على الأنثى كأغلب المجتمعات القديمة، وان كانوا لم يكرهوا الأنثى، فالمصرى القديم كان يدعو ابنته (بإبنته حبيبته)، ولعل السبب فى تفضيل الذكر أنه كان يقوم بالمراسيم الجنائزية بعد وفاة والده، ويشرف على عمارة القبر ورعايته.

ومن المحتمل أن المرأة المصرية القديمة قد تمتعت - نسبياً - بالعديد من الحقوق والإمتيازات، وربما كان للظروف الإقتصادية التى حكمت المجتمع المصرى دور فى ذلك، فقد كانت المرأة تقوم بنصيب وافر فى العمل والسعى وراء الرزق مما جعلها تتمتع ببعض الحقوق التى حرمت منها المرأة فى مجتمعات أخرى اعتمدت إلى حد كبير على التجارة (التى قام بها الرجال) كاليونان مثلا.

ومن المنطقى ان يستمر تمتع المرأة بهذه الحقوق الامتيازات - وإن كانت محدودة - فى فترات حكم البطالة لمصر ومن بعدهم الرومان ثم العصر البيزنطى.

ومن الأشياء التى ترتبط بالأسرة أيضا الأعياد والمناسبات الدينية والتى أخذت

---

(1) E. Sidney Hart land, Primitive Law , pp. 66 - 75 et passin.

في اغلبها طابعاً مسيحياً خلال العصر البيزنطى، ثم تحول جزء منها إلى الطابع الإسلامى بعد دخول العرب لمصر، مثل الصوم الكبير لدى المسيحيين وأعياد الميلاد والغطاس والقيامة وغيرها، وغالباً ماترتبط هذه الأعياد بمواسم زراعية خاصة مثل شم النسيم وعيد العنصرة.

الفصل الرابع

الأسطورة والفكر الدينى

فى العالم القديم

(مصـــر)

الفصل الرابع
الأسطورة والفكر الدينى
فى العالم القديم
(مصر)

كانت الأسطورة هي القالب الرمزى الذى تجمعت بداخله أفكار البشر وأحلامهم فى الفترة السابقة على ظهور المعرفة بمعناها الواسع. أو بعبارة أخرى الفلسفة والعلم. وإدراكنا للأسطورة يحتم علينا أن نتمرس دائماً بالنظرة الإستبطانية للأشيا. تلك هي النظرة التي تكشف لنا صور هذه الأشياء وتعيننا على إدراك الوجود إدراكا تأملياً ميتافيزيقياً. ولهذا ترى الفلسفة أن الأسطورة بكل ما تتضمنه من صور ورموز لابد أن تحمل مضموناً فلسفياً عمقياً، وإذا أخفت الأسطورة هذا المعنى فمهمة الفلسفة أن تقوم بعملية التفسير لهذه الصور والرموز.

ولاشك أن الأسطورة هي عمل إبداعى إنسانى محض، وأن إبداعها قد تم بطريقة لاشعورية، أى لم يكن العقل الذى أبدع الأسطورة واعياً بما يقوم به من خلق خيالى لتلك الأسطورة، ورغم هذا فقد نالت الأسطورة قدراً كبيراً من اهتمام الباحثين، فلدينا «فرويد» الذى يرى أن كل صور الأسطورة ما هى إلا أقنعة لشئ واحد هو «الجنس» وبالإضافة إلى فرويد فلدينا فريزر ولانج وقارنل وغيرهم كثيرين ممن لايتسع المجال هنا لمناقشة آراءهم باستفاضة[1].

والحق أنه لابد وأن تعامل الأسطورة على أنها مادة إنسانية لاتخضع لمناهج التقنين والتجريب، ذلك لأنه يوجد خلاف واضح بين المادة الأسطورية والمادة الفيزيائية، فالعالم الذى يستنبط القوانين من الواقع إنما يقوم بعملية إختزال لهذا الواقع، أما الخلق الأسطورى فهو يقوم على أساس تكثيف لهذا الواقع، فالأسطورة

---

(١) سنعرض فيما بعد العديد من التفسيرات التى أحاطت بدراسة الأساطير وخاصة مايتعلق منها بالأساطير اليونانية والرومانية.

لاتقبل التصنيف أو التعميم أو التبسيط لأنها لاتبحث عن خصائص الأشياء أو تحاول وصف ظاهرة طبيعية، وبالتالى فكل ماتعنى به الأسطورة هو محاولة تقديم رؤية استنباطية للأشياء أو رؤية حدسية لصور هذه الأشياء، ومن هنا يختلف الفكر العلمى عن الفكر الأسطورى، فالأول يقوم بوصف ظواهر الطبيعة والمسببات التى تكمن وراء هذه الظواهر وصفاً موضوعياً بحتاً يمكن إخضاعه لمناهج التقنين والتجريب، أما الفكر الأسطورى فهو يصف الطبيعة بأحاسيس الإنسان وتخيلاته وتصوراته[1].

وعلى الرغم من النظرة العلمية الموضوعية التى تعالج بها ظواهر الطبيعية فى وقتنا هذا فما زالت الصور الأسطورية تستهوينا لأننا نرى فيها الإنسان والطبيعة كلاً واحداً، فهنا يمتزج عالم الإنسان بعالم الطبيعة، ويتبلور هذا الامتزاج فى ظواهر عديدة، فخسوف القمر كان يعنى حرب عسكرية وظهور مذنب كان نذيراً بالوباء وحركات الكواكب كانت دليلاً لاختيار الأوقات السعيدة واجتناب أوقات النحس وهكذا.

إلا أن منطق الأسطورة ومنطق العلم كثيراً مايلتقيان فيؤديان غرضاً واحداً هو جعل الكون مفهوماً، وهذا مايبدو واضحاً حين تتعامل الأسطورة مع العناصر المادية المعروفة مثل الهواء والتراب والنار والماء التى يتألف منها الكون فتصور العلاقات فيما بين هذه العناصر تصويراً إنسانياً قد لايخلو من الطرافة.

وفى عالم الأسطورة اعتقاد راسخ بوحدة الحياة، فالطبيعة تصبح مجتمع الحياة والإنسان جزء من هذا المجتمع.. وهذا الشعور بوحدة الحياة التى لاتتحطم هو شعور غاية فى القوة حتى أنه يتحدى حقيقة الموت وينكرها، فالموت فى الفكر الأسطورى لايمثل ظاهرة تخضع لقوانين عامة. لأن الفكر الأسطورى أبى أن

(١) سعد عبد العزيز: الأسطورة والدراما. ص ٧ -١١.

يسلم بفناء الإنسان، وهو ينكر ظاهرة الموت ولهذا كان مثل هذا الفكر أقوى وأشد تأكيداً للحياة[1].

وكما كانت الأسطورة محاولة من الإنسان لتطويع الطبيعة وظواهرها المحيطة به، كان الدين - وهو التطور الطبيعي للسحر وماصاحبه من طقوس - محاولة من الإنسان البدائي لتطويع الطبيعة وتسخيرها لخدمته وتفسير ظواهرها تفسيراً وهمياً، وقد بدأ السحر مع الإنسان في العصور الحجرية القديمة بشكل غير واع، ثم تطور إلى الشكل الواع على أساس خلق رموز ونماذج للطبيعة بحيث تتحول الطقوس التي تجرى عليها إلى أشياء تحدث في العالم الواقعي، وكان الهدف الأول للإنسان هو إغرا الطبيعة بمساعدته في مشاكله التي يعجز عن مواجهتها وبهذا تتأكد فرضيتنا الأولى من أن السحر قد نشأ كمحاولة من الإنسان لسد الثغرات الناجمة عن فقر التكنيك ومحدوديته.

وكانت هذه البدايات هي أولى الخطوات نحو ظهور (الطوطم) وهو الرمز الذي يمنح الإنسان القوة، وقد أخذ الطوطم شكل الحيوان أو النبات، وتدريجياً أصبح لكل عشيرة أو قبيلة طوطمها الخاص والذي تحول تدريجياً أيضاً إلى إله تعبده هذه القبيلة أو العشيرة، وأقيمت له الطقوس وقواعد العبادة التي هي في الحقيقة صورة أخرى للسحر البدائي، وصحب هذه الطقوس أناشيد تحاول تفسير أصل العالم وتطوره، وهكذا ولدت الأسطورة التي هي في الحقيقة شكل من أشكال العلم ولكن في صورة بدائية، ومن مجموع هذه الأساطير نشأت الأديان البدائية وظهرت أولى نظريات العلوم التي حاول بها الإنسان أن يفسر العالم وظواهره.

---

(١) والمثال الذي يكاد يتطابق مع هذا الرأي هو موقف المصريين القدماء من الموت وفكرتهم عن العودة للحياة في عالم آخر. وترجمتهم لهذا الموقف بشكل عملي يظهر في طريقة بناء قبورهم وظهور فكرة التحنيط ودفن بعض المأكولات مع الميت مع رموز لكل ماكان يحيط به أثناء حياته العادية حتى تماثيل المجهيين الصغيرة الحجم، هذا الموقف تطور عن ماكان موجوداً في بعض الحضارات القديمة من دفن أحد الأشخاص الأحياء الذين يحتاجهم الميت دائماً - كالزوجة - معه.

وكمرحلة تالية لتأسيس الدين البدائى ظهرت فكرة الأرواح نتيجة لعجز الإنسان عن تقبل فكرة الموت، وفى البداية صور الإنسان الروح بشكل مادى إذ جعلها تحتاج إلى الغذاء والمأوى ومن هنا نشأت ظاهرة تقديم القرابين للموتى وبناء المقابر لهم وفى مرحل تالية انفصلت الروح عن شكلها المادى الجسدى وتحولت إلى روح للبطل الأسطورى ومن ثم الإله أو المعبود، وهكذا تحولت الأساطير إلى لاهوت، أى أن الروح قد تحولت إلى قوة طبيعية غير منظورة كالريح مثلاً أو الروح التى تسيطر على العمليات الكيميائية، وهكذا ترتبط الأسطورة بالعلم مرة أخرى.

وبمجرد استقرار فكرة الأرواح أصبحت الطقوس الدينية البدائية أكثر انتظاماً فاكتمل الدين القديم والذى كان فى جوهره ديناً مادياً يرتبط بالحياة الإنسانية أكثر من ارتباطه بفكرة مابعد الموت.

وكان طبيعياً أن تتعدد الآلهة فى الحضارات القديمة فلكل عشيرة أو قبيلة أو مدينة إلهها الخاص الذى يعبر عنها ويضمن لها كيانها واستمرارها، وعندما تم التوحيد، السياسى والاجتماعى بين هذه الأقسام الأولى للمدينة كان لابد بالضرورة من ظهور أحد هذه الآلهة، وهنا ترسخت ظاهرة الالهة المتعددة للمدينة الواحدة مع وجود كبير لهذه الآلهة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلمة «ثيوس» الاغريقية ليس معناها الله إذ لم توجد فى هذه الفترة العلاقة أو الصلة بين اللاهوت والمبادئ الأخلاقية فقد تعامل الاغريق مع الآلهة كما تعامل معها غيرهم من الشعوب البدائية فالقوة الطبيعية المحيطة بهم هى أربابهم، وكل مافعلوه هو محاولة الإبقاء على الصلة الطيبة بينهم وبين هؤلاء الأرباب بشتى الوسائل، وقد جعل شعور الاغريقى المسرحى المرح الخلاق تصويرهم لهذه القوى يكاد يقترب من صورة الإنسان. ثم بدأ الدافع إلى الوحدة والنظام يؤثر تدريجياً فقل عدد الآلهة وتجمعوا فى أسرة الهية واحدة ورغم أن بعض القوى الطبيعية لاتخضع لقانون وهى أحياناً تكون فى صراع ظاهر مع

بعضها ممايعوق عملية الوحدة والنظام إلا أن الكون يحتويه قانون منظم قد تحاول هذه القوى خرقه دون جدوى وبمعنى آخر هناك قوة أخرى أقوى من الآلهة تدعى «أنانكى» أو «ماليس منه مفر» أو أحياناً يدعى «مويرا» أو «القدر» وهى فكرة القوة العليا الغير مشخصة التى احتوت على العنصر الأول الذى نشأ منه الدين والعلم على السواء.

ثم بدأت عملية الجمع بين اللاهوت والأخلاق تدريجياً فقد كانت عملية تقديم القرابين للالهة على سبيل المثال تتطلب طهارة ظاهرية، وبمرور الوقت اقتضت أيضاً الطهارة الباطنية، كما أن ذنوباً أو خطايا معينة لم يكن قانون البشر يعاقب عليها أو لم يكن بالاستطاعة كشفها أصبحت أشياء تعاقب عليها الآلهة، ولهذا بدأ الدين يحتل مكانة متميزة كمصدر للتشريع الأخلاقى.

وعند هذا الحد أصبحت الآلهة أكثر روحانية وتحولت «أنانكى» لتصبح هى التعبير عن إرادة زيوس. ومثل هذه الفكرة عن زيوس لابد وأنها قد أحدثت نوعاً من التناقض — خاصة عند المحدثين — إذا قورنت بما عرف عن زيوس من عنف وتسيب أخلاقى وجموح جنسى وطبيعة الفكرة التى تقول بأن الآلهة تخطت مرحلة القوى الطبيعية لتصبح قوى أخلاقية أيضاً.

غير أن مستقبل التفكير الدينى عند الاغريق لم يكن رهناً بالأساطير ولابآلهة الأوليمبوس ولابديانات الأسرار. ولكنه كان رهناً بالفلسفة، فالعنصر الإغريقى فى المسيحية واضح تماماً وبعضه يعود إلى أفلاطون. إن زيوس الذى كتب عنه ايسخولوس كان معبوداً خاصاً بالمدينة الاغريقية المحدودة مما لم يسمح له بأن يصبح الها للجنس البشرى. كما أن اله اليهود لم يكن من الممكن أن يصبح اله الأمم الأخرى دوى تغيير جسيم يلحق به أما الفلسفة الاغريقية وخاصة فكرة أفلاطون عن المعبود المطلق الباقى فقد كانت هى التى مهدت للعالم ظهور دين جديد[1].

---

(١) كيتو. الاغريق. صفحات ٢٦٥ — ٢٦٧.

أولاً: تفسير الأسطورة

على العكس مما قد يبدو للوهلة الأولى فالتعامل مع الأسطورة يتم بحذر ودقة شديدين إذ أنه من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ الأسطورة بمعنى أول ظهور لها كنص مكتوب، ونفس الصعوبة تظهر عند محاولة تحديد المكان الذى نشأت فيه الأسطورة وإذا استطاع الباحث تحقيق هذين المطلبين كخطوة أولى لدراسة الأسطورة يبدأ في التعامل معها من خلال منهج يتخلص فى الجوانب الأربعة التالية:

١ - الأسطورة هى رمز لحقيقة فلسفية يمكن الوصول إليها عن طريق دراسة الأسطورة وتحليلها مع مقارنتها بالظروف البيئية والتاريخية التى نشأت فيها.

٢- الأسطورة هى انعكاس لعمليات وظواهر طبيعية لم يستطيع الإنسان القديم تفسيرها كظواهر الحمل والولادة ودورة النبات والزلازل والبراكين والفيضانات ومواسم القحط وغيرها مما دعابه لتقديسها ونسج العديد من الروايات حولها.

٣- الأسطورة هى انعكاس للظروف النفسية التى يحياها الإنسان من خلال احتكاكه بالبيئة المحيطة به ومحاولته المستمرة للتواؤم مع هذه البيئة، وفى حالة فشله فى إحداث هذا التوافق تظهر الأسطورة كنوع من التعويض عن هذا الفشل.

٤ - الأسطورة هى وصف وسرد لحقائق ومواقف وأحداث تاريخية موغلة فى القدم وذت طابع منفرد وبمرور الزمن تتحول هذه الحقائق إلى أساطير[1].

وإذا حاولنا تاريخياً تتبع المشتغلين بالتعامل مع الأسطورة ونقدها لوجدنا أن أول من نقد الأسطورة الإغريقية وهاجم ظاهرة تعدد الآلهة فيها وتصويرها بشكل بشرى كان كسنوفون (٥٧٠-٤٧٩ ق.م) يليه ثيوجينيس الذى رأى أن

(1) Rose, Greek Mythology. p. 9-10.

الأسطورة ما هى إلا قصة ترمز إلى الظروف البيئية التى يحياها الإنسان من خلال صراعه الدائم معها. فالاله هيفيستوس هو النار، وبوسيدون هو الماء وجيا هى الأرض وهيرا هى الهواء وهكذا. أما ابو هيميروس الذى كتب فى حوالى القرن الرابع ق.م فكان أول من نادى بأن الأسطورة ماهى إلاحادثة تاريخية قديمة حدثت بالفعل ثم بمرور الوقت ودخول العديد من الإضافات التى غالباً ماتحدث نتيجة لنقل الحادثة عن طريق الرواية الشفوية تحولت الحادثة التاريخية إلى أسطورة.

وقد انتشر هذا التفسير عند المسيحيين فى بداية ظهور المسيحية كمحاولة من آباء الكنيسة للالتفاف حول الأسطورة القديمة بشكلها الوثنى وتحويلها إلى حادثة تاريخية وربما كان ذلك محاولة للتخلص من الأشكال الوثنية التى سادت المجتمع فى ذلك الوقت رغم انتشار المسيحية أكثر من كونة قناعة أكيدة بفكرة ايوهيميروس حول الأسطورة والتاريخ.

أما فى العصور الوسطى فكانت سيطرة الكنيسة الواضحة والأكيدة فى كل نواحى الحياة وتكفيرها لكل ما هو ليس بمسيحياً سبباً فى عدم التعامل مع الأساطير بإعتبارها رجس من عمل الشيطان وبالتالى لم تظهر - على حد علمنا - دراسة للأسطورة ترجع إلى هذه الفترة.

أما عصر النهضة فيظهر لنا فيه فرنسيس بيكون فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر ليعيد إلى الذهن نظرية ثيوجينس حول تشخيص الأسطورة وتفسيرها تفسيراً مجازياً فديونيسوس هو المعاناة فى الحياة وناركيسوس هو حب النفس وأبو الهول هو العلم وهكذا. وفى أوائل القرن السابع عشر أيضاً يظهر العالم الألمانى كروزر الذى رأى أن الأسطورة هى نوع من الدين نشأ نتيجة وحى ثم نقلت إلى الأجيال التالية فى شكل رمزى وقد ظهر هذا الدين أو الوحى فى الشرق ثم انتقل إلى اليونان ليصلنا بشكله الحالى.

أما فى العصر الحديث فيبدو أن الأسطورة قد استهوت العديد من العلماء فيظهر لنا فى أوائل القرن التاسع عشر العالم الألمانى موللر بأول دراسة علمية جادة

حاول فيها تنقية الأسطورة من الشوائب الى علقت بها والإضافات التى قام بها الشعراء وكتاب الدراما والفلاسفة وغيرهم فى محاولة منه لتتبع أصولها ومقارنتها بظروف الحياة التى نشأت فيها. وفى أواخر القرن التاسع عشر ظهر تايلور عالم الاجتماع والانثروبولوجى الشهير الذى درس الأساطير على أساس علاقتها بتكوين المجتمع وحاول تصنيفها فى مجموعات متشابهة رغم كونها تنتمى لثقافات مختلفة.

ويظهر فى نفس الوقت تقريباً هربرت سبنسر بنظريته حول عبادة الإنسان القديم للأسلاف ومحاولة تجسيد الظواهر الطبيعية فى أشخاص عن طريق التسمية كإطلاق أسماء رعد وبرق وشمس وأسد وفهد وغيرها من الأسماء على البشر ثم تحولت هذه الأسماء إلى اساطير بالتدريج وهى عادة لازالت موجودة حتى فى مجتمعاتنا الحديثة.

وفى أوائل القرن العشرين يظهر اندرولانج الذى ربما كانت آراؤه هى الرد المناسب على آراء كروزر حول التزاوج بين الدين والأسطورة وأنهما شيئان منفصلان تماماً، فالأسطورة ظهرت نتيجة لخيال مر به الإدراك البشرى، أما الدين فقد ظهر نتيجة مرور نفس الإدراك بحالة من الخضوع والتأمل الروحى الجاد. ثم يظهر جيمس فريزر بكتابة الضخم جداً (الغصن الذهبى) وهو واحد من أشهر الكتب التى تناولت الديانات البدائية وأضخمها. ولكن ربما قيمته تكمن فى غزارة المادة العلمية التى جمعها وصنفها فريزر، أما تعامله مع هذه المادة فقد كان من منطلق لم يوافق عليه العديد من العلماء ويتلخص فى أن دورة النبات هى التى تحكم الأساطير فى العالم القديم مابين الموت ثم البعث مرة أخرى كما حدث قصة فى إيزيس وأوزوريس.

ثم فى منتصف القرن العشرين يظهر سيجموند فرويد عالم النفس الشهير وتلميذه يونج ومذهبهما حول التفسير النفسى فالأسطورة عندهما ماهى إلا رغبات

وانفعالات بشرية مكبوتة تظهر فى صورة قصة يتحقق فيها مالايستطيع البشر تحقيقه فى حياتهم العادية[١].

أما النصف الثانى من القرن العشرين فلم يظهر فيه جديد فى مجال دراسة الأساطير رغم العديد من الأسماء مثل هاميلتون وروز وروبرت جرافز وغيرهم إلا أن كل منهم لم يخرج لنا بنظرية جديدة للأسطورة واكتفى فقط بمحاولة تبنى موقف أو جزء من النظريات السابق عرضها[٢].

ثانياً: الدين والأسطورة

فى محاولة لفهم الأسطورة اليونانية القديمة وإعطاؤها ماتستحق لابد وأن نراها فى الشكل الذى عرفت به عند الإغريق والظروف التى أحاطت بمولدها، أى فى أشعارهم ومسرحياتهم وأعمالهم الأدبية والفنية الأخرى، أى دراستها فى إطار السياق الاجتماعى والتاريخى للعالم الاغريقى الدائم التغير فيزداد إدراكنا للأسطورة ومفهومها بمدى إدراكنا لتاريخ وحضارة الشعب الذى تنتمى إليه واتصالاته بالحضارات الأخرى من حوله.

وبصفة عامة فإن الأساطير الإغريقية كانت أكثر إنسانية وعقلانية من غيرها، فلم يؤكد الاغريق على القصص الشعبى المغرق فى الخيال كبعض

---

(١) وقد انتشر استعمال هذا المذهب. وحاول البعض تطبيقه فى مجالات أخرى كالدراما والتاريخ.
George Devereux, Dreams in Greek Tragedy Oxford 1976.
Bennett Simon, Mindand Madnessin Greece, cornell 1978. Rose, op. Cit, pp. 1-14.

(٢) وعن التفسيرات المختلفة بشكل مفصل راجع أيضاً: عبد المعطى شعراوى – أساطير إغريقية. صفحات ٤١ – ٦٣ ومن الملاحظ هنا أن كل من هذه التفسيرات لم تتعرض للجانب الاقتصادى من حياة الإنسان القديم رغم أن بداية القرن التاسع عشر شهدت آراء موللر ونهاية القرن شهدت آراء تايلور اللذان اتفقا على ضرورة تفسير الأسطورة فى إطار المجتمع الذى تنتمى إليه، وبالتالى النشاط الذى يحدث فى مثل هذا المجتمع وهو بالضرورة نشاط اقتصادى لأن احتكاك الإنسان مع البيئة غالباً مايتسم بالطابع الاقتصادى، وبينما لايمكن تفسير أساطير مثل خلق العالم أو اكتشاف الإنسان للنار أو إيزيس وأوزوريس فى ضوء آراء فرويد على سبيل المثال يمكن تفسيرها اقتصادياً لأنها غالباً ماتتعلق بمرحلة اقتصادية فى حياة الإنسان عند اكتشافه للزراعة وإن كان التفسير الاقتصادى للتاريخ لايزال يحظى بالكثير من القبول فلربما أمكن تفسير الأسطورة من هذا المنطلق أيضاً.

الشعوب الأخرى وإنما ركزوا على أعمال الإنسان الفانى ومتاعبه كما فى أشعار هوميروس التى تعد المنبع الأساسى لمعرفتنا بالأساطير.

كان الإغريق كغيرهم من الشعوب الهند وأوروبية قد دخلوا مجتمعات نشأت فيها من قبل مجتمعات متشابكة وتعلموا الكثير وعلى ذلك نجد أن أعظم الشخصيات الأسطورية تنتمى إلى التراث الهند وأوروبى كما فى حالة زيوس أو جوبيتر، وبدأ الاغريق حوالى ٢٠٠٠ ق.م فى الدخول لأرض اليونان الرئيسية والاستقرار على السواحل الايجية للبحر المتوسط ومن ثم ظهرت الحضارات المينوية والموكينية، وتركت كريت أثراً عميقاً فى الخيال الاغريقى كأسطورة زيوس وايوروبا ابنة ملك صور الفينيقية التى أنجبت له مينوس، وملحمتى الالياذة والأوديسية وما حوته من أساطير تتصل بجميع المناحى الالهية والبشرية والبطولية.

تعريف الدين:

فى تعريف الدين ربما كان من الأفضل الابتعاد عن المناهج النفسية الاستبطانية التى استعملها سبنسر أو ماكس موللر أو المنهج الحدسى الذى استعمله برجسون لعدم جدواهما فى إخراج تعريف محدد مقنع، وربما كان المنهج الموضوعى المقارن أفضل إذ يقوم على المقارنة بين الأديان البدائية وغير البدائية لتعين عناصرها العامة، ويمثل هذا المنهج نصل إلى تعريفات فريزر والذى يبدأ دراسة الدين بظهور فكرة الآلهة والذى حدد الدين بأنه الإحساس بأن هناك نفساً خفية تعترف النفس البشرية بما لها من سلطان على العالم وعليها يجب أن تكون على اتصال دائم بها ما أمكن.

لكن رأى فريزر ليس دقيقاً - كما يرى دوركايم - لأنه من الممكن ظهور دين بدون ظهور فكرة الأله بل يزيد عليها أن هناك بعض الديانات لم تتحقق فيها فكرة الدين مثل البوذية التى هى فى جوهرها أخلاق بغير دين أو حتى فكرة الطبيعة فهى تقوم على الاستقامة والتأمل والحكمة التى هى غاية الغايات. كما يرى دوركايم أن الظواهر الدينية تنقسم إلى قسمين: العقائد والعبادات، والعقائد

هى حالة فكرية بينما العبادات هى نماذج وطرز من الأفعال الجسمية وغير الجسمية وكل العقائد الدينية تقسم الأشياء إلى قسمين: مقدس وغير مقدس، وهذا التقسيم هو الصفة المميزة للفكر الدينى.

بهذا يمكن تحديد العقائد بأنها الأفكار والتصورات التى تعبر عن طبيعة الأشياء المقدسة وما بين تلك الأشياء من علاقات من ناحية وما بينها من علاقات بالأشياء المقدسة من ناحية أخرى. أما العبادات فهى طرز السلوك التى ينبغى أن يمارسها الإنسان حيال الأشياء المقدسة[1].

نشأة الدين وتطوره:

حول نشأة الدين ظهرت العديد من الآراء تبلورت فى النهاية فى نظريتين عامتين هما: النظرية التطورية القائلة بأن فكرة الاله وجدت فى المجتمعات الأولى بشكل عقائد إنبثقت إما من الأفراد أو الجماعة، وبالتالى ففى كلتا الحالتين يكون من عمل الإنسان. النظرية القائلة بأن فكرة الاله فطرية وجدت فى عقل الإنسان وغرسها فيه موجود أعلى، وأن للدين حقيقة خارجية هى الاله منفصلة عن الجماعة والكون كله مباينة له وإن تلك الحقيقة الخارجية هى التى غرست فى الإنسان فكرة الاله.

وبما أن النظرية الفطرية من الصعب مناقشتها إذ أنها إما أن تؤخذ على علاتها أو تترك بكاملها لذا سنركز فى العجالة التالية على مناقشة النظرية التطورية من خلال ثلاثة مذاهب أساسية فى تطور الأديان هى المذهب الحيوى والطبيعى والتوتمى:

١ – **المذهب الحيوى**: وأشهر من نادى به كان تايلور واعتنقه سبنسر من بعده، ويقوم هذا المذهب على أن أقدم الأديان فى الوجود هو الاعتقاد فى الأرواح وعبادتها وبدأت فكرة الأرواح عندما اكتشف الإنسان الأول أن فيه كائناً آخر غير الجسم يستطيع – فى ظروف معينة – أن يترك هذا الكائن العضوى الذى يسكن

(١) على سامى النشار. نشأة الدين. النظريات التطورية والمؤلهة صفحات ٢١ – ٢٨.

فيه وأن ينطلق بعيداً، تلك هى النفس أو الروح التى اعتقدت الكثير من المجتمعات البدائية أن لها – بجانب قدرتها الأثيرية العجيبة – القدرة المادية على النفع أو الايذاء. وكانت الوسيلة الفعالة الوحيدة كى تترك النفس أو الروح الجسم المادى للإنسان هى الموت، وبمرور الوقت واستقرار المجتمعات البدائية وزيادة عدد الموتى وبالتالى عدد الأرواح، بدأ الإنسان يكون لنفسه عالماً آخر مليئاً بالأرواح التى حاول دائماً أن يطلب رضاها وعفوها ويتخلص من غضبها عن طريق القرابين والأضحية والصلوات، وكانت الطقوس الأولى طقوساً للموت، والتضحيات الأولى قرابين غذائية تشبع حاجات الموتى، وكانت أولى المذابح التى تقدم عليها القرابين هى القبور[1].

٢– **المذهب الطبيعى**: ومن أشهر أعلامه كان ماكس موللر وكوهن اللذان كتبا عنه فى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر ويقوم أساساً على أن الدين لابد وأن يبدأ بتجربة حسية أى أنه لاشئ يتحقق فى عقيدة الإنسان مالم يكن قد أتى من قبل عن طريق حواسه وذلك من خلال الظواهر الطبيعية المتغيرة التى تحيط بالإنسان وتثير فيه مختلف المشاعر والأحاسيس. ومع ذلك فلم تتكون الأديان وتنشأ إلا حين انتفت عن القوى الطبيعية الصفة المجردة وتحولت بالتالى إلى كائنات مشخصة حية وعاقلة لها قوى روحية أى الآلهة لأن العبادات عادة لاتتجه إلا لهذا النوع من الكائنات كالإله زيوس كتشخيص للشمس وهيرا للهواء وهيفايستوس للنار وبوسيدون للماء وجيا للأرض وغيرها.

ويعترض دوركايم على هذا التفسير من منطلق أن محاولات الإنسان البدائى للسيطرة على الطبيعة لم تكن كلها ناجحة وبالتالى سيكتشف هذا الإنسان عبث محاولاته ويكف عنها[2]. إلا أن هذا الاعتراض مردود عليه إذ أن الإنسان غالباً ما يفسر عدم جدوى محاولاته بعيب قد تخلل طقوسه هو والدليل

(١) المرجع السابق: صفحات ٣٣ – ٦٧.
(٢) المرجع السابق: صفحات ٦٨ – ٨٩.

على ذلك أنه لازالت بعض المجتمعات حتى هذا الوقت تعرف رقصة المطر التى يحاول الإنسان من خلالها التحكم فى أوقات سقوط المطر خاصة فى أوقات الجفاف.

٣- **المذهب التوتمي:** وقد بشر بهذا المذهب دوركايم نفسه الذى نقد المذهبين السابقين، وهو يعتقد بأن عبادة التوتم هى أقدم الأديان على الإطلاق إذ أنها ترتبط بفكرة العشيرة التى هى حتى الآن أول وأبسط نظام اجتماعى تم اكتشافه وتوتم العشيرة هو رمز لها يتصل بحياتها أوثق الاتصال وتستمد منه القوة وقد تسمى العشيرة باسم التوتم، أما نوعية التوتم نفسه فعادة ماتتصل بأنواع من النبات أو الحيوان وأحياناً بعض الظواهر الطبيعية، يتم تقديسها ومن ثم عبادتها وقد يحرم أكلها إذا كانت نباتاً أو قتلها إذا كانت حيواناً.

والتوتمية عند دوركايم مذهب في الوجود يفسر الكون وينسق بين عناصره المختلفة، وبهذا يقع فى نفس الخطأ الذى اتخذه وسيلة لنقد المذهبين الحيوى والطبيعى[1].

ثالثاً: مصر القديمة

أدى شعور الإنسان الغريزى بالخوف من المجهول إلى احترامه لكل القوى التى توثر فى حياته دون أن يتعرف كنهها، واعتقد الإنسان بوجود هذه القوى ثم كون فى ذهنه صوراً لها، وأخذ يعطى كل منها شكلاً معيناً وإسماً خاصاً، بل أخذ يتمثلها على طريقته الخاصة فجعل من بعضها أصدقاء ومن البعض الآخر أعداء ومن هذا الشعور نشأت الديانة التى لم تكن إلا الاعتقاد المسيطر على ذهن الإنسان من أن هناك قوى تحيط به وتؤثر عليه

(١) المرجع السابق: صفحات ٩٠ ١٧٧
وعن الموضوع بشكل عام راجع
حسين الشيخ، ديانات الأسرار والعبادات الغامضه فى التاريخ دار العلوم العربية، بيروت ١٩٩٦.
صفحات ٧ ٢٩

ومجد الإنسان الأول آلهته أما لخير يرجوه منها أو لخوفه ورهبته منها، ورغبته في اتقاء شرها وإبعاد أذاها عنه، أو لإعجابه بعظمة فيها لايمكن إدراكها.

وكان للبيئة المصرية التى تتميز بانتظام أمورها واستقرار أحوالها الأثر الكبير الواضح فى معتقدات المصريين وتفكيرهم الدينى فقد كانت مظاهر الطبيعة أول ما أشعر المصرى بوجود الآلهة، مثله فى ذلك الوقت مثل الشعوب الأخرى القديمة، فكانت الأشجار والينابيع والأحجار والتلال والحيوانات هى مخلوقات حلت فيها قوى طبيعة غريبة لاسلطان له عليها ومن ثم كانت الطبيعة أول مؤثر مبكر فى عقل الإنسان وصارت مظاهر الإلهية الأولى فى نظره هى القوة المسيطرة على العالم المادى.

وأدى موقع مصر الجغرافى الحصين إلى أن يحيا أهلها حياة هادئة، لم يعكر صفوها إلا بعض الحروب التى حدثت من آن لآخر ولم يكن المصرى متعطشاً نحو الأخذ بالثأر، كما كان عليه الحال بين الشعوب الأخرى؛ ومن أجل هذا بقيت ديانته خلواً من الطقوس المخيفة ولم توجد فيها آلهة ظمأى للدماء، ولاطقوس تسرف فى السرور أو الشراهة وأديت الطقوس الدينية بشكل هادئ رزين وعومل الاله معاملة الرجل القوى الذى يسعى الكل إلى تأكيد مظاهر إحترامه فيقدمون له المأكل والمشرب والزهور والملابس والحلى، ويشيدون له مسكناً يحرصون على أن يكون جميلاً نظيفاً.

وكان للأحداث التاريخية أثرها الكبير فى الديانة المصرية فقد كانت البلاد تتكون قبل توحيد القطرين من عدة مقاطعات أو أقاليم، وكان لكل مقاطعة شارة خاصة تميزها عن سائر المقاطعات الأخرى، وكانت هذه الشارة أما صورة الاله الذى يعبد فى الإقليم أو نباتاً مقدساً أو جماداً له قدسيته فى نظر المجتمع الذى وجد فيه، وقد دلت شواهد الأحوال - كما يرى سليم حسن - على أن هذه الشارات قد اتخذها المصريون كرمز للالهة فى الأقاليم التى تنسب إليها وهكذا كان فى مصر نوع من الالهة الكبرى التى يمكن أن تسمى آلهة الأقاليم وهى

تختلف عن غيرها من المعبودات بتسميتها منسوبة إلى المدن التى نشأت فيها. وحين اتحدت مناطق الأقاليم فيما بينها - سواء بالطريق الودى أو العسكرى - إلى أن أدى هذا فى النهاية إلى وجود مملكتين منفصلتين إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب نشأت الديانة التى ربطت بين آلهة الأقاليم، فلم تبطل عبادة اله الإقليم المهزوم بل كان الهه يضم إلى معبود القائد المنتصر مما أدى إلى وجود تداخل كبير فى الديانة المصرية القديمة.

ويرى شارف أنه إذا تعرضنا لتقديس الالهة فلانستطيع إلا أن نذكر نوعين منها وهما ما أظهرتهما الرسوم المصرية أما على هيئة بشرية برؤوس حيوانية ترجع إلى المركز الحضارى الخاص بمناطق شمال أفريقية الآهلة بالجنس الحامى الأفريقى، وأن مجموعة الآلهة ذات الأجسام البشرية الكاملة ترجع إلى المركز الحضارى الخاص بمناطق جنوب غربى آسيا الآهلة بالجنس السامى القديم.

ولقد كانت الآلهة تمثل فى صورها الأصلية فى بادئ الأمر كما ظهر فى الشارات والرموز الدالة على المقاطعات، وكثيراً ما اختار المصرى بعض الحيوانات مثل التمساح والثعبان ليرمز بها لبعض آلهته، كما اختار أحياناً بعض الحيوانات النافعة مثل الثور والبقرة، واختار كذلك أنواعاً أخرى من الحيوانات شغلت تفكير الرجل الساذج بحركاتها وأعمالها كابن آوى. وأعتقد المصرى أن هذه الحيوانات تحتوى شيئاً إلهياً فى نفسها، بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يجسد نفسه للبشر. فإنه يختار حيواناً ترمز بعض صفاته إلى مالهذا الاله من صفات ولكن من المعروف إن الإله لايكون مجسداً فى كل بقرة أو فى كل تمساح، وعلى ذلك فقد كان المصرى يقوم بذبح بعض هذه الحيوانات التى ترمز إلى الهه ولايرى فى ذلك عملاً مشيناً، وفى بعض الأحيان تحتفظ مدينة مابنموذج واحد من هذه الحيوانات كممثل للإله وذلك اعتقاداً أن جزءاً من الشخصية الالهية تسكن فيه بصفة مستمرة.

ونتيجة لاعتقادهم بأن لهذه الآلهة من المشاعر مايحاكى مشاعر البشر من حب وكره وحماية وعقاب وعطاء وأخذ، فقد مثلوا بعض آلهتهم بأجسام آدمية ورؤوس حيوانية أو برأس أضيفت إليه علامة مميزة لذلك المعبود. ويرى بعض المؤرخين أن الانتقال إلى تمثيل المعبودات المحلية في صورة إنسانية يعد تطوراً كبيراً لم يصل إليه المصرى إلا بعد أن بلغ مرحلة معينة من الحضارة، فبداية تحكم الإنسان المصرى أن يضبض على معبوداته صفاته وعواطفه الإنسانية، فجمع بين الإنسان وسيطرته على الحيوان والعالم المادى من حوله من جهة وبداية التركيز على الجانب المعنوى من جهة أخرى، جعل الإنسان يقدر ما للبشر من مزايا، ومن ثم فقد صور الهته بأجسام آدمية. ولايلقى هذا الرأى قبولاً من بعض المؤرخين الذين يرون أننا نخطىء إذا اعتبرنا ذلك المظهر تطوراً ويرون أن السبب فى ذلك يرجع إلى رغبة الإنسان المصرى أن يضفى على معبوداته صفاته وعواطفه الإنسانية، فجمع بين الإنسان والحيوان الذى يعبده عند تصويره الإله بصورة تتفق مع واقعيته، ومن ثم كان يرسم الإله برأس حيوان وجسم إنسان، أو بأى جزء من الحيوان يشير إلى أصل معبوده أو أى إشارة تميز طبيعته.

ومن أهم الألهة فى مصر القديمة كان:

أوزير أو أوزوريس إله الخصب والزراعة والعالم الآخر، والإله رع أو الشمس مانحة الحياة، والإله حور أو الصقر حورس وهو ابن الاله أوزير، والآلهة ايزه أو ازيس زوجة الإله اوزير، والإله ست إله الشر، والإله بتاح حامى الفنون والصناعات، والإله تحوت إله الحكمة، والإله انوبيس حامى الموتى، والإله من إله التناسل، والإلهة حتحور راعية النساء والحب والموسيقى وغيرهم كثير، بالإضافة إلى الإله آمون كبير الآلهة وخالق الكون عند المصريين القدامى[1].

رابعاً: الآلهة المصرية[2]:

آمون: وهو اله مصرى رأسه رأس الكبش ويظهر كرجل ملتح يلبس قبعة

(١) أحمد أمين سليم، دراسات فى حضارة الشرق الأدنى القديم، بيروت ١٩٩٢، صفحات ١٠١ ومابعدها.

(٢) ثبت الآلهة التالى مأخوذ عن:
ارثر كوترل، قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى الطريحى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٣، صفحات ١٨ - ٥٧.

فيها ريشتان طويلتان وتعتبر عبادته من اهم الاحداث فى القرن السادس عشر قبل الميلاد فى التاريخ المصرى وذلك عندما طرد المصريون الغزاة الهكسوس ووصلت حدود امبراطوريتهم إلى كنعان وكان هناك تنافس بين آمون ورع ثم أصبحا مترابطين حيث أطلق عليهما تسمية آمون - رع، ماعدا فى فترة أخناتون - واعتبر آمون ملك الالهة بصفته حامياً للسلالة الفرعونية وتجسد فى الفرعون الحاكم وبنيت المعابد الكبيرة لعبادته فى الاقصر والكرنك وكان ينظر إلى آمون كأحد الالهة الذين خلقوا الكون. وقد امتدح اتباعه فى صلواتهم كرمه المعروف وعرفه الاغريق باسم زيوس وكان معبده معروفاً فى صحراء سيوة فى ليبيا، وقد اخبر رهبان طيبة هيرودوس بان اثنتين من راهباتهم قد خطفهما الفينيقيون وباعوا احداهن فى ليبيا والثانية فى اليونان. وان هاتين الراهبتين من معابد طيبة كانتا المؤسستين للعبادة فى هذين البلدين وكانتا تتبآن فى معبد «سيوة» ومعبد «دلفى» فى اليونان.

آنوبيس: وهو اله مصرى جنائزى رأسه رأس الثعلب. وقبل آن يصبح (أوزريس) كبير الهة الموتى. كان (آنوبيس) عميد الالهة وتقرأ باسمه الصلوات الجنائزية. وكان عمله كراع للتحنيط وحامى القبور، أما الاله الاخر الذى كان يظهر برأس كلب فهو «ويب ووات» او فاتح الطريق وكان يعامل كمساعد ودليل للموتى، وكان يحمل على منصة امام الحاكم المصرى فى المعركة وكذلك فى احتفالات النصر.

اوزوريس: المنقذ المصرى، رئيس الهة الموتى وهو الاله الوحيد الذى نافس عبادة الاله رع. وكانت زيدو مدينته المقدسة واخذت اسمه من تعويذته. اما عن ضفاف الانهار فكان أوزوريس سيد الفيضانات والخضرة وسيد وحاكم الموتى، واخذ رمز الثعلب «أنوبيس» وفى مصر العليا يرتبط الكلب بالموتى. أما فى أبيدوس فقد اختلطت عبادته بعبادات اخرى حيث اعتقدوا ان رأسه دفن هناك. وسبب ذلك ان الالهة المصرية لم يكن لديها مكان مخصص للسكن اى

الاوليمبوس مثل الاغريق حيث يبقى الالهة فى امكان سكنهم إلا من يتحد مع الهة اكبر منه.

وجد اوزوريس على شكل رجل ملتح وملون اما باللون الاخضر او الاسود ويلبس تاج مصر العليا ومحنط كالمومياء. ويحمل فى يده أداة دراس الحنطة وصولجاناً وهما علامة قوته كالاله المبعوث والميت ويعزون اليه تعليم البشرية الزراعة وصناعات حرفية اخرى. وكان أوزوريس هو الذى اوجد الطقوس الدينية وبخاصة الغامضة منها والتى تحيط بعملية التحنيط. وفى زيدو كانت هناك مومياء لاوزوريس نفسه. وكان الاحتفاظ بالجسد هاماً عند المصريين للحصول على الحياة الأبدية، إذ إعتقدوا أن أما الذى بلاجسد لايمكن له ان يحيا بعد الموت وبالاضافة للجسد اعتقد المصريون بوجود «البا» والكا» فالـ«با» هى الروح وتصور على شكل طير ورأس بشرى أما الـ «كا» فهى حارسة الجسد ومزدوجة معه اذ تولد معه وتبقى تصاحبه فى عالم الموتى.

فى البدء كان الفراعنة وحدهم يصبحون أوزوريس بعد موتهم أما اولادهم فيصبحون حورس ابن اوزوريس ومن بدء الالف الثالث قبل الميلاد بدأ الناس يعتقدون بان عملهم من خير وشر سيؤدى لنفس النتيجة ويؤدى للخلاص وكل من يتوفى يقف امام اوزوريس ومساعديه مع ميزان الحساب الذى يراقبه أنوبيس حيث يقوم بوضع الروح فى الميزان ويزنها بريشة الحقيقة والصدق اما كاتب المحضر «توث» فيضع فى كتابه محضر المتوفى ووزن روحه. اما غير المحظوظين فينتظرهم وحش جزء منه تمساح وجزء أسد وجزء عجل البحر أو «آموت» آكل الموتى.

وبالنسبة لاسطورة الخليقة المصرية فان العالم الاخر للراحلين من الموتى يقع فى الأفق الغربى حيث تختفى الشمس كل يوم مع ضوئها والحياة التى تعطيها ويبدأ برد الصحراء يغلف وادى النيل عند حلول الظلام. وتقول اسطورة اوزوريس انه شوه واغرق ورميت بقاياه فوق اليابسة والمياه ووضع ماتبقى منه فى تابوت رمى فى النيل من قبل أخيه سيث. وطاف التابوت فى المياه حتى وصل مصب الدلتا

إلى البحر الابيض المتوسط ووصل بعدها إلى بيبلوس حيث عثرت عليه زوجته أيزيس وهى أخته وأبنة الهة الارض «جب». وسبب قيام سيث بقتله بانه غار من السعادة التى كان أوزوريس وأيزيس ينعمان بها فاستولى على التابوت وقطع الجثة اربع عشرة قطعة رماها فى ارض النيل فقامت أيزيس مرة ثانية بجمع اشلاء زوجها بمساعدة «نوت» والدة أوزوريس واعادت الحياة للجسد ماعدا أعضاءه الجنسية اذ اكلتها الاسماك، ولكن الاله الذى عاد إلى الحياة لم يبق فى الارض بل اصبح سيد الراحلين فى عالم الموتى. وتقول اسطورة اخرى ان أيزيس دفنت كل جزء من جسده فى المكان الذى وجدته فيه وبذا جعلت قوته فى كل مكان. وقد حملت أيزيس من الاله المتوفى بمعجزة وجاء ابنه حورس الذى انتقم لابيه. وقد انتشرت طقوس بعث الرجل الميت فى الامبراطورية الرومانية بعد ذلك. اما اسطورة اخرى فتقول ان اوزوريس كان ملكاً فى الازمنة القديمة وحكم مصر من عاصمته فى الدلتا وان قتله الدامى من عمل مدينة أومبوس وهى مدينة مقدسة لسيث فى مصر العليا وقام أبنه حورس بتوحيد المملكتين حيث قتل الثائر سيث. وفى تفسير بديل فان التركيز يوجه على بعث أوزوريس اله المزروعات الذى يعود للحياة فى فيضان النيل.

أمحوتب: هو أحد البشر المصريين من الفانين وقام المصريون بتأليهه وكان أمحوتب مهندس الاهرامات فى سقارة التى قام ببنائها الملك زوسر حوالى ٢٦٥٠ ق.م واصبح امحوتب الهاً شعبياً للشفاء وينحت على شكل راهب حليق الرأس ويحمل ورق بردى على ركبته وهو سيد المعرفة والتعليم وبخاصة علوم الطلب وعرف عند الاغريق باسم (أسكليبوس) وتم تأليه بشر اخر هو (أمن حوتب) وكان مهندساً بارعاً فى عهد أمن حوتب الثالث فى القرن الخامس عشر ق.م وكان حكيماً ولديه قدرة على الاشفاء.

أيزيس: المعنى الحر فى فى لكلمة أيزيس هو «المقعد». وهى الالهة الام فى مصر وابنة نوت وزوجة واخت اوزوريس وأم حورس، وصورت كامرأة ترضع طفلها

حورس، وعندما تلبس القرص السماوى وقرون البقرة تصبح الالهة هاثور. وتحكى الاساطير ان أيزيس اكتشفت الاسم الرمزى السرى والسحرى لرع اله الشمس. ونظراً لضجرها من الحياة الدنيوية ارادات ان تصبح الهة باستخدامها اسم الاله السرى وجمعت بعض لعاب الاله رع وَخلطته بالتراب وحملت أفعى وضعتها فى طريق رع وقد لدغته الافعى ونفثت سمها فيه مما اجبره على البوح باسمه الرمزى لايزيس، اذ كان من يتلفظ بهذا الاسم يصبح الهاً، وعندما أثر السم فيه تكلم ونطق بالاسم الرمزى وتألهت ايزيس وانتشرت عبادتها إلى اليونان.

بتاح: عضو قائد فى مجمع الالهة المصرية ومركز عبادته فى ممفيس ويشاهد بمرافقة زوجته الالهة اللبؤة سخمت ونفرتيم ابنه فى البدء كان بتاح هو «نون» او المياه الاولية وبكلمة أو عجينة طين خلق «بتاح - نون» العالم. وفى اسطورة اخرى انه خلق «آتوم» وهى الصورة التى ظهر بها رع اله الفراعنة فى اساطير هليوبوليس. ولقد حاول زهبان بتاح مزج العناصر المتنافسة فى الاساطير لخلق اسطورتهم الكونية وجرى امتزاج آخر لخلق إله مدينة ممفيس تحت اسم «بتاح - سوكار» ويجد بتاح كشخص يحمل «عنخ» رمز الحياة وقوة الخلق فى الكون. ويعتقد بانه كان الهاً للحدادين حيث ربطه الاغريق بالههم «هيفيستوس» المخصص للحرف اليدوية. وفى ممفيس كانت تجرى طقوس لعبادة الثور «آبيس» حيث يحتفظان بعدد من الابقار المقدسة ولكن العبادات المختلفة انحسرت لتعطى مكاناً إلى عبادة ثورة ممفيس. وكان ثور آبيس يقدس حتى يتم تحنيطه ويوضع فى ناووس كالذين سبقوه وغالباً مايشارك رهبان يمثلون الهة مصريين فى المراسم المرتبطة بالثور «آبيس» والعلاقة بين بتاح والثور غير واضحة ويقال ان الثور بعد وفاته يتحول إلى أوزوريس.

باستيت: الالهة المصرية المجسدة على شكل قطة، وربطوها باللبؤة ايضاً قبل ارتباطها بالقطة المدجنة. وكان مكان عبادتها فى (بوباستس) حيث يوجد ناووس لتحنيط القطط. وكانت هذه الالهة تحمى نوعاً من الاجناس وتأخذ شكلاً

حيوانياً. وخصصت لها مدن مقدسة وحدث ذلك لحيوانات اخرى ففى الفيوم مثلاً اخذ الاله (سيبيك) شكل التمساح وتوجد بركة يسبح فيها تمساح يجسد الاله ويأخذ الذين يعبدونه مياها مقدسة من البركة. واخذت عبادة الثور «أبيس» اعلى مرتبة وتعجب هيرودوت من ذلك اذ لاحظ انهم يدفنون الثور وكذلك بقية الحيوانات. وكانت القطط تقدس فى البيوت، وقال الرحالة الاغريقى هيرودوث «وعندما تندلع النيران فان اشياء غريبة تحدث للقطط، ويجتمع المصريون لمراقبتها بدلاً من اطفاء النيران، وتقفز القطط الى النيران، وهنا يبدأ الحزن العظيم، اذ كان سكان البيت الذى تموت فيه قطة يحلقون اجفانهم، بينما اذا مات كلب يحلقون رأسهم وجسدهم. وخلال احتفالات الالهة (باستيت) يمتنع الفراعنة عن صيد الاسود وهى الرياضة المحببة لديهم اذ كان اصطيادها فى هذه الفترة يعتبر دنساً».

بيس: هو اله شعبى يعبد فى المنازل فى مصر القديمة «الفرعونية» ويمكن ان يكون من اصل نوبى ويمثل على شكل قزم مع لحية كبيرة وعينين متهدلتين وشعر طويل واذنين كبيرتين وانف مفلطح ولسان ممدود ويداه عريضتان وطويلتان وسيقانه معوجة وله ذيل. وهو لايشبه بقية الالهة المصرية التى كانت ذات بعدين ويظهر وجهها النصفى، بينما رسم (بيس) كامل الهيئة ولانجد مثالاً لذلك إلا فى رسوم الهة الحب (قيتيش) لدى الاسيويين وكانت لها علاقة بالملذات الجسدية، وكان بيس حارساً ضد النحس والمنازل، فهو يقتل الافاعى، ويحرس الاطفال، ويشجع الخصب، ويساعد ابقار الماء. والالهة (يثورات) عند الوضع. اما (قيتيش) الهة الحب فجسدت كأمرأة عارية تقف على أسد وتحمل باقة زهور فى يد وافعى فى يد اخرى. وكانت عشيقة الالهة وعرفوها على انها (أيزيس) و (هاتور).

تحوت أو توث: كاتب الالهة المصرية واهم الهة مدينة كمون أو هيرموبوليس فى الايام القديمة كان خالقاً ولكن بعد النصف الثانى من الالف الثالث عزى

اليه كتابة القانون والعلوم والاختراع والكتابة الهيروغليفية وهناك اوراق لعب تسمى اليوم كتاب توث ومن دراسة الكتاب تمكن توث من السيطرة على السحر وسمى باله الحكمة وان الفاظه كانت تتحول إلى حياة مما أدى الى اعتقاد السحرة فيما بعد بقوة تلفظ الكلمات وقوة توث وكانت علامته زهرة اللوتس التى تنبع فى المياه الاسنة وتتفتح عن طفل جميل هو الشمس.

حورس: ولد حورس من اتحاد ايزيس وأزوريس الاله المذبوح. وقد ولد حورس بطرق سحرية اذ تقول الاسطورة المصرية ان أيزيس لجأت إلى الاهوار فى الدلتا وأنجبت ابنها حورس وربته بسرية تامة، وعندما بلغ سن البلوغ اراد حورس الانتقام لقتل والده فى معركة مع سيث عمه القاتل وخسر احدى عينيه ولكن سيث قتل واعتبر الخاسر واعيدت العين لحورس الذى اعطاها لاوزوريس ووضع مكانها الافعى المقدسة التى أصبحت شعاراً ملكياً فيما بعد ويجسد حورس على شكل مخلوق رأسه رأس صقر وهو اله المزروعات عند المصريين ويمثل أوزوريس فرعون كل مصر.

اما أيزيس فتجسد المرأة الحزينة وحورس الابن المخلص وقد عبد فى مصر العليا كاله للشمس وعرف برع وعند وفاة فرعون فى مصر يصبح اوزوريس خلفه الحى فهو حورس ورع فى آن واحد كتجسيد للابن الحى.

«رع» أو «رى»: كانت مدينة هليوبوليس مركزاً لعبادة «رع أو رى» اله الشمس. وتظهر قوته فى العديد من العبادات القديمة واساطيرها. واعتقد المصريون بقوته واستمراريته وقد بدأ الفرعون جيفرين الاول فى الالف الثالث قبل الميلاد بتسمية نفسه ابن الشمس او ابن رع ولكن ثورة امينوفيس الرابع الاصلاحية فى عام ١٣٨٧ - ١٣٦٦ ق.م رفعت عبادة الشمس إلى أعال لم تسبقها من قبل و« كأخناتون» أو تابع آتون فان هذا الفرعون غير الاعتيادى حاول ان يركز الولاء للخاصية المادية لاله الشمس الممثلة فى القرص الشمس «أتون» وقد رفض عبادة الهة اسلافه واضطهد رهبان «عمون» الاله ذا رأس العجل فى طيبة حيث كان

لهم تأثير بالغ في الحياة منذ طرد الهكسوس. وقرر اخناتون بناء مقر جديد له ولالهه وسميت المدينة الجديدة أخيتاتون أو أفق آتون، وتقع في منتصف الطريق بين طيبة وممفيس وعبد آتون في تلك المدينة كالعنصر الخالق للحياة واب لجميع الرجال وهو الذى اعطاهم الواناً مختلفة ولغات وأراضي واعطى المصرين النيل والاخرين المطر. بقي اخناتون في مدينته الجديدة لانشغاله بعقيدته وانعزل عن انحاء البلاد، ولم يهمه اندحار المصريين في كنعان ولكنه لم ينجح في تأسيس عقيدة جديدة غير مرتبطة بالاساطير المصرية اذ بعد وفاته قام توت عنخ آمون بارجاع العاصمة الى طيبة وانمحت عبادة آتون حين حكم آخر فرعون من السلالة الثامنة عشرة السمرا «حرم حب» في ١٣٥٣ - ١٣١٩ ق.م.

وفي هليوبوليس فان اسطورة رع تروى بانه خالق الكون وكان موجوداً وحيداً ثم جاء «آتوم» للحياة نتيجة قذف الزوجين «شو» الهواء و «نفتوت» الرطوبة وانبثق من قذفهما «جب» سيد الارض والالهة «نوت» الهة السماء. وكانت الافعى مرادفة للتنين البابلي «تايمات» التي ذبحها اله الشمس مردوخ. وقد تمكن «شو» ابن آتوم من دحر «أبوفيس». وحسب رواية ثانية فان الذى دحر قوى الفوضى «سيث» ولكن (أبوفيس) لم تكن له اهمية كما هو عليه الحال بالنسبة لقوى الشر في بقية الاساطير. وكان فيضان النيل حدثاً يتكرر ولم يكن مثل فيضانات دجلة والفرات التي لاتحصى ولاتعد، ولانجد في الاسطورة المصرية صراع القوى المتعادية كما في الاسطورة البابلية والتي تروى بان تنين الفوضى والعنصر الذى يقضي على الاشياء والمياه الاولية تتطلب تدخلاً بطولياً لاله الشمس.

وفي معبد طيبة تجرى طقوس لمساعدة (رع) في صراعه اليومي مع (أبوفيس)، اذ كانوا يعتقدون ان قوى الافعى تتكاثر بعد غروب الشمس وتهاجم وتستمر معركة رع خلال الليل وحتى عند الشروق اذ يتمكن ابوفيس من إثارة زوبعة في السماء لحجب نور الشمس وقوتها.

وتتضمن مراسم طيبة تحطيم تمثال ابوفيس الممثل بالتمساح او الافعى وكان التمثال يصنع من الشمع ويكتب اسمه بالحبر الاخضر وكذلك تماثيل اتباعه ويتم لفها بورق البردى وكانوا يهينون ابو فيس ويضرب بسكين ويرمى وفى نفس الوقت يردد الرهبان تعويذة ويقومون بممارسات سحرية ودينية حيث اعتقد المصريون ان الالهة تستخدم التعاويذ وكانت الالهة التى يخلقها آتوم مظهراً لقوة آتوم السحرية.

أما قصة رع فكانت موضوعاً للعديد من الاساطير الشعبية فبالنسبة لايزيس كشف الاله العجوز أسمه الرمزى لها، اما بالنسبة للإلهة «هاتور» فهو رجل أشيب سريع الغضب القى على عاتقه قتل البشر. وهناك اسطورة متداخلة مع هذه الاسطورة حول عين رع التى خسرها حورس ابن أوزوريس فى صراعه مع سيث، وقد ربطت الاساطير لجعلها احداثاً الهية اذ اصبحت عين رع نجمة الصباح المرتبطة باوزوريس وعودته للحياة. اما اذا ظهر رع على شكل الاله تغنوت فان عين اله الشمس تختفي لوقت وتعود بعد تقديم التوسلات والادعية. ولعب الاله رع دوراً غريباً في العناية بالموتى ورسم مصير الانسانية اذ يساعده حورس لوضع سلم الهروب في القبور الملكية لمساعدة الفرعون الميت على الهروب. وانتهت عبادة رع نتيجة تنافسها مع عقيدة اوزوريس حيث ان الاهتمام الاول انصب على البعث والموت وهذه لايمكن ان تقارن بالتأملات الكونية لاساطير الشمس.

سيكير: اله جنائزى مصرى على هيئة رجل محنط ورأسه رأس صقر ومركز عبادته في نيكرو بوليس العائدة لمفيس. وكان مجال عبادته قسماً من العالم السفلي، حيث ينتظر «يفهيبوكو» الموتى على هيئة ثعبان. وقد عرف سيكير بازوريس الذى يظهر على شكل مومياء وظهر مع «بتاح» حيث كانت تجرى له المراسم والطقوس فى ممفيس ويقال ان اسم «بتاح» هو من جذر سومرى ويعنى مفتاح مثل «المن» وله علاقة بالخصب. اما الاشكال الاخرى للالهة المحنطة فانه كان «هابى» ويظهر برأس قرد على انه احد اولاد حورس الاربعة وكان واجبة

حراسة الجرة التي تحتوى على رئتي حورس المحنطة اما الاولاد البقية فيحرسون الجرار الاخرى في سراسم الموتى. وهم مستا ويحرس الكبد «توتاموف» يحرس المعدة، «كيبهينوف» ورأسه كالثعلب يحرس الامعاء، اذ كان المصريون يحتفظون بالاحشاء في اماكن منفصلة عن الجسد المحنط.

سيرابيس: اله دولة البطالمة وهي فترة الحكم المقدونية في مصر ٣٠٥ – ٣٠ ق.م وقد جسد سيرابيس كرجل مع شعر مجعد ولحية ويحمل سلة على رأسه. وقد اشتقت عبادته من عبادة الثور أبيس في ممفيس وكان مركز عبادة سيرابيس في الاسكندرية التي كانت مركز دراسة وتجارة في عهد البطالمة. واعتبر السرابيوم احدى عجائب الدنيا السبع ويأتيه الحجاج من كل مكان للشفاء والمعجزات وكان سيرابيس مداوياً للمرضى والهاً اعلى من القدر واخذ من اوزوريس شخصية اله عالم الموتى. وكان له تأثير على الرومان حتى تغلبت عليه عبادة «أيزيس». ونهاية السرابيوم كانت بعد فترة إذ قام الامبراطور ثيود يسيوس (٣٧٩-٩٥) بتهنئة المسيحيين (لتهديمهم) السيرابيوم بتحريض من احد بطاركة الاسكندرية.

«سفينكس» أبو الهول:

حسب الاسطورة فان ابو الهول هو اله الشمس رغم انه كتلة صخرية في مرتفع الجيزة تمثل اسداً رابضاً ورأسه رأس انسان يلبس غطاء رأس فرعوني. وفي الالف الثالث قبل الميلاد قام شيفرين بالايعاز إلى رجاله لنحت ابو الهول في الجيزة وطوله ٢٤٠ قدما ويواجه الشمس المشرقة. وهو حامي الاهرامات ويمزق اعدء (رع) وكان ابو الهول نموذجاً شعبياً في الصناعات المصرية والبناء. وتقول الاسطورة ان ابو الهول وعد طوطميس الرابع بانه سيعتلي العرش في عام ١٤٢٣ – ١٤١٢ ق.م بعد ان ازال الرمال من مخالب ابو الهول.

اما الاسطورة الإغريقية فتصوره كوحش مع وجه وثديي امرأة وجسم اسد واجنحة وان هيرا الهة الارض ارسلته ليهدد مدينة طيبة وكان ابو الهول يحرس ممراً

على حافة جبل على البحر ويسأل كل عابر أحجية وعندما اعطى الملك اوديب الجواب الصحيح رمى أبو الهول بنفسه من القمة وسقط فى البحر.

معت: الهة الصدق عند المصريين وابنة رى وتمثل لابسة ريشة نعامة واحدة ولعدالتها وصدقها استخدمت ريشتها لوزن روح الميت في يوم الحساب أمام اوزوريس ملك الارض الاخرى او الآخرة.

مـن: وهو اله عبد فى بانوبوليس وقبطوس فى مصر السفلى ويظهر الاله «من» على هيئة رجل يلبس قبعة فيها ريشتان ويحمل عصا على شكل سوط وكـان «من» من الهـة البدو والصيادين ومنطقتـه فى الصحراء الشرقيـة ومن خصائصه الرجولة والتكاثر وكانت عبادته منتشرة ويحتفل بعودته فى مصر واهم اعياده وقت الحصاد وتنتشر اعياده بين الطبقات الدنيا وكانت احتفالاته صاخبة ومعربدة وله شعبية مثل أوزوريس.

حابى: عبد الفراعنة نهر النيل كإله ولم يكن مثل انهار مابين النهرين، فقد كان النهر عند المصريين الهاً يأكل جيداً وممتلئ الجسم ويفرح ويتبادل الهدايا، وكـان يمثل وهو يحمل الذرة كرمز للخصب الذى يعم بعد حدوث الفيضان السنوى اذ يحـمل النهـر الطمى والغرين، وكـانوا يقـدمـون له الغـذاء والحلى والمجوهرات.

هاثور: الالهـة البقرة عبدت فى عدة أماكن فى مصر وعرفت باسم (هاثور دندرة) وكانت تمثل كبقرة مع قرص سماوى أو إمرأة بقرون بقرة وظهرت أحياناً كتمثال لعجل البحر وسميت بالذهبية. وتمثل هاثور الخصب اذ تحضر حسب اعتقادهم فى مراسم الولادة. وكانت الهة الجمال والحب والزواج عند المصريين وعرفت أحياناً على أنها ايزيس زوجة أوزوريس. وحسب احدى الأساطير فإن اله الشمس رع استخدام هاثور لذبح البشريةلاعتقاده بأن البشر كانوا يتأمرون ضده وارسل عينيه على شكل هاثور لتدمير البشرية ولكنه لم يكن يريد فناءهم كلياً فقام بإحراق الحقول بالجعة الملونه باللون الأحمر كلون الدم وعندما رأت هاثور

صورتها منعكسة فى الماء شربت من الجعة وسكرت ونسيت المهمة التى ارسلت من أجلها وهكذا أنقذت البشرية.

نون: تعنى المياه الأولية فى الاسطورة المصرية. ويجسد كانسان أحياناً وكرجل جسمه مغمور فى المياه الى صدره وتقوم يداه برفع قرص الشمس. والفوضى التى كانت تعم المياه فى البدء تشبه بأنها كانت وحلة وبلانهاية ومن هذه الصفات تم تجسيدهم على شكل (نون ونونيت) و (هوه مع هوهيت) و (كوك مع كاكويت) و (آمون مع آمونيت) وكلهم يمثلون مدينة الثمانية «أو غدواد كمون» وإعتقد المصريون بأن عنصر المياه كان يحيط بالعالم ولكن اسطورة الطوفان لم تذكر فى الأساطير المصرية.

نوت: آلهة السماء المصرية وقد انبثق منها آتوم أو المياه الأولى كما خلقت «شو وتفنوت» أى الهواء والرطوبة ومن اتحادهما ولد «جيب» اله الأرض ونوت واولادهم هم أوزوريس وسيث وايزيس وتنيثس. وكانت الهة السماء تصور عارية وضخمة ومحدبة ويسندها «شو» وتقول الاساطير أنها مسؤولة عن تعاقب الليل والنهار أى الولادة الشمسية.

اذ يعتقدون أن الشمس طفل يدخل فم نوت فى المساء ويثمر فى جسدها فى الليل وتولد ثانية صباحاً.

الفصل الخامس

الاسكندرية عاصمة مصر

حتى الفتح الاسلامى

الفصل الخامس

الاسكندرية عاصمة مصر حتى الفتح الاسلامى

أثيرت العديد من التساؤلات حول هدف الاسكندر المقدونى من تأسيس مدينة الاسكندرية، وطرحت العديد من الاحتمالات، كأن يكون الهدف هو جعل الاسكندرية مركزا لامبرطورية تتكون من دول البحر المتوسط، وهو احتمال مردود عليه لان الاسكندر لم يكتف بغزو بعض مناطق البحر المتوسط بل اتجه أيضا الى آسيا، والاحتمال الثانى هو أن تكون الاسكندرية عاصمة للامبراطورية العالمية التى كان الاسكندر يحلم بتكوينها، وهو أيضا أمر مستبعد لان بابل كانت فى موقع أفضل من الناحية الجغرافية والتاريخية أو أثينا التى كان تاريخها القديم وشهرتها العريضة فى كافة مجالات العلوم والفنون والآداب خير مبرر لاختيارها عاصمة لهذه الامبراطورية.

أما الاحتمال الثالث وهو الاقرب الى الصحة هو أنه بعد استيلاء الاسكندر على ميناء صور الذى كان يعد من أكبر الموانى التجارية فى شرقى البحر المتوسط أراد انشاء ميناء آخر يسبغ عليه الصفة اليونانية ويكون بديلا لصور فى التحكم فى تجارة البحر المتوسط وخاصة أن مصر لم يكن لها ميناء كبير على هذا الشاطئ فى ذلك الوقت ويبدو أن هدف الاسكندر قد تحقق، فبعد بضعة سنوات من تأسيس مدينة الاسكندرية تحولت تدريجيا الى مركز للتجارة العالمية وواحد من أهم وألمع مراكز الحضارة الهلينستية[1].

المنطقة التى أسست عليها الاسكندرية:

عرفت جزيرة «فاروس» منذ أيام هوميروس الشاعر اليونانى صاحب الملحمتين الشهيرتين «الالياذة والاوديسية» وحدد موقعها ببعدها عن مصب النيل بمسافة يوم كامل، وذكر وجود ميناء بها لايواء السفن. ويذكر «سترابون» وجود قرية

(١) عن هذه الاحتمالات راجع: محمد عواد حسين: تخطيط المدينة تاريخ الاسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور محافظة الاسكندرية ١٩٦٣ ص ١٣ ومابعدها.

سميت «راكوتيس» فى هذه المنطقة كانت محطة لبعض صيادى السمك من المصريين، ويؤكد قدم هذه المنطقة ووجود ميناء بها حتى قبل مجئ الاسكندر اكتشاف أحد علماء الآثار ويدعى «جاستون جوندية»[1]. أرضية ميناء كامل شمال وغرب جزيرة فاروس بعرض ثمانية أمتار غارق تحت الماء، ويؤكد هذا أن الطريقة المستخدمة لبناء هذه الارصفة لاتنتمى الى العصر اليونانى وانما من المحتمل أنها أقدم بكثير، ويرى جاستون جوندية أن هذا الميناء مصرى أصيل حيث أن طريقة بناءه تتفق مع الطرز المعمارية وطرق البناء المصرية المستخدمة فى الدولة الحديثة، لهذا فمن الممكن أن يعود تاريخه الى رمسيس الثانى أو الثالث الذى أنشأه لحماية سواحل مصر ثم غرق تحت الماء نتيجة للعوامل الطبيعية المتغيرة بينما يرى البعض الآخر أن هذا الميناء هو الذى ذكره هوميروس أو أن أهالى كريت هم الذين أنشأوه في العصر المينوى ويدعمون رأيهم بأن المصريون لم يعرفوا سوى الموانى المقامة على مصبات نهر النيل، بينما عرف أهل كريت الموانى البحرية.

وتقع المنطقة التى أسست عليها الاسكندرية غرب الفرع الكانوبى للنيل ببضعة كيلو مترات بين بحيرة مريوط والبحر، وتواجهها جزيرة فاروس الى الشمال بحوالى ١,٥ كيلو متر بطول حوالى ٤,٥ كيلو متر مما جعل المنطقة تمثل مرفأ طبيعيا للسفن بالاضافة الى ارتفاع هذه المنطقة عن مستوى الدلتا وبعدها عن مصب الفرع الكانوبى للنيل مما جعل ردم هذا الميناء أمرا مستبعدا، وسهولة وصول مياه الشرب اليها، واحتمال وصل الجزيرة بالشاطئ الذى خلق مينائين مختلفين فى وقت واحد.

معالم الاسكندرية القديمة:

١ - **الهيبتاستاديوم** : وهو الجسر الذى ربط بين جزيرة فاروس وشاطئ المدينة، وسمى كذلك لان طوله كان سبعة ستاديوم[2]. ونشأ عن بناء هذا الجسر

---

(1) Jondet, Atlas Historique de la Ville d'Alexandrie 1921.

(٢) الستاديوم هو وحدة قياس يونانية قديمة تساوى بالمقياس الحديث حوالى ١٨٦ متر وبالتالى يكون طول هذا الجسر يزيد قليلا عن الف وثلاثمائة متر.

ميناءين واحد الى الشرق والآخر الى الغرب، واستخدم كذلك فى انشاء قنوات للمياه لتوصيلها الى جزيرة فاروس.

٢- **الميناء الشرقية**: وأطلق عليه «ماجنوس بورتس» أى «الميناء الكبير»، ويقع بين رأس لوخياس (السلسلة حاليا) من الشرق، وطرف جزيرة فاروس غربا، وفيها وأمام الساحل كانت تقع جزيرة «انتى رودس» وهى جزيرة غرقت الآن بفعل العوامل الطبيعية (مكانها فى مواجهة محطة الرمل حاليا بالتقريب) وانشئ عليها قصر ملكى وتجاه الجزيرة امتدت على الساحل القصور الملكية والمعبد والمسرح بالاضافة الى الميناء الملكى الواقع على رأس لوخياس نفسها (السلسلة) وتميز هذا الميناء بضيق مدخله الشديد.

٣- **الميناء الغربية**: وعرفت باسم «ايونوستوس» أى (العودة السالمة) وكان استعمال هذا الميناء أقل كثيرا من استعمال الميناء الشرقى نظرا لعدم الامان المتوفر فيه.

٤- **فنار الاسكندرية**: وبدأ انشائه فى عهد بطلميوس الاول وانتهى فى عهد بطلميوس الثانى، وتكون من أربعة طوابق بارتفاع حوالى ١٢٠ مترا فوق سطح البحر، وظل هذا الفنار يؤدى عمله حتى الفتح العربى لمصر فى سنة ٦٤١م. ثم توالت عليه الانهيارات والزلازل حتى عام ١٠٠٠م. حيث لم يبق منه سوى الطابق الارضى، ثم وفى حوالى ١٤٠٠م أقام السلطان قايتباى حصنة المشهور باسم «قلعة قايتباى» مكان الفنار القديم.

٥- **الحى الملكى**: ويقع على ساحل الميناء الشرقية ويوجد به قصور ملوك البطالمة والمعابد والحدائق، والجمنازيوم والمكتبة والمقابر الملكية وكانت هذه المنطقة تعتبر قلب المدينة ووصلت مساحتها الى ربع مساحة المدينة تقريبا.

٦- **أسوار الاسكندرية وشوارعها**: وقد قام محمود باشا الفلكى فى أبحاثه عن الاسكندرية القديمة بتحديد أطوال أسوارها القديمة بحوالى خمسة عشر كيلو متر عليها أبراج حراسة على مسافات متفاوتة تبدأ من رأس لوخياس الى

الداخل حتى منطقة الحضرة حاليا ثم تمتد بمحاذاة البحر حتى الميناء الغربية. وقدر سترابون أن طول المدينة حوالى ٣٠ ستاديوم (حوالى خمسة كيلو مترات) وعرضها مابين سبعة الى ثمانية ستاديوم (١٤٠٠-١٥٠٠ متر)(١). وكانت شوراع المدينة تمتد فى خطوط مستقيمة متقاطعة وحدد الفلكى الشارع الرئيسى للمدينة وهو الشارع الكانوبى والشارع المقاطع له ويمتد من رأس لوخياس حتى ترعة سخيديا.

٧- ترعة سخيديا: وكانت تمد الاسكندرية بمياه الشرب وهى تتفرع من النيل عند سخيديا على بعد حوالى ٢٧ كيلو متر من الاسكندرية وتتخذ مسارا يشابه ترعة المحمودية، وتفرعت هذه القناة الى فرعين أحدهما يسير بمحاذاة الشاطئ الى كانوبوس والاخر يلتف حول الاسكندرية من الجنوب ثم يصب فى الميناء الغربية.

٨- ميناء الاسكندرية النهرية: وتقع على بحيرة مريوط التى كانت تصب فيها العديد من القنوات الاتية من نهر النيل.

٩- الجامعة: وقد حدد «برشيا» وهو أحد أشهر الباحثين فى تاريخ الاسكندرية القديمة وآثارها، مكانها فى الحى الملكى فى المنطقة التى تقابل الان شوارع سيزوستريس والنبى دانيال وأقيمت فى نهاية عهد بطلميوس الاول وبداية فترة حكم بطلميوس الثانى. وكان مؤسسها «ديمتريوس الفاليرى» الاثينى الاصل وقد بلغ أساتذة هذه الجامعة «الموسيون» فى أزهى عصورها حوالى مائة مفكر من مختلف التخصصات منهم كان هيروفيلوس الجراح مكتشف الدورة الدموية، واقليدس الرياضى وهيبارخوس الفلكى وأرخميدس صاحب نظرية الكثافة الشهيرة(٢).

---

(1) Strabo, XVII. 8.
Josephus, Bell. Jud. 2. 16. 4.
Philo, In Flaccum, 757.
Stephanus Byzantius, S.V.

(١) عن الموضع بالتفصيل: راجع ابراهيم جمعه. جامعة الاسكندرية صفحات ٣٤ ومابعدها.

١٠- المكتبة: وقد طغت شهرتها أحيانا على الجامعة واقيمت بجوارها وكانت مكتبة الاسكندرية هي أول مكتبة عامة تمتلكها الدولة في العالم القديم، وضمت هذه المكتبة أكبر عدد من المجلدات أو اللفائف البردية المكتوبة عرفه العالم القديم، فقد بلغ عدد هذه اللفائف في عهد كليوباترا السابعة حوالي تسعمائه ألف مجلد أو لفافة، ولما كان الكتاب المتوسط الحجم يساوي مابين ستة أو سبعة من هذه المجلدات أو اللفائف لذا يمكن القول أنه بالمقياس الحديث قد ضمت هذه المكتبة مايقرب من مائة وثلاثين ألف كتاب في مختلف فروع العلم[1].

الاسكندرية عاصمة مصر الرومانية:

رغم أن الاسكندرية قد تراجعت ابان حكم الرومان لمصر عن المكانة السياسية التي كانت قد احتلها في عصر البطالمة وحلت محلها روما، الا أنها ظلت تحافظ على ريادتها في مجالات العلوم والفنون والآداب، بل وتعدت ذلك الى درجة التأثير المباشر على روما نفسها. وتظهر البقايا الاثرية التي تعود الى فترة حكم الرومان لمصر ازدهار حركة العمران في الاسكندرية بالتحديد وتنوعها لتغطي مجالات عدة كالمعابد والحمامات والمباني العامة والمقابر والنصب التذكارية وغيرها.

ومن أهم البقايا التي وصلتنا من العصر الروماني:

١- معبد الرأس السوداء: وهو صغير الحجم الى حد ملحوظ مقام على (أرضية مرتفعة) لها درج في واجهة المعبد واكتشفت فيه تماثيل للالهة ايزيس واوزوريس وهاربوكراتيس ودراسة نحتية لقدم موجودة بالمتحف اليوناني

---

(١) عن حريق المكتبة واتهام العرب به راجع المناقشة المستفيضة لهذا الموضوع في : مصطفى العبادي، مكتبة الاسكندرية القديمة ص ٤٦ ومابعدها.

وعن آراء المؤرخين القدامي في حريق المكتبة وارجاعه للحرب السكندرية راجع:
Amm Marcelinus, XXII, 16, Dio Cassius, XLII, 38; Aulus Gelius, Noctes Atticae, VII, 17. 5.

الرومانى بالاسكندرية. وربما أوحى صغر حجم المعبد بأنه كان معبدا خاصا لاحد أثرياء الاسكندرية فى العصر الرومانى. وحتى نهاية الستينات كان المعبد فى حالة لابأس بها.

٢- حمام كوم الدكة: وهو يطابق الى حد كبير طراز الحمامات الرومانية الشائع من كونه يحتوى على اكثر من حجرة لدرجات الماء المختلفة الثلاثة:

Frigidarium, Tepidarium, Caldarium

٣- صهاريج المياه: وكما سبق القول فقد اعتمدت الاسكندرية منذ انشائها على المياه التى وصلت اليها عن طريق ترعة سخيديا، وخزنت هذه المياه لضمان عدم تسربها ولتنقيتها فى صهاريج انتشرت بشكل واضح فى المدينة وكانت فى الغالب متصلة بترعة سخيديا ماعدا قلة منها مثل صهريج الشلالات الذى بقى لنا.

٤- المنازل: ولم يتبق لنا منها أى أثر، الا أن الفرضية القائلة بأن السكندرى بنى مقبرته على شكل مسكنه ربما لو صحت لاعطت لنا تصورا عن طبيعة مساكن السكندريين فى العصر الرومانى ويجرنا هذا الى الحديث عن المقابر والتى وصلنا منها أكثر من نموذج أهمها مقابر الانفوشى وكوم الشقافة واستخدمت فيها طريقة حرق جثث الموتى أو دفنهم وتحنيطهم أو وضعهم فى تابوت.

٥- عمود السوارى: وأقيم فى معبد السيرابيوم (معبد الاله سيرابيس) الذى اندثر وسمى أيضا عمود بومبى لاعتقاد البعض بأن رماد جثة بومبى القائد الرومانى الذى قتل فى مصر قد دفن فى جرة وضعت فوق تاج قمة العمود. ويزيد ارتفاع عمود السوارى عن ٢٦ متر ومن المرجح أن والى مصر قد أقامه تكريما للامبراطور دقلديانوس عند حضوره الى مصر وقمعه لاحدى الثورات فى الاسكندرية.

وقد ترتب على دخول أوغسطس لمصر فقدانها الاستقلال السياسى وبالتالى أصبحت الاسكندرية - رغم أنها ظلت العاصمة الرسمية لمصر - عاصمة لولاية تابعة سياسيا لروما. والى حد ما ظلت المدينة تحتفظ بمكانتها ولم يتغير شكلها العام فى هذا العصر، بل وأضيفت لها بعض المبانى الجديدة مثل معبد القيصريون الذى بدأت كليوباترا بناءه وأكمله الرومان بعد دخولهم لمصر، وظل قائما حتى احترق فى عام ٩١٢، ومدينة نيكوبوليس التى بناها أوغسطس تخليدا لانتصاره فى أكتيوم وأخذت الطابع العسكرى، وعمود السوارى الذى اقامة والى مصر تكريما للامبراطور دقلديانوس فى ٢٩٧م.

ومع بدء العصر البيزنطى - أو الرومانى المتأخر - تعود الاسكندرية لتأخذ مكان الصدارة من منطلق دينى هذه المرة، فقد بشر القديس مرقص بالمسيحية فى مصر من الاسكندرية، وانتشرت الديانة الجديدة بشكل أثار دهشة العالم القديم أجمع، إلا أن السبب وراء هذا الانتشار السريع كان بسيطاً جدا فقد كانت كل الظروف مهيأة لتقبل هذه الديانة الجديدة، وأصبحت الاسكندرية مقرا لاول كنيسة منظمة لها كيانها وتقاليدها وكهنوتها، وظهر فيها من أقطاب الفكر المسيحى كليمنت السكندرى وأوريجين، وغيرهم، واستمر هذا الانتشار رغم ما لاقاه المسيحيون أحيانا من اضطهاد حتى أعلن الامبراطور قسطنطين المسيحية ديانة رسمية للدولة فى ٣١٣م. كما أن حركة الرهبنة فى المسيحية بدأت من الاسكندرية فى القرن الثانى الميلادى وظلت تنتشر حتى وصلت الى قمتها فى القرن الخامس الميلادى.

لكل هذا تحولت الاسكندرية الى عاصمة روحية للمسيحية وبهذا بدأت فى منافسة بيزنطة عاصمة الامبراطورية الرومانية ونشأ صراع مذهبى بين المدينتين حول طبيعة المسيح الواحدة أو الثنائية، وتدريجيا حول المسيحيون الكثير من المعابد الوثنية فى الاسكندرية الى كنائس بالاضافة الى مابنوه هم من كنائس، وأهم هذه المبانى كانت كنيسة القديس مرقص وكانت مقامة بالقرب من السلسلة حاليا،

وكنيسة القديس أثناسيوس وغالبا ماكنت موجودة في المكان الذى بنى عليه جامع العطارين حاليا، ولهذا أطلق عليه علماء الحملة الفرنسية «جامع كنيسة القديس أثناسيوس»، وكنيسة يوحنا المعمدان وأقيمت على أنقاض معبد السيرابيوم بعد أن هدمه المسيحيون، هذا بالاضافة الى الاديرة التي أقيمت قرب الاسكندرية ابان ازدهار حركة الرهبنة مثل معبد أبو صير الذى حول إلى دير، وأديرة وادى النطرون التي خرب أغلبها بفعل عوامل الزمن ولازالت أربعة منها مستعملة حتى الآن هي دير البراموس ودير الانبا بشوى ودير السريان ودير أبو مقار[1].

وفي ديسمبر ٦٤١م الموافق محرم ٢١ هجرية فتح العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص الذى دخل الاسكندرية في ٦٤٢ سلما لاول مرة ثم استولى الرومان عليها مرة أخرى بعد عزل عمرو بن العاص من ولاية مصر في أواخر ٦٤٥، فعاد عمرو واستولى على المدينة مرة أخرى حربا، وأثناء حصاره للاسكندرية هدم بعض أجزاء من أسوارها ثم أعيد بناء هذه الاسوار خلال العصر العربى[2].

وعند دخول العرب للاسكندرية كانت قد فقدت الكثير من معالمها اما بفعل عوامل الزمن أو بسبب الصراع الديني بين الرومان والمسيحين وبعضهم البعض، وكانت المكتبة والموسيون والسيرابيون والقيصريون وغيرها من المعالم قد اندثرت أو خربت، ورغم كل هذا فيبدو أن المدينة كانت لاتزال تحمل بعض ملامح عظمتها حيث أن وصف العرب لها كان مليئا بالانبهار والاعجاب. وعند اعادة بناء أسوار الاسكندرية في العصر العربى كانت المدينة قد تقلصت ولذلك روعى أن تضم الاسوار بداخلها المناطق المسكونة فقط ولذلك أنكمشت مساحة المدينة. وتبعا لوجود العرب المسلمين في الاسكندرية فقد بدأت حركة بناء المساجد تنشط فيها مثل مسجد ذى القرنين الذى يقال أنه بنى بالقرب من قبر الاسكندر ومسجد عمرو بن العاص وبنى وسط المدينة ومسجد المنارة الذى بنى داخل الفنار نفسه.

---

(١) جمال الدين الشيال. تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي صفحات ١٧ - ٢٦
(٢) المرجع السابق. صفحات ٢٩ - ٣١.

ورغم أن عمرو بن العاص قد فكر فى الحفاظ على الاسكندرية عاصمة لمصر الا أن الخليفة عمر بن الخطاب رفض هذا على أساس أن العاصمة يجب أن لايفصلها مساحة مائية عن بلاد العرب، ومن هنا أسست الفسطاط ثم القاهرة بعد ذلك، ورغم هذا ظلت الاسكندرية العاصمة الثانية لمصر، وحرص العرب دائما على الحفاظ عليها فأقاموا فيها حامية كبيرة بلغ عددها فى عهد معاوية سبعة وعشرين ألف جندى[١].

وعندما فقدت مصر استقلالها مرة أخرى أصبحت ولاية تابعة للدولة العثمانية الجديدة فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى (١٥١٧) أصاب الاسكندرية ما أصاب مصر كلها من أهمال وتدهور، فأخذت الاسكندرية تزداد انكماشا واضمحلالا، وساعد على ذلك اكتشاف رأس الرجاء الصالح فى نفس الوقت تقريباً وتحول التجارة العالمية اليه وبالتالى فقدت الاسكندرية أهميتها التجارية وتحولت الى قرية صغيرة تركزت الحياة فيها فى منطقة الهبتاستاديوم تقريباً، أما باقى مناطق الاسكندرية المحصورة داخل أسوارها فقد هجرت. ومن هنا دخل الفرنسيون الاسكندرية فى ١٧٩٨ فى سهولة فقد كانت قلاعها لاتقوى على صد أى غزو خارجى، بالاضافة الى قلة عدد سكانها الذين لم يتجاوزوا حسب احصاء علماء الحملة الفرنسية الثمانية آلاف نسمة من مختلف الجنسيات. وقد حاول الفرنسيون النهوض بالمدينة بعض الشئ فرمموا أسوارها وحصونها وأنشأوا فيها قلعتين جديدتين على مناطق كوم الدكة وكوم الناضورة، كما قاموا بدراسة المدينة ورسموها ونشرت هذه الدراسة التى تكونت من أربعة أجزاء ضمن كتابهم الشهير «وصف مصر» ورغم عناية الفرنسيين الظاهرية بالاسكندرية فيبدو أن المدينة لم تتقدم كثيرا – حتى أن عدد سكانها كان آخذا فى النقصان – بسبب الاضطرابات السياسية والمصادرات وفرض الضرائب

(١) المرجع السابق. صفحات ٣٢ – ٣٧.

والصراع العنيف بين فرنسا وانجلترا وتركيا والذى أصبحت الاسكندرية مسرحا له حتى أنها شهدت معركتين هامتين هما أبو قير البرية وأبو قير البحرية حتى خرج منها الفرنسيون ودخلها الانجليز[1].

---

(١) المرجع السابق. صفحات ١٦١ - ١٦٦.
قارن. وصف مصر. الجزء الثالث. دراسة عن المدن والاقاليم المصرية. (١١) دراسة عن مدينة الاسكندرية. ترجمة زهير الشايب. صفحات ٢٩٥ -٣٩٧.

(٢)

الآداب والعلوم والفنون فى العصر السكندرى

تعرف الآثار الادبية الاغريقية التى ظهرت فى القرون الثلاثة الاخيرة قبل ميلاد المسيح بأدب العصر الهلينستى، وهو العصر الذى يبدأ بموت الاسكندر المقدونى فى ٣٢٣ ق.م. وينتهى باستيلاء الرومان على مصر فى ٣٠ ق.م.، وهذا التحديد هو تحديد تاريخى فقط، اذ أن هذا العصر هو فترة حكم قواد الاسكندر وأسرهم حتى تسقط هذه الاسر تباعا على يد روما، وكان آخر هذه الاسر هم البطالمة فى مصر، ونقول تحديد تاريخى اذ أن تحديد العصر من الوجهة الحضارية أمر لايمكن تحقيقه أو حسابه بدقة كما هو الحال مع الحدث التاريخى، اذ بدأت بذور الحضارة الهلنيستية فى الظهور قبل بروز الإسكندرية نفسها إلى الساحة التاريخية واستمرت هذه الحضارة حتى بعد استيلاء روما على كل الممالك الهلينيستية بل غزت روما نفسها.

ومن الناحية الادبية يطلق على العصر الهلينستى «عصر الاسكندرية» وذلك بسبب الدور الرائد الذى قامت به الاسكندرية فى هذا المجال، وزعامتها لكافة المراكز الادبية الاخرى. وكان لانتاج الاسكندرية الادبى طابع خاص عرفت به وأصبح نجاح أى أديب أو عالم يتوقف على رأى نقاد الاسكندرية. وجمع بطلميوس الاول حوله صفوة العلماء والمفكرين والادباء وجعل عاصمته الاسكندرية مركزا للثقافة الاغريقية وأنشأ مؤسستين ثقافيتين هامتين هما **الجامعة والمكتبة** السابق الاشارة اليهما واللتان كان لهما أكبر الاثر فى النهوض بالحركة الفكرية والعلمية والادبية فى الاسكندرية.

وقد قام العلماء المحققون (الشراح) داخل هاتين المؤسستين وخارجهما بتحقيق العديد من النصوص تحقيقا علميا لم يسبقهم اليه أحد، ولولا جهودهم لما استطعنا الان قراءة أعمال هوميروس أو كتاب التراجيديا أو الكوميديا الكبار أو اعمال الشعراء الغنائيين أمثال بنداروس، أو حتى الاعمال النثرية التاريخية كموسوعة هيرودوت.

ويعتبر عصر الاسكندرية فترة خصبة للابحاث اللغوية التى أدت الى ارساء قواعد النحو الاغريقى على أسس ثابتة، أما أثر شعراء الاسكندرية على شعراء العصر الذهبى للأدب الرومانى فلا ينكر أحد، فلولا شعراء الايلجية السكندرية أمثال كاليماخوس ويوفوريون ما وصل الشعر الرومانى الى ما وصل اليه(١).

أما فيما يخص العلوم فنجد أن الطب على سبيل المثال قد انتقل من المصريين بشكل تدريجى الى الاغريق - نتيجة للاتصالات السابق الحديث عنها فى بداية هذه الدراسة - والذين بالتالى بنوا على مانقلوه بطريقتهم المتميزة البالغة التعقل والتى جعلت أثينا فى عصرها الذهبى منارة للعلم والعلماء، وقد لمع اسم هيبوكرات - ابقراط - الذى مارس الطب فى جزيرة كيوس فى القرن الخامس ق.م. بعد أن أمضى فترة من حياته يتعلم فى مصر، ومما يدلل على مدى تأثره بالطب المصرى أن أجزاء من مؤلفاته تكاد منقولة من البرديات الطبية المصرية، وعندما بدأت الاسكندرية تحتل مركز الصدارة وأصبحت ملتقى العلماء نجد أن أحد اتباع ابقراط ينقل كتبه اليها - وهو فيلومينوس - وبالتالى فقد التقت فيها الحضارتان الفرعونية والاغريقية.

والى جانب اقطاب العلوم البحتة أمثال ارخميدس ظهر الطبيبان هيروفيلوس وإيراسستراتوس، وكان هيروفيلوس أول من سمى الاثنى عشر ودرس المخ والمخيخ وعد النبض معتمدا على الساعة المائية، واكتشف (الى حد ما) الدورة الدموية. أما إيراسستراتوس فاهتم بحالة الانسجة والاوعية فى المرض وزاول التشريح. وأنقسم اتباعهم فيما بعد الى مدرستين، الا أنهم مالوا الى التزمت مما أسرع بظهور رد فعل تمثل فى المنادين بالتجريبية فى الطب، بمعنى أن الممارسة والتجربة هى التى تعلم الطب، وامتازت هذه المدرسة بمعرفة العقاقير واكتشاف السموم، الامر الذى دفع بعض الملوك إلى التتلمذ عليهم مثل ميثراداتيس ملك بونتوس الذى ابتدع

(١) الموسوعة المصرية. تاريخ مصر القديمة وآثارها. العصر اليونانى الرومانى - ابراهيم نصحى. تاريخ مصر فى عصر البطالمة. الجزء الرابع صفحة ٢٢٥ ومابعدها - سليم حسن. مصر القديمة الجزء الرابع. صفحة ٢٣٦ ومابعدها.

بدوره طريقه لتحصين الجسم ضد السموم بأخذ جرعات متزايدة منها وهى الطريقة التى سميت (ميثراداتزم)، وأشهر علماء هذه المدرسة كان هيراقليدس.

وممن درسوا فى الاسكندرية وعاشوا فيها فترة من حياتهم كان «جالينوس» واضع نظرية الدم وصاحب الفضل الاكبر بعد ابقراط فى تقدم الطب، لكن الجزء الفلسفى فى كتاباته أضر بالجانب العلمى المبتكر عنده، وقد اقتدى به من أتى بعده من الاطباء فى تزمته وأهملوا الناحية التجريبية فى تعاليمه فأصيب الطب بتدهور ساعد عليه موقف الكنيسة المؤيد لعقيدة جالينوس عن الروح، ولم يتزعزع سلطانه الا بظهور بعض أطباء العرب أمثال ابن النفيس والبغدادى، وبقيام وانتشار المنهج التجريبى فى عصر النهضة. ومن المحتمل أن أغنياء شباب الشرق كانوا يترددون على الاسكندرية لدراسة الطب فيها[1].

أما الفلك بلغ أعلى مراتبه عند الاغريق فى مدرسة الاسكندرية ومن علمائها الاوائل تيمارخوس وعلى يديه تم انجاز أول قائمة لمواقع النجوم حسب قياسها من نقطة معينة، مماساعد على تحقيق الكثير من الظواهر الفلكية، كما رصد اريستارخوس السماء فى الاسكندرية، وترك لنا رسالة عن أحجام الشمس والقمر وبعدهما عن الارض، وتوصل اريستارخوس الى أن الشمس تبعد على الارض بمقدار عشرين مرة قدر بعد القمر عنها، والنتيجة خاطئة اذ أنها تبعد بما لايقل عن أربعمائة مرة، الا أنه يظل له فضل الريادة فى هذا المجال.

وأشهر علماء الاسكندرية فى الفلك كان **إيراتوستينيس** الذى قاس قطر الارض بطريقة علمية سليمة لم يخطىء فيها الا بمقدار $\frac{1}{2}$٪ عن معلوماتنا اليوم.

وفى القرن الثانى الميلادى فى العصر الرومانى اشتهر **بطلميوس** السكندرى كعالم فلك وكتب كتابا فى ثلاثة عشر جزءا شرح فيه الكثير من الظواهر الفلكية وبرهن على أن الارض كروية وأعطى طول محيطها وتناول مشاكل طول

---

(١) الموسوعة المصرية.

السنة والشهور القمرية وظواهر الكسوف والخسوف والاجهزة الفلكية كالاسطرلاب[١].

أما الرياضيات فقد ارتبطت بعلم الفلك، لذلك نجد أن المشتغلين بعلم الفلك قد اشتغلوا أيضا بالرياضيات، وأشهر علماء هذا العصر كان اقليدس الذى عاش حوالى ٣٠٠ ق.م.، كما اكتشف ايراتوسثينيس كيفية مضاعفة المكعب بالاضافة لتناوله الرياضيات بالبحث فضلا عن العلوم الاخرى التى تناولها[٢].

ومع بدء العصر الهلينستى وبداية انهيار نظام دولة المدينة اليونانية أصبح الاغريق يعيشون فى عالم جديد يختلف الى حد كبير عن عالم اليونان فى القرن الخامس ق.م. فبدأت الروح الفردية فى الظهور بعد أن كانت روح الجماعة هى المظهر السائد قبل ذلك، وأصبح الفرد من الرعايا فى ممالك الشرق بعد أن كان مواطنا فى دولة المدينة ومع ازدياد تعقد الحياة ظهر المتخصصون فى شئون الاقتصاد والسياسة والحرب والدين وغيرها، وبالتالى رفعوا عن كاهل الفرد العادى ماكان يتحمله من مسئوليات أثناء سيادة نظم دولة المدينة مماجعله فى وضع يتيح له الانصراف الى رغباته ومشاغله الخاصة فقط، حيث يوجد الآن من يعتنى بأمور الدولة بدلا منه، وبذا تأكدت فكرة التخصص التى ميزت العصر الهلنيستى بعد ذلك ، وترتب على ذلك تحول الأدب إلى مهنة أو حرفة بعد أن كان مجرد تعبير تلقائى لمواطن ذى حساسية معينة عن تفاعله مع مجتمعه. ورغم أن فكرة التخصص فى الادب قد تفيد الى حد بعيد فى اتقان الانتاج المصقول المكتوب وفق قواعد سليمة، الا أنها ساهمت ايضافى تقليص القاعدة العريضة التى كانت تتذوق هذا الأدب لانها جعلته قاصرا على مخاطبة الصفوة خاصة وأن اللهجة العامية فى اللغة اليونانية بدأت فى الانتشار، على حين رفض الكتاب استخدامها مما أحدث فجوة بين ماهو مكتوب وبين اللغة الشائعة الاستعمال فى الحياة اليومية[٣].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) سليم حسن، المرجع السابق، صفحة ٢٨٣.
(٣) محمد حمدى ابراهيم، الادب السكندرى، صفحات ٢٦٥ - ٢٦٨.

وكرد فعل للظروف السياسية الجديدة التى أحاطت بظهور الادب السكندرى كان من المنطقى أن تكون أولى خصائص مثل هذا الادب (الذى عاصر انتفاء الاحساس لدى الفرد بالانتماء لمدينته الدولة وحبه لوطنه). انعدام الحس الوطنى، وساعد على ذلك انتشار فكرة العالمية وزوال الديمقراطية، وبالتالى مهد لظهور نوع جديد من الادب هو أدب المديح - وهو صفة مهذبة للتملق - مما لم يظهر قبل ذلك فى أدب القرنين السادس أو الخامس قبل الميلاد.

كما يتميز الادب الكسندرى بالنظرة العقلانية تجاه الآلهة والديانة اليونانية بالكامل، هذه النظرة التى باتت مجردة من المشاعر نتيجة ازدهار العلم وسيادة النظرة العلمية فى كافة أوجه الحياة، مع ظهور مدارس فلسفية جديدة **كالرواقية والابيقورية والكلبية**، هذا بالاضافة الى الحروب المستمرة التى كان لها بلاشك أثرها على النواحى الاخلاقية والدينية بعد تأثيرها على النواحى البشرية والاقتصادية والسياسية.

ورغم أن ازدهار العلوم وظهور علماء مثل اقليدس وارخميدس وارستارخوس وإيراتوسثينيس وهيروفيلوس وغيرهم كان من حسنات هذا العصر، الا أن ظهورهم على مايبدو قد اتى بنتيجة عكسية على الادب السكندرى، فقد غاب الالهام والتلقائية بشكل واضح عن الشعر والادب وحل بدلا منه استعراض متعمد من قبل الشعراء والادباء لمعلوماتهم العلمية فى كافة المجالات، حتى وأن دست فى أعمالهم دون مناسبة تذكر.

كذلك تميز هذا الادب بالبحث المستمر عن قوالب أدبية جديدة، ووجد الادباء ضالتهم فى أدب القرنين السابع والسادس وخاصة الشعر الغنائى، وأن مالوا الى الاختصار الشديد بحيث أتت أعمالهم لاتميل أبدا الى التطويل، وهم الذين طوروا **«الابيجراما»** التى لم تحظ بالاهتمام من قبلهم، وبرعوا فى كتابه **السير والاناشيد والميميات**، وابتكروا **المليحمات** (ملحمة صغيرة) **وشعر الرعاة** الذى لم يعرف من قبل والذى كان رد فعلى طبيعى لنفورهم من صخب المدن ومحاولة

العودة الى الريف بما يمثله من هدوء واسترخاء وعودة الى الذات، وهذا النوع من الشعر كان طبيعيا أن ينتشر في العصر السكندرى بكل مايحمله من تأكيد لفكرة الفردية التى رفضها أغريق القرن الخامس مثلا، والذين اعتبروا الذهاب الى الريف هروب من مسئولية الحياة الجماعية. ويؤكد فكرة الفردية هذه ظهور الرومانسية بما تحمله من عواطف جامحة أو خيال أو شجن أو رقة زائدة، وظهور الواقعية نتيجة لزوال المفهوم المثالى والبطولة التقليدية سواء من ناحية المفهوم أو العصر الذى لم يعد يتقبل شكل البطل الهومرى التقليدى والذى حول البطولة الى شئ أقرب مايكون الى عالم الواقع[١]. كما ظهر الحب كموضوع مفضل لدى شعراء الاسكندرية وبخاصة الحب الشهوانى وحب الغلمان[٢].

وقد شهدت الفترة الاولى من العصر السكندرى حدثا ثقافيا هاما هو دعوة الملك بطلميوس الاول (سوتير) للفيلسوف والسياسى الاثينى ديمتريوس الفاليرى وما استتبع ذلك من تأسيسه للموسيون (مجمع البحوث الادبية والعلمية والمكتبة[٣]). والاصل فى الموسيون هو أنه معبد لربات الفنون (الموساى) وأسس على نمط لوكيون أرسطو، وكان بمثابة أكاديمية ترعاها الدولة للبحث فى كافة فروع العلم والادب، أعضاؤه من الباحثين المتفرغين للبحث والدراسة، وربما قاموا بالتدريس الى جانب البحث العلمى[٤].

أما المكتبة – والتى يقصد بها هنا المكتبة الملكية تفريقا لها عن المكتبة

---

(١) وان كان يوريبدس من أوائل من ظهر فى أعمالهم الاتجاهان الرومانسى والواقعى.

(٢) فيليب أميل لجران. شعر الاسكندرية. صفحات ٧٧–١٠٢.
قارن : محمد حمدى ابراهيم. المرجع السابق، صفحات ٢٦٩ – ٢٩٥.
عبد الله حسن المسلمى. كاليماخوس القوريني شاعر الاسكندرية صفحات ٩٠ – ٩٨.
محمد صقر خفاجة. شعر الرعاة. صفحات ١١ – ٢٣.

(٣) سواء تم انشاء الموسيون والمكتبة فى عهد بطليموس الاول (سوتير) أو الثانى (فيلادلفوس) فقد اتفقت أغلب المصادر على أن فكرة إنشائهما ترجع الى ديمتريوس الفاليرى وأنهما ظهرا فى العقد الاول أو الثانى من القرن الثالث ق.م.
محمد حمدى ابراهيم. المرجع السابق. صفحة ٣٥.
cf. A. Lesky, A History of Greek Literature, p. 689

(4) Ibid., pp. 3, 696.

الصغرى التى وضعت فى معبد السيرابيوم - فقد الحقت فى الغالب بمبنى الموسيون وقد تولى رئاستها عدد من الشخصيات المشهورة مثل زينودوتس وابوللونيوس روديوس وإيراتوسثينيس واريستو فانيس بيزانطيوس واريستارخوس سامو ثراكيس وغيرهم وقد ضمت المكتبتان أكثر من نصف مليون لفافة بردى فى شتى الموضوعات (٥٣٢,٨٠٠ لفافة بردى على وجه التحديد).

وقد أشارت معظم المصادر القديمة الى تدمير مكتبة الاسكندرية عام ٤٨ ق.م أثناء حرب الاسكندرية فى عهد يوليوس قيصر وأنه نتيجة للحريق الذى شب فى المكتبة فقد ضاع مايقرب من ٤٠٠,٠٠٠ لفافة بردى، رغم أن هذه الخسارة قد أمكن تعويضها فيما بعد حين آهدى انطونيوس الى كليوباترا ٢٠٠,٠٠٠ لفافة بردى من مكتبة بيرجاموم[١].

وفيما يخص الشخصيات التى ظهرت فى هذه الفترة - بداية عصر الاسكندرية - فنجد من الشعراء اسكليبيادیس من ساموس كاتب الايبجراما وفيليتاس من جزيرة كوس الشاعر الاليجى، والاسكندر من ايتوليا الكاتب التراجيدى والاليجى، وهرمسياناكس من كولوفونيس تلميذ فيليتياس وفانوكليس، وسيمياس من رودس والذى اشغل بالنحو إلى جانب الشعر كذلك نجد من كتاب النثر كالليسثينيسى من اولنثوس الذى كتب عن تاريخ الاغريق وهيكاتايوس من ابديرا الذى كتب عن تاريخ مصر القديم وكذلك ايوهيميروس من ميسينا الذى كتب فى أصل آلهة الاغريق وطبيعتهم وكان من أول من تعاملوا مع الآلهة والاسطورة بشكل عقلانى مادى، كما كتب مانيتون تاريخا زمنيا لمصر كان أساسا بعد ذلك لكتابات جوزيفوس وايوسيبيوس عن مصر. كذلك يظهر يوكليديس (اقليدس) العالم الرياضى الذى قامت شهرته على نظرياته الهندسية والتى ظلت تدرس فى أوروبا حتى القرن التاسع عشر[٢].

---

(١) عن الموضوع بالتفصيل راجع الدراسة القيمة لمصطفى العبادى عن مكتبة الاسكندرية القديمة والتى لم يظهر باللغة العربية - حتى الآن - مايختلف معها أو يقدم وجهة نظر جديدة، وذلك بعد الدراسة القيمة الاولى التى صدرت بالانجليزية لبارسونز.

(٢) محمد حمدى ابراهيم. المرجع السابق، صفحات ٤٦ - ٦٦.

أما فى العصر الذهبى للادب السكندرى والذى يقع فى فترة حكم بطلميوس الثانى والثالث (٢٨٥ - ٢٢١ ق.م.) فقد ظهرت شخصيات أخرى من كتاب النثر والعلماء مثل اريستو كسينوس الذى كتب فى الموسيقى وتاريخ حياة الفلاسفة من فيثاغورث حتى أفلاطون، وهيروفيلوس عالم التشريح الذى يعد أول من اكتشف الدوره الدموية (تقريبا) ودرس المخ البشرى، واراستراتوس الذى درس أعصاب الحس وأعصاب الحركة وعملية الهضم وتدفق الدم فى الأوردة واريستارخوس من ساموس عالم الفلك وصاحب نظرية مركزية الشمس والتى سبق فيها كوبرنيكوس، ثم ارخيميديس أشهر علماء الرياضيات فى ذلك العصر وصاحب الاختراعات العديدة خاصة فى مجال الاسلحة الحربية والذى قامت شهرته أساسا على اكتشافه لقانون الكثافة النوعية.

كما ظهر إيراتوسثينيس العالم الجغرافى والذى تولى رئاسة مكتبة الاسكندرية وتمكن من قياس محيط الارض والذى قدره بمائتين وخمسين ألف ستاديون، أى مايساوى ٢٤,٦٦٢ ميلا تقريبا بفارق مائتى ميل فقط عن القياس المعروف الآن(١).

كما يبدو أن الترجمة السبعينية للتوراة عن النص العبرى القديم أو الآرامى الى اليونانية قد بدأت فى هذا العصر وامتدت على مدى القرنين الثانى والأول ق.م، ويؤكد بداية الترجمة فى هذه الفترة أن اليهود قد شهدوا مع البطالمة الاوائل ازهى عصورهم فى مصر وأفضل امتيازاتهم.

أما الشعراء فقد ظهر منهم ليكوفرون من خالكيس، وليونيداس من ترنتوم، وكاليماخوس من قورينا شاعر الابجراما وصاحب قوائم الكتب الموجودة فى مكتبة الاسكندرية فقد كان أول من فهرس هذه المكتبة، وثيوكريتوس أعظم شعراء

---

(١) المرجع السابق. صفحات ٨٥ - ١٠٢. ثم قارن:
Benjamin Frington,. Greek Science, Pelican 1953.
وله ترجمة عربية بعنوان العلم الاغريقى. ترجمة احمد شكرى سالم. الالف كتاب. القاهرة ١٩٥٩.

الرعاة. وعاشق الريف وحياته البسيطة الهادئة، وابوللونيوس روديوس صاحب ملحمة الأرجوناوتيكا الشهيرة فى حوالى ستة آلاف بيت، والتى يحكى فيها قصة ملاحى السفينة أرجو بقيادة جاسون فى رحلتها الى كولخيس على البحر الاسود لاستعادة الفروة الذهبية كما تحكى الاسطورة[1].

ومع بدء حكم بطلميوس الرابع وبداية ضعف البيت المالك البطلمى وبدء ظهور روما كقوة جديدة لايمكن انكار تأثيرها فى حوض البحر المتوسط، بدأت فترة الاضمحلال التدريجى فى الادب السكندرى، ورغم ذلك تظهر بعض الاسماء كأريستوفانيس البيزنطى واريستارخوس السامو ثراخى كعلماء للنحو، ومن الشعراء يظهر موسخوس وبيون وانتيباتروس وملياجروس[2].

الفـــن

أما عن الفن فقد تأثرت الاسكندرية بالفن اليونانى القديم وخاصة فى القرن الرابع ق.م. فقد تأثر الفن السكندرى بأعمال النحات المشهور «براكسيتيليس» ومدرسته التى اشتهرت بالدقة فى التصوير وبخاصة عند عمل الرأس كما امتازت أعماله بالرشاقة والجمال. وهناك الكثير من التماثيل التى عثر عليها فى الاسكندرية، وتظهر فيها بوضوح الصفات المميزة لمدرسة براكسيتليس ومنها مجموعة التماثيل الفخارية الملونة المسماه تماثيل التناجرا.

ولم تكن هذه المدرسة هى الوحيدة التى أثرت فى فن الاسكندرية فهناك مدرسة أخرى هى مدرسة «سكوباس» والصفات الغالبة على تماثيله هى استدارة الوجه وامتلاء الخدود والنظرة العابسة الجافة ويميل الى القوة فى تصوير الاجسام وابراز العواطف والمشاعر الانسانية المختلفة. وقد تميزت تماثيل مدرسة الاسكندرية المتأثرة بسكوباس بصفات ثلاث هى: وضع الرأس والرقبة ثم الشعر الطويل الذى يدلى فوق الجزء الاوسط من الجبهة، ثم النظرة العميقة التى تتجه الى أعلى.

---

(١) محمد حمدى ابراهيم المرجع السابق. صفحات ١٠٣ - ١٩٦.
(٢) المرجع السابق. صفحات ٢٣٦ - ٣٥٦.

وهناك مدرسة ثالثة أثرت أيضا فى فن الاسكندرية هى مدرسة «لايسبوس» والتى تمتاز تماثيلها بالحيوية اذ كان لايصور الاشخاص كما هم وانما كما يبدون للعين.

ورغم تأثر فن الإسكندرية بالفن اليونانى فى بادئ الامر الا أنه تفرد بصفات خاصة به منها على سبيل المثال الخاصيتان المعروفتان عند الاثريين باسم موربيدتزا وسفوماتو والاولى تعنى طراز فى اخراج التماثيل يتميز بالرقة واجادة صقل السطوح الخارجية للعمل الفنى، بينما الثانية تعنى التفاعل بين الظل والوجه أى عدم تحديد تقاطيع الوجه بدقة عن طريق عدم التأكيد على البروزات وبالتالى يرى المشاهد الوجه وكأنه وراء لوح معتم من الزجاج فلا تظهر فيه العظام ولاتوجد به زوايا حادة مع عدم الاهتمام بالاجزاء غير المنظورة من الشعر اذ كان غالبا مايصنع من مادة أخرى ثم يضاف الى الرأس ويلون بالالوان المناسبة.

وقد انقسم المجتمع السكندرى الى طبقتين العليا تشمل الحكام ومن حولهم وبعض العائلات الارستقراطية من أهالى البلاد ممن تشبهوا بالسادة الجدد اما الطبقة الاخرى فتمثلت فى عامة الشعب، وانعكس هذا التقسيم على الفن فأصبح هناك فن رسمى للطبقة العليا نراه بوضوح فى تماثيل الملوك والابطال وماشابههم وهو يحتاج بالضرورة الى شئ من المثالية. أما النوع الثانى فهو الفن الشعبى الواقعى الذى يهتم بتصوير الناس وحياتهم اليومية العادية. ولم يعمر النوع الاول طويلا فقد بدأ يتدهور فى القرن الثانى ق.م. وأخذ يبتعد تدريجيا عن التقاليد اليونانية وربما كان السبب أن اليونانيون أنفسهم كانوا قد بدأوا فى التأقلم والاندماج فى البيئة المصرية والابتعاد عن تقاليدهم الاصلية.

وكانت تماثيل النوع الثانى غالبا ماتصنع من الطين المحروق وتلون أحيانا وكان ثمنها يتفق وحالة عامة الشعب اذا أن انتاجها بالجملة قلل من قيمة تكاليفها.

وتصور هذه التماثيل الافراد والمناظر المألوفة فى الطرقات وحياة الشعب

كمنظر الراقصات والموسيقيين والمهرجين وأبطال الرياضة والسيرك والاجناس المختلفة التى عاشت فى الاسكندرية كالزنوج. واشتهر المجتمع السكندرى بروح السخرية والمرح وانعكس ذلك على الفن فوجد الفنانون مجالا واسعا فى تصوير الاقزام، كما اشتهرت الاسكندرية بالتصوير الكاريكاتورى فبالغ الفنانون فى اظهار العيوب الجسدية.

أما فى العصر الرومانى فقد انتهى الفن الخاص بالطبقة العليا وهو الفن الرسمى وساعد على ذلك أن الاباطرة الرومان لم يسكنوا الاسكندرية فاذا أرادوا اقامة تماثيل لهم أقاموها فى روما، وبالتالى لم تعد لهذا الفن حاجة فأخذ يضعف مفسحا المجال للفن الشعبى. وظهر فن النحت فى العصر الرومانى ممثلا فى الزخارف التى تزين توابيت هذا العصر، وهى عبارة عن عقود من الازهار والفاكهة تتدلى ممثلة على السطح الخارجى للتابوت ويحمل كل عقد منها من طرفيه الاله كيوبيد أو ترتبط بعضها ببعض برؤوس ثيران.

وعرفت الفسيفساء أول الامر فى حوض البحر المتوسط وربما فى الاسكندرية بالذات واكتمل نموها فى الفترة مابين فتوحات الاسكندر ونشأة الامبراطورية الرومانية، وكانت قطع الفسيفساء تتكون من الاحجار المختلفة أو من الزلط وتقطع بأحجام وأشكال وألوان مختلفة. وكانت المناظر تمثل غالبا الاشخاص والحيوانات سواء حقيقة أو خرافية، أو قصصا من الاساطير القديمة. ومع ظهور المسيحية أخذت الفسيفساء الطابع الدينى.

وكانت أبرز صفات هذا الفن المسيحى هو التعامل مع موضوعات شعبية بالاضافة للعنصر الدينى الغالب عليه. وقد تأثر الفن المصرى فى هذه المرحلة بالفن السورى وفنون البلاد المجاورة. وشاع النقش على الخشب والحجر، فنجد الكثير من تيجان الاعمدة من الحجر بنقوش تظهرها وكأنها سلاسل أو مزخرفة بأوراق العنب أو سعف النخل[1].

---

(١) الموسوعة المصرية. وعن الموضوع بشكل عام راجع:
Ibrabim Noshy, The Arts of Ptolemaic Egypt.
راجع أيضا: سليم حسن. المرجع السابق صفحات ٢٨٤ - ٢٨٦.

(٣)

التاريخ والجغرافيا والفلك فى مدرسة الاسكندرية

من الملفت للنظر أن بعض المؤرخين الكبار فى العصر الهلينستى أمثال فيلارخوس وبولبيوس وغيرهم لم تكن لهم صلة مباشرة بمدرسة الاسكندرية العلمية (وان كان بولبيوس قد زار الاسكندرية مرة) مما يدعم الفكرة القائلة بأن مدرسة الاسكندرية لم تترك فى الكتابات التاريخية أثرا يعادل ماتركته على الشعر أو العلوم التطبيقية مثلا، هذا رغم أن بطلميوس الاول نفسه كان قد حاول الكتابة التاريخية بكتابه عن سيرة الاسكندر وفتوحاته، الا أن هذا الكتاب لايحسب على الكتابة التاريخية للمدينة لان ارتباطه الوحيد بها يأتى عن طريق أول ملوك البطالمة، وفى وقت لم تكن المعالم الفكرية لمدرسة الاسكندرية قد تبلورت بعد. وسنعرض فيما يلى لثلاثة من المؤرخين عاصروا أسرة البطالمة فى الاسكندرية وهم هيكاتايوس الابديرى ومانيتون المصرى وايراتوسثينيس البرقى.

فيما يخص هيكاتايوس فيبدو أنه كان معاصرا لبطلميوس سوتير طبقا لرأى المؤرخ اليهودى جوزيفوس، وقد وردت بعض مقتطفات من كتاب له عن التاريخ المصرى القديم فى الكتاب الاول من مؤلف ديودوروس الصقلى عن «التاريخ»، ويبدو من عرض ديودوروس أن هيكاتايوس كان على معرفة واضحة بمصر، ويؤكد هذا أن كتابه انقسم الى أربعة أقسام أولها عن اللاهوت المصرى وثانيها عن جغرافية مصر وثالثها عن ملوك مصر من المصريين؛ اما الرابع فقد أهتم فيه بالعادات والتقاليد المصرية. ويبدو أنه قد اتبع منهاج من سبقوه من المؤرخين والفلاسفة الذين زاروا مصر مثل هيرودوت وأفلاطون، فقد أكد على أصالة الحضارة المصرية وتفوقها وتأثيرها الواضح على الحضارة الاغريقية[١].

وفى القسم الاول من الكتاب يقول ديودوروس أن هيكاتايوس تتبع بدايات

(1) P.M. Fraser, Ptolemaic Alexandria, p. 459 FF.

الحضارة المصرية على يد أوزوريس وايزيس (الشمس والقمر) واللذان أصبحا فيما بعد أهم وأشهر الآلهة المصرية. أما القسم الثانى فيدور حول منابع نهر النيل وأثره على الحياة فى مصر. ويتتبع هيكاتايوس فى القسم الثالث من كتابه ملوك مصر ويعرض لبعض انجازاتهم وان أخذ عليه عدم الالتزام بالترتيب الزمنى والخلط بين ملوك الاسرات المختلفة، رغم قوله بأن بحثه هذا يأتى نتيجة للمعلومات التى استقاها من السجلات المصرية مما يبرز أيضا امكانية المامه باللغة المصرية القديمة، والشئ المثير للاهتمام فى هذا القسم هو وصفه للمدن خاصة طيبة وبعض المعابد كمعبد الاله آمون فى طيبة والرامسيوم والاهرامات الثلاثة. وفى القسم الرابع والاخير يتناول هيكاتايوس المجتمع المصرى بالتحليل من ناحية القوانين السائدة وعلاقتها بالسلطة الملكية وبعض العادات المصرية المنتشرة كعبادة الحيوانات مثلا ويبرز هذه العادات التى قد لاتتفق مع العقلية الاغريقية، وينهى كتابه بعقد مقارنة حضارية بين الاغريق والمصريين تكون نتيجتها طبعا فى صالح مصر والمصريون.

أما مانيتون السمنودى فقد كان كاهنا مصريا من شمال الدلتا وغالبا من سمنود لذا سمى بالسمنودى، وربما تولى منصب الكاهن الاكبر لمعبد آمون فى هليوبوليس وبالتالى كانت السجلات المصرية القديمة متاحة له، وتميز مانيتون فى تعامله مع هذه السجلات بمعرفته باللغة المصرية بحكم كونه مصريا وبالتالى أختلف عن سابقيه من المؤرخين الذين ادعوا الاطلاع على هذه السجلات كهيرودوت وهيكاتايوس وربما لم يستفيدوا منها بالقدر الكافى بسبب عدم اتقانهم اللغة المصرية.

ويعد مانتيون من أقدم من عرفنا من المصريين الذين كتبوا باللغة اليونانية ويبدو أنه ظهر فى أواخر عصر بطلميوس الاول (سوتير) واشتهر فى عصر بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) وكتب كتابا عن التاريخ المصرى منذ أقدم العصور حتى نهاية عصر نكتانبو الاول (٣٦٠ ق.م.) وهو أحد ملوك الاسرة الثلاثين الفرعونية، وربما جاء هذا التحديد على أعتبار أن عصر نكتانبو الاول كان محاولة

لبعث أمجاد مصر القديمة وبالتالى كان مقدمة منطقية للازدهار الذى ستشهده مصر بعد ذلك بحوالى نصف قرن على يد البطالمة. ويدعم هذا ان الملكان اللذان توليا عرش مصر بعد نكتانبو الاول وهما ابنه زدهور ثم نكتانبو الثانى لم يكن لهما تأثير كبير حيث استطاع ارتاكزركسيس الثالث الملك الفارسى أن يدخل مصر ويستولى عليها فى عصر نكتانبو الثانى فى ٣٤٣ ق.م. وأساء معاملة المصريين مما جعلهم يرحبون بالاسكندر المقدونى بعد ذلك باحدى عشر عاما تقريباً على أنه مخلصهم من الحكم الفارسى[١].

وربما كان مانيتون فى كتابه عن التاريخ المصرى قد حذا حذو بيروسوس الكاهن والمؤرخ البابلى والذى كتب كتابا عن التاريخ البابلى منذ أقدم العصور حتى بداية الاسرة السليوقية وأهداه الى أنتيوخوس الاول الملك السليوقى، ويؤرخ كتاب بيروسوس بالعقدين التاليين لعام ٢٨٠ ق.م. (٢٨٠ - ٢٦٠ ق.م) وبالتالى واذا صح هذا فان كتاب مانيتون من حيث التأريخ الزمنى يكون واقعا بعد هذا التاريخ (٢٦٠ - ق.م).

ومعلوماتنا الاساسية عن كتاب مانيتون نستمدها من كتاب للمؤرخ اليهودى جوسيفوس يسمى «ضد أبيون» حيث اقتبس فصلين كاملين من كتاب مانيتون والذى ربما حمل اسم «ايجوبتياكا» ووقع فى ثلاثة أجزاء. ورغم أن جوسيفوس قد استعان بمقتطفات من كتابات مانيتون لتدعم آراؤه هو حول قدم الشعب اليهودى وتواجدهم بمصر منذ قديم الازل، الا أنه أفادنا فى التعرف على أسلوب وطريقة مانيتون فى التعامل مع التاريخ. ومن خلال جوزيفوس نستطيع قراءة فقرة طويلة لمانيتون عن الهكسوس وملوكهم وغزوهم لمصر فى فترة حكم الاسرة الخامسة عشر من الدولة الوسطى، وبغض النظر عن قيمة هذه المعلومات من الناحية التاريخية فهى تعتبر أقدم رواية وصلتنا عن الهكسوس وغزوهم لمصر ومن هنا تأتى قيمتها لنا. ويتبع هذا قائمة لملوك مصر، وفى فقرة أخرى يعرض مانيتون

(1) Ibid., loc. cit.

من خلال جوسيفوس فترة طرد الاجانب من مصر للمرة الثانية وعلى وجه الخصوص اليهود[1].

أما ايراتوسثينيس البرقي فقد سمى هكذا بسبب مولده فى قورينة باقليم برقة وظهر فى عهد بطلميوس الثالث حيث شغل منصب أمين مكتبة الاسكندرية. ورغم تعدد اهتمامات وكتابات ايراتوسثينيس النثرية فى كثير من المجالات فقد كتب مؤلفا بعنوان «خرونوجرافيا» أى «علم التاريخ» ربما فى تسعة أجزاء لم يصلنا منها الاشذرات قليلة أمكن عن طريقها معرفة محتوى هذا الكتاب.

ويبدو أن مؤلف ايراتوسثينيس كان يتناول تاريخ الاغريق منذ استيلاءهم على طرواده وحتى وفاة الاسكندر المقدونى وحرص فيه على الابتعاد بقدر الامكان عن الاساطير حتى تأتى كتابته موضوعية ودقيقة كما يصفه لنا كلمنت السكندرى والذى علق على كتابه (حوالى ٢٠٠ ميلادية)[2].

وفيما يخص الجغرافيا فحتى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد كانت قد ظهرت حصيلة من المعلومات الجغرافية متعددة الجوانب لايستهان بها، فلما كانت الحدود الحالية بين التاريخ والجغرافيا غير موجودة لذا نجد ان عددا من المؤرخين والجغرافيين قد قاموا بجمع كم كبير من المعلومات عن الجغرافيا البشرية مثل هيرودوت وهانون فى القرن الخامس ق.م. وكسنوفون وايفروس وبيثياس وتيارخوس فى القرن الرابع، وميجاسقينيس فى النصف الاول من القرن الثالث ق.م. كما قال الفيثاغوريون الاول بمبدأ كروية الارض وان لم يوافق عليه بعض الجغرافيون الذين أتوا من بعدهم.

أما فى الاسكندرية فقد ظهر فى أواخر عصر بطلميوس الاول سوتير وبداية عهد بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) الرحالة فيلون والذى كتب عن رحلته الى

---

(1) Ibid., Loc. cit.
(2) Ibid., p. 520 FF.

قارن : جورج سارتون. تاريخ العلم. الجزء الرابع صفحات ١٨٢ ومابعدها.

اعالى النيال حتى مدينة مروى يليه أريستون الذى كتب عن رحلته الى بلاد العرب، ثم ظهر تيموسثينيس قائد أسطول البطالمة فى عهد فيلادلفوس والذى كتب مؤلفا عن الموانى على البحرين الاحمر والمتوسط والرياح التى تهب عليهم.

ويلى ايراتوسثينيس فى الاهمية بين جغرافى الاسكندرية أجاثارخيديس وكتب فى الجغرافيا الوصفية والبشرية ثلاثة كتب أولها عن أسيا والثانى عن أوروبا ونعرف عنها بعض المعلومات بسبب اعتماد ديودوروس الصقلى عليها فى أجزاء من كتابه، أما ثالث هذه الكتب وأشهرها فكان عن البحر الاحمر ووصلنا ملخص للجزئين الاول والخامس من هذا الكتاب عن طريق فوتيوس، حيث يناقش اجاثارخيديس فى الجزء الاول من كتابه اصل تسمية البحر الاحمر وسببها وان جنح فى هذا الى الاساطير والقصص المتواترة، وفى الجزء الخامس يصف الجزء الجنوبى من مصر والقبائل التى تعيش فيما وراء هذا الجزء ورحلته فى البحر الاحمر ووصوله الى سبأ.

أما أشهر من كتب فى الجغرافيا على الاطلاق من علماء الاسكندرية فكان ايراتوسثينيس الذى كتب وظهر فى عدة مجالات الا أن شهرته الحقيقية تقوم على كتاباته الجغرافية، فقد جمع كل الحقائق التى سبقت عصره واستفاد منها واضاف اليها، وكتب باستفاضة ودراية الكثير عن الجغرافيا البشرية، ورغم ان معلوماته فى الجغرافيا الوصفية قليلة الا أن هذا لا يقلل من شأنه كجغرافى يقدم لاول مرة بعد الفيثاغوريين نظرية كروية الارض فى شكل واضح ومحدد.

ورغم ان كتابات ايراتوسثينيس لم تصلنا كاملة الا أننا نعرف عنها الكثير من خلال من أتوا بعده مثل سترابون الذى أفاد كثيرا من هذه الكتابات، وأهم أعماله كانت «قياس الارض» و «مذكرات جغرافية» [1] .

وفى كتاب «قياس الارض» الذى تحدث عنه مكروبيوس فى كتاباته فى

(1) Fraser, op. cit., p. 520 FF.

قارن : جورج سارتون المرجع الاسبق صفحة ١٨٧ وما بعدها.

النصف الاول من القرن الخامس الميلادى يشرح ايراتوسثينيس طريقته فى قياس محيط الارض عن طريق استخدامه لجهاز يسمى «اسكيوثيرون» وهو عبارة عن مزولة بوسطها مؤشر يسمى جنومون، والاسكيوثيرون كله يأخذ شكل اناء على وجرمه توجد عدة تقسيمات يمكن عن طريقها قياس ظل المؤشر او الجنومون، ووضع هذا الجهاز فى اسوان فى يوم ٢١ يونيه (الانقلاب الصيفى) لاثبات ان اسوان تقع عى مدار السرطان، وبما ان الاسكندرية واسوان تقعان على خط طول واحد والفارق العرضى بين المدينتين ١٢َ ٧ °أى ١/٥٠ من محيط الدائرة التى رسمها للكرة الارضية، ولما كانت المسافة بين المدينتين حوالى ٥٠٠٠ ستاديون فيمكن حساب محيط الدائرة (أو الكرة الارضية) عن الطريق التالى ٥٠ × ٥٠٠٠ ستاديون = ٢٥٠,٠٠٠ ستاديون ثم صححها بعد ذلك لتصبح ٢٥٢,٠٠٠ ستاديون أى ٣٩٦٩٠ كيلو متر (مع ملاحظة ان القياس الحالى هو ٤٠١٢٠ كيلو متر) مما يجعل نسبة الخطأ عند ايراتوسثينيس لا تتجاوز ١ ٪ فقط..

ومما هو جدير بالذكر ان محاولة ايراتوسثينيس لم تكن الاولى من نوعها فقد سبقه ارسطو فى محاولة تقدير محيط الكرة الارضية وقدرها بأربعمائة الف ستاديون، ثم حاول ارخميديس بعد ذلك وتوصل الى قياس مختلف قدره بثلاثمائة الف ستاديون.

اما عن كتاب «مذكرات جغرافية» الذى وصلتنا منه بعض شذرات ونستمد معلوماتنا عنه من وصف سويداس له، فقد تألف على ما يبدو من ثلاثة أجزاء، الاول منها عبارة عن مقدمة تاريخية يستعرض فيها إيراتوسثينيس المعلومات الجغرافية لمن سبقوه ويناقش حجم العالم المأهول بالسكان ونسبة اليابس الى الماء وفيضان النيل وفى الجزء الثانى قدم موجزا لكتابه عن قياس الأرض، أما الجزء الثالث فقد تناول فيه كاتبنا علمى رسم الخرائط والجغرافيا الوصفية، وفى خرائطه لم يقبل ايراتوسثينيس بمبدأ تقسيم العالم الى قارات وانما قسمه الى اربعة

قطاعات عن طريق خطين متعامدين يتقاطعان فى رودس والخط الافقى منهما كان يقطع البحر المتوسط بالطول، أما الخط المتعامد عليه فقد كان يسير مع مجرى النيل تقريبا[1] .

وفيما يخص علم الفلك فى مدرسة الاسكندرية القديمة فهو يرتبط غالبا باسم اريستارخوس الساموس (من ساموس احدى جزر ايونيا) والذى ظهر فى النصف الاول من القرن الثالث ق.م.، وقد تتلمذ على يد ستراتون من لامبساكوس فى اللوكيوم فى أثينا والذى تولى ستراتون الاشراف عليه لمدة ثمانية عشر عاما بعد موت ثيوفراستوس (٢٨٦ - ٢٦٨ ق.م) ومن أشهر أعمال اريستارخوس فى الفلك والتى وصلت الينا كاملة رسالة عن (احجام الشمس والقمر وابعادهما) والتى حدد فيها المسافة بين الشمس والارض بانها تزيد عن المسافة بين القمر والارض ١٩ مرة (القيمة الحقيقية اربعمائة مرة) كما قال بأنه طالما كان الحجم الظاهرى للشمس يساوى الحجم الظاهرى للقمر لذا يصبح قطر الشمس يزيد عن قطر القمر أيضا بمقدار ١٩ مرة (القيمة الحقيقية أيضا اربعمائة مرة) والنسبة بين حجمى الشمس والقمر تقع ما بين ٥٨٣٢ الى ٨٠٠٠ (القيمة الحقيقية ٦٣,٧٠٠,٠٠٠) وقطر الشمس يزيد ٦,٧٥ مرة عن قطر الارض (النسبة الحقيقية هى ١٠٩ مرة) والشمس اكبر من الارض ٣١١ مرة تقريبا (النسبة الحقيقية هى ١,٣٠٠,٠٠٠ مرة). ومن هذا يتضح ان النتائج التى توصل اليها اريستارخوس كانت بعيدة عن الصواب عكس ما توصل اليه إيراتوسثينيس مثلا فى تقديره لمحيط الارض رغم انهما كانا متعاصران تقريبا وذلك لاعتماد اريستارخوس على بيانات غير دقيقة وارصاد بدائية والتى قادته بالتالى الى نتائج خاطئة، الا أنه يحسب له أنه كان أول فلكى يقوم بدراسة نسبية لاحجام وابعاد الاجرام السماوية مما جعل رسالته اللبنة الاولى التى قام عليها علم حساب المثلثات فيما بعد.

---

(١) جورج سارتون: المرجع السابق. صفحة ١٩١ وما بعدها .

أما بقية أعمال اريستارخوس فلم تصلنا كاملة مدونة الا أنه تصلنا عنها بعض المعلومات من خلال مصادر اخرى كارخميديس مثلا والذى عاصر اريستارخوس فترة من حياته، ومن خلال ارخميديس نعرف ان اريستارخوس رغم أنه قد جعل مركز الكون الشمس بدلا من الارض، الا أنه جعل الكون نفسه امتدادا لا يمكن ادراكه، وهى جرأة علمية تحسب له فى طرح فرضية جديدة على العالم القديم، واستمرارا فى نفس الاتجاه نجده يجعل الارض تدور يوميا حول محورها وتدور سنويا حول الشمس بالاضافة الى كواكب اخرى تدور أيضا حول الشمس، أما القمر فيدور هو الآخر حول الارض، وبذلك يسبق اريستارخوس كوبرنيكوس فى نظريته بثمانية عشر قرنا على الأقل[1] .

تتبقى هنا كلمة أخيرة عن اراتوس السولى (من سولوى فى قليقية على الساحل الجنوبى لاسيا الصغرى) والذى عاش تقريبا فى نفس الفترة التى ظهر فيها اريستارخوس (النصف الاول من القرن الثالث ق.م.) وهو برغم كونه شاعر تعليمى لم يزدهر فى الاسكندرية بل ظهر فى قليقية ومقدونيا، الا أنه ارتبط بأشهر شعراء الاسكندرية أمثال كاليماخوس وثيوكريتوس، وتأتى قيمته من قصائده التى تتعرض لعلم الفلك وأشهرها قصيدة (فينومنيا) التى يصف فيها الكواكب والابراج فى ٧٣٠ بيت شعرى وقصيدة (ديوسيميا) التى يصف فيها طرق التنبؤ بالطقس فى ٤٢٢ بيت، الا أنه يؤخذ على هاتين القصيدتين وعلى القصائد التعليمية بشكل عام ضعف الناحيتين العلمية والفنية معا.

ويرتبط اسم اراتوس بواحد من الفلكيين فى مدرسة الاسكندرية هو هيبارخوس (فى النصف الثانى من القرن الثانى ق.م) عن طريق شرح هيبارخوس وتعليقه على أعمال اراتوس وهو الاثر الوحيد الباقى من أعمال هيبارخوس.

---

(١) المرجع السابق. صفحة ١١٠ وما بعدها .

وقد ترجم شيشرون (فى النصف الاول من القرن الاول ق.م) قصيدة فينومينا لاراتوس الى اللغة اللاتينية.

أما في الاسكندرية في العصر الروماني فقد ظهر بطلميوس السكندرى فى القرن الثاني الميلادى بكتابه المشهور Megale Syntaxis الذى ترجم الى اللغة العربية فى العصر العباسي وأطلق عليه العرب اسم (المجسطى) والذى شرح فيه الكثير من الظواهر الفلكية وبرهن على كروية الارض وأوقات شروق وغروب الكثير من الاجرام السماوية، وناقش مشكلة طول السنة والشهور القمرية، كما حدد مواقع ما يزيد عن الالف نجم واعطى وصفا للاجهزة الفلكية التى يستعملها وغير ذلك، ويتضح من كتابة مدى تأثره بنظريات اريستاخوس مع تطويره لها. وثانى اشهر كتب بطلميوس السكندرى كان (الجغرافيا) والذى رسم فيه أول خريطة للعالم القديم، ورغم ما فيها من قصور واخطاء الا ان كتابه يعد أشمل ما كتب فى الجغرافيا قديما [1] .

---

(١) المرجع السابق. صفحة ١٢٣ وما بعدها.

(٤)

الهندسة والميكانيكا فى مدرسة الاسكندرية

من الملاحظ أن الاشكال الاولى للرياضيات عند الاغريق قد اهملت الحساب البسيط فالفيثاغوريون الاول مثلا لم يعتنوا بالعمليات الحسابية العادية قدر اهتمامهم بخصائص الاعداد، وفيما بعد ظهر زينون الايلى كفيلسوف وعالم رياضيات وإن اثرت الفلسفة على نظرته للرياضيات خاصة فيما يتعلق بفكرة الخط المستقيم المكون من عدد من النقاط المتقاربة (القسمة الثنائية اللانهائية – مثال السلحفاة – السهم المتحرك الثابت فى الفضاء)، ثم يظهر ديموقريطس الابديرى حوالى ٤٠٠ ق.م بكتاباته فى الاعداد والاعداد اللامنطقية، ثم يظهر هيبوكراتيس من خيوس أعظم الرياضيين فى أواخر القرن الخامس ق.م والذى أوجد حلولا لمشاكل رياضية وهندسية شغلت بال الاغريق فى ذلك الوقت كتربيع الدائرة ومضاعفة حجم المكعب وربما كان أول من استعمل الحروف الهجائية فى الرياضيات والاشكال الهندسية وهى الطريقة التى استعملها بعد ذلك اقليدس بشكل مستمر.

ومن الواضح أن التطور المستمر للعلوم الرياضية كان يخفى وراءه هدفين، الاول وهو العملى أو التطبيقى وهو كيفية توظيف هذا التقدم فى مختلف نواحى الحياة العملية، والثانى الاكاديمى والذى أهتم به علماء مدرسة الاسكندرية، وفى الاسكندرية ايضا نظر الى الحساب العددى على أنه أقل فى الاهمية من الهندسة، واذا اضطر علماء الرياضيات لاستعماله وضعوه فى شكل هندسي. وفى هذا المجال يظهر اقليدس كأشهر علماء الاسكندرية والذى ظهر فى النصف الاول من القرن الثالث ق.م ، وغالبا ما تلقى تعليمه فى الاكاديمية فى أثينا ثم انتقل الى الاسكندرية بسبب الظروف السياسية التى كانت تمر بها اليونان فى ذلك الوقت. وفى الاسكندرية انجز اقليدس اشهر أعماله الهندسية وهو كتاب الاصول فى ثلاثة

عشر كتابا أو فصلا، الستة كتب الاولى عن الهندسة المستوية، ثم اربعة كتب عن الحساب والاعداد، اما الثلاثة كتب الاخيرة فقد خصصها للهندسة الفراغية، وقد صدر اقليدس كتابه هذا بمسلماته الشهيرة فى الهندسة وهى القضايا التى لا يمكن برهنتها أو عدم برهنتها ولذلك فلابد ان تؤخذ كما هى[1].

أما فيما يخص الميكانيكا القديمة فقد ارتبطت باسم ارخميدس السيراكوزى، وحول ارخميدس فالتاريخ الوحيد المؤكد فى حياته التى احيطت بالكثير من الخرافات كان تاريخ وفاته في ٢١٢ ق.م عندما فتح الرومان مدينة سيراكوز، ويقال انه قد قتل علي يد احد جنود الرومان عن ٧٥ عاما، أى أنه قد ولد حوالى ٢٨٧ ق.م. ويخبرنا ديودوروس الصقلى (الذى كتب فى النصف الثانى من القرن الاول ق.م) ان ارخميديس قد زار الاسكندرية وامضى فترة فى الموسيون حيث اخترع الطنبور الذى استخدم في ا لزراعة واطلق عليه (حلزون ارخميديس) وبعد عودته الى سيراكوز ظل على صلة وثيقة بالاسكندرية مما يبرر لنا ضرورة ذكره عند التعرض للحياة العلمية فى الاسكندرية.

ويعتبر ارخميديس هو واضع اسس علم الاستاتيكا الذى يبحث تحليل الظروف التى تتوازن فيها القوى تماما (الاجسام الساكنة) ووضع القاعدة العامة لنظرية الروافع، كما أنه مؤسس علم الهدروستاتيكا أى علم قوانين الاجسام الطافية والمغمورة والذى طبقه بشكل عملى عند اكتشافه لقانون الكثافة النوعية (القصة المشهورة عن التاج الذهبى لملك سيراكوز) وفى تقديره لحمولة السفن دون تفريغها.

ورغم انجازات ارخميديس فى الميكانيكا فقد كتب أطول واشهر كتبه فى الهندسة عن (الكرة والاسطوانة) وهو الشكل الذى أوصى بأن ينقش على قبره فى

---

(١) أشهرها المسلمة الخامسة التى تقول أنه اذا قطع خط مستقيم خطين مستقيمين وكان مجموع الزاويتين الداخلتين على جانب واحد أقل من ١٨٠ فان الخطين المستقيمين اذا مدا يتلاقيان فى نفس الجانب الذى تكون فيه الزاويتان أقل من ١٨٠. ويقول بديلها الحديث أنه اذا قطع مستقيم احد مستقيمين متوازيين فانه يقطع الاخر، راجع : المرجع السابق صفحة ٨٢ وما بعدها.

سيراكوز وقد أثبت فيه ارخميديس ان النسبة بين حجم الاسطوانة والكرة المرسومة بداخلها هي ٣ : ٢ ، هذا بالاضافة الى كتبه عن شبه المخروط وشبه الكره، وعن الحلزونات، وعن قياس الدائرة.

اما في الحساب فأشهر كتب ارخميديس كانت (عداد الرمال) أثار فيه مشكلة الاعداد الكبيرة التي لم يعرفها اليونانيون قبله، فقد استخدم الاغريق علامات ابجدية في حساباتهم الرياضية للدلالة على الارقام مما جعل من الصعب التعامل مع الارقام الكبيرة لانها تستلزم عددا ضخما من الرموز او الحروف الابجدية، أما ارخميديس فقد استخدم نفس هذه الحروف ولكن اتبع طريقة التصنيف ابتداء من الرقم ١٠ على هذا النحو :

من ١ إلى ١٠,٠٠٠,٠٠٠ = (١٠) ^٨ وعلى التوالى تتضاعف الاعداد

١٠ ^٨ × ١٠ ^٨

(١٠^٨ × ١٠^٨) ١٠^٨

وذلك على ثلاث مراحل حتى يصل الى عدد واحد صحيح وبجانبه ٨٠,٠٠٠ مليار صفر [1] .

كما ظهرت ايضا بعض الاسماء الاقل شأنا من ارخميديس مثل ابوللونيوس البرجي الذى ولد في برجه في بامفيليا على الساحل الجنوبي الشرقى لاسيا الصغرى (غرب قبرص) حوالى ٢٦٢ ق.م، درس في الاسكندرية وظهر فيها اثناء حكم بطلميوس الثالث والرابع أى انه يصغر ارخميديس بحوالى ٢٥ سنة مما يوحي بأنه كان على علم بأعماله رغم عدم تتلمذه على يديه. ومن بين العديد من الكتب التى ألفها ابوللونيوس فقد اشتهر بكتابه عن (القطاعات المخروطية).

---

(١) المرجع السابق . صفحة ١٣٥ ومابعدها.

C.F. Fraser, op. cit., p. 339 FF, 376 FF.

كما ظهر كونون الساموس الذى كان معاصرا لارخميديس تقريبا، وفى الغالب ازدهر فى الاسكندرية فقد اكتشف مجموعة نجمية اسماها (كونى برينيكا) أى (شعر برينيكى) نسبة الى برينيكى زوجة بطلميوس الثالث، (وقد كتب كاليماخوس قصيدة بنفس العنوان) ولابد وان كونون كان عالما رياضيا معروفا فى الميكانيكا حيث امتدحه ارخميديس بشكل واضح فى مقدمة كتابه عن الحلزونات. وقد درس كونون القطوع المخروطية ايضا ومن الواضح ان الكتاب الرابع من القطوع المخروطية لابوللونيوس البرجى كان مؤسسا على هذا العمل كما امتدحه ايضا ابولونيوس وتعددت الاشارات اليه فى المجسطى لبطلميوس السكندرى[1] .

(١) جورج سارتون. المرجع السابق. صفحة ١٥ وما بعدها.

(٥)

الطب ومدرسة الاسكندرية

وضع هيبوكراتيس في القرن الخامس ق.م قواعد علم الطب الاغريقي الذى اخذ فى التطور حتى وصل الى درجة عالية في مدرسة الاسكندرية العلمية، وكما كان طب الاسكندرية المتطور محصلة لسنوات طويلة من الممارسة العملية والمعرفة النظرية كذلك كان الطب الاغريقي تتويجا لمحاولات استمرت مئات السنين فى وصف المرض ومحاولة علاجه، بدأت (كأقدم معلومات لدينا) فى الالياذة لهوميروس عن هيلين التى استعملت دواءا مصريا مما يشير الى مشكلة تأثر الطب الاغريقى ومن ثم السكندرى بالطب المصرى، وهى المشكلة التى لم تحل حتى الآن بشكل قاطع وان كان من المؤكد ان طب الاسكندرية قد تأثر بشكل ما بالطب المصرى عن طريق الموسيون ومكتبة الاسكندرية الشهيرة.

ولا يمكن انكار دور الدين فى بداية ظهور العلوم الطبية خاصة الاله ايسكلبيوس مما يشير الى فكرة العلاج النفسى التى عرفها الاغريق كما عرفها المصريون قبلهم ومارسوها فى معابد الهتهم، مما يشير مرة أخرى الى احتمال تأثر الاغريق بهم خاصة عن طريق نقراطيس. وعندما بدأ هؤلاء الكهنة فى استعمال بعض العقاقير بالاضافة الى التأثير النفسى لتواجد المريض فى معبد الاله يمكن القول أن الجانب العملى فى الطب عن طريق الممارسة والخطأ والصواب قد بدأ. واشتهرت من المدارس الطبية مدرستى كنيدوس وقوص واللتان وان انتميتا جغرافيا الى آسيا الصغرى الا ان تأثيرهما على بلاد الاغريق كان كبيرا خاصة قوص عن طريق طبيبها الشهير هيبوكراتيس.

ومع بداية العصر الهللينستى وفتوحات الاسكندر التى ضاعفت مساحة العالم المعروف ومن ثم وفرت للعلماء فرصة لزيادة معارفهم عن الاجناس البشرية والنبات والحيوان وغيرها من العلوم، ومع وجود قواعد البحث العلمى التى كان قد

وضعها ارسطو والتى تتطلب كما وافرا من المعلومات لتحليلها واستخلاص النتائج منها، ومع تشجيع ملوك البطالمة المستمر للاداب والعلوم اصبحت كل متطلبات قيام نهضة علمية نشيطة متوافرة [1].

وفى بدايات عصر البطالمة فى مصر حوالى ٣٠٠ ق.م هاجر الى الاسكندرية عدد كبير من اطباء الاغريق وكان اشهرهم هيروفيلوس من خاليكدونيا وايراسيستراتوس من قوص، واهتم هيروفيلوس بالتشريح وتوصل الى أن الشرايين تحوى دماء وليس هواء كما كانت النظرية السابقة عليه تقول، وان القلب يتدخل فى عملية نبض الشرايين وبذلك يكون اول من اكتشف الدورة الدموية، كما اهتم هيروفيلوس بقياس النبض كوسيلة لتشخيص المرض واستعمل فى ذلك ساعة مائية، واستعمل كذلك العقاقير بشكل أوسع من استعمال مدرسة هيبوكراتيس الطبية لها، وتوصل الى ان المخ هو مركز كل النشاط الانسانى وفرق بينه وبين المخيخ، وأطلق على بعض اجزاء الجسم اسماء لاتزال مستعملة حتى الان مثل الاثنى عشر، وهذه الانجازات وغيرها كانت نتيجة طبيعية لبحوثه المستمرة فى التشريح سواء للانسان أو الحيوان، والتى أدت بالضرورة الى تقدم فى فن الجراحة والى اختراع آلات جراحية دقيقة منها على سبيل المثال قاطع الجنين داخل الرحم الذى يعزى اختراعه الى هيروفيلوس والذى استخدم فى اجهاض حالات الحمل الميئوس منها.

اما ايراسيستراتوس فقد عاد الى طريقة هيبوكراتيس فى التقليل من استعمال الادوية وبدلا منها فضل الطعام الصحى الخفيف والرياضة ورفض العلاج عن طريق فصد الدم – كما عاد مرة اخرى الى الفكرة التى رفضها هيروفيلوس عن الشرايين التى تحتوى على الهواء الذى يلعب دورا هاما فى حياة الانسان، ورغم خطأ هذا الاتجاه الا أنه ادى الى اكتشاف الاوكسجين وبيان مدى أهميته للانسان، كما ينسب الى ايراسيستراتوس اختراع القسطرة.

(1) Fraser, op. cit., p. 338 FF.

وقد استمرت مدرسة هيروفيلوس الطبية خلال النصف الثانى من القرن الثالث ق.م عن طريق تلميذيه «فيلينوس» الذى وصلتنا بعض شذرات من كتاباته عن طريق بليني وجالينوس، ويعزى اليه تأسيس مدرسة الطب التجريبى فى الاسكندرية والتى اشتهرت بعد ذلك بظهور سيرابيون السكندرى الذى رفض النظريات الطبية وعمل عن طريق الملاحظة الشخصية وأسلوب الخطأ والصواب فى وصف العلاج للامراض.

أما التلميذ الآخر لهيروفيلوس فكان اندرياس الذى أصبح الطبيب الشخصى لبطلميوس الرابع وفقدت كل أعماله ولم يصلنا منها سوى بعض الاسماء منها كتاب عن الادوية بعنوان «ناركس».

كما يظهر من نفس الفترة (اوائل عصر البطالمة) ابوللودوروس السكندرى بكتاباته الطبية عن العقاقير والسموم، وهى الكتابات التى فقدت لكنها وصلتنا بشكل آخر من خلال قصائد الشاعر نيكاندروس من آسيا الصغرى (اواسط القرن الثالث ق.م) والذى احترف الشعر التعليمى الذى ازدهر فى الاسكندرية أيضا[١].

وبشكل عام فلم تصلنا مؤلفات طبية كاملة من اطباء الاسكندرية فى العصر البطلمى وبالتالى يصبح مصدرنا الاساسى هنا هو كتابات الاطباء الرومان من أمثال كلسوس وجالينوس[٢] .

---

(1) Ibid. , Loc. cit.

(٢) عن الموضوع بالتفصيل راجع : فريزر المرجع السابق، صفحات ٢٣٨ وما بعدها.
جورج سارتون. المرجع السابق . صفحات ٢٣٨ وما بعدها ٢٤٨ وما بعدها.

(٦)

مدرسة الاسكندرية الفلسفية

يطلق هذا الاسم على الحركة الفكرية التى تبلورت واتضحت مظاهرها عند افلوطين مؤلف «التاسوعات»[1] التى نشرها بعد موته تلميذه فورفيريوس فى أواخر القرن الثالث الميلادى. وقبل افلوطين وجدت امكانية لتعلم الفلسفة الافلاطونية فى الاسكندرية رغم ان بداية المتحف (أو الجامعة) فى الاسكندرية كانت علمية حتى دخلت عليها تدريجيا فنون اللغة والادب ثم الفلسفة، ومن أهم الاسماء التى سبقت أفلوطين فى الاسكندرية.

فيلـــــون : وهو فيلسوف يهودى عاش فى الاسكندرية بين ٣٠ ق.م الى ٥٤ ميلادية، كتب عدة رسائل حاول فيها ان يوفق بين الديانة اليهودية السماوية ومذاهب الفلسفة الافلاطونية، وان يبرهن على ان كل ما توصل اليه العقل اليونانى مستمد من التوراة، وعنده ان الحواس والعقل معياران كاذبان للمعلومات، فهذه المعلومات قد نشأت فى الفكر نشوءا داخليا لاعلاقة له بالحواس، والعقل والحواس بما لها من قدرة على استقراء الاشياء عاجزة عن ادراك حقيقة هذه الاشياء التى توجد فقط فى التوراة. والفرق بين فيلون وممثلو الافلاطونية الحديثة ان فيلون قد مزج الفلسفة اليونانية بالديانة اليهودية بينما الافلاطونيين المحدثين مزجوا بين الفلسفة اليونانية والديانات الوثنية.

الهرامسة : وهم مجموعة من الفلاسفة اشتركوا فى اعداد ما اصطلح على تسميته بالمؤلفات الهرمسية نسبة إلى الاله هرمس وهو المقابل اليونانى للاله توت أو تحوت المصرى رمز الحكمة، وكتب أغلبها فى النصف الثانى من القرن الثانى بعد الميلاد، ويتفق مؤلفو الكتب الهرمسية مع فيلون فى محاولتهم لانشاء فلسفة دينية من خلال الافلاطونية الا أنهم لا يقتصروا على دين محدد فقد كان

---

(١) وهى عبارة عن أربعة وخمسين مقالة فلسفية.

تفكيرهم دينيا مستقلا عن الاديان. وهذه المؤلفات التى تعاملت مع موضوعات اخرى بالاضافة للفلسفة كالتنجيم والكيمياء يغلب على الظن انها قد كتبت بواسطة مصريون اتقنوا اللغة والثقافة اليونانية أو يونانيون تمصروا وغلب عليهم الطابع الشرقى الذى يظهر واضحا فى هذه الكتابات.

ومن هذه المؤلفات يتضح ان الفكر الهللينستى فى الاسكندرية فى القرن الثانى الميلادى قد اعتمد على المفكرين القدماء أمثال فيثاغورس وأفلاطون مع خلط العلم بالفلسفة وخلط الاثنان معا بالدين والايمان بالوحى الالهى بدلا من الثقة فى العقل والعلم، وبهذا تتحول الفلسفة اليونانية من فلسفة عقل نظرى ثم عملى بعد ذلك الى ان تصبح فلسفة دينية.

أما الافلاطونية الحديثة فقد كانت آخر المدارس الفلسفية التى عرفها العالم القديم بداية من القرن الثالث الميلادى والتى حاولت تفسير الكون بشكل فلسفى متصوف على حساب الحقائق العلمية البحتة وبالتالى كانت اقرب الى الدين، ويؤكد هذا أن معظم فلاسفة هذه الفترة كانوا من رجال الدين، وأول من دعا الى هذه الفلسفة كان امونيوس ساكاس الذى اعتنق المسيحية ثم ارتد عنها ثانية وتوفى فى الاسكندرية حوالى ٢٤٣ و كان استاذا لافلوطين، درس فلسفة افلاطون وارسطو واعتقد بأن النفس البشرية فى حالة تدهور مستمر ولذلك فقد كانت بحاجة الى الفلسفة تعيد لها سموها واتصالها بالخالق حتى تبعتد عن شرور المادة، ويعتبر هو مؤسس مذهب الافلاطونية الحديثة رغم ارتباطها باسم تلميذه افلوطين.

افلوطين : من ابناء اسيوط فى بداية القرن الثالث الميلادى، درس الفلسفة فى الاسكندرية ثم رحل الى روما حيث أسس مدرسة لتعليم فلسفته ورغم هذا ارتبط اسمه دائما بالاسكندرية ومدرستها الفلسفية. وقد حاول افلوطين حل المشاكل الدينية عن طريق الفلسفة، وتجمع فلسفته بين الفلسفة اليونانية والفكر الشرقى، ويعتمد أساسا على فلسفة أفلاطون والفيثاغورية الجديدة الى جانب نظرية

الشرق فى الفيض الالهى، ويدعو افلوطين الى وجود عالمين : عالم الحس، وعالم العقل المجرد،، وعلينا ان نقرر الى أى العالمين نتجه بأفكارنا، مع اقتناعه بان عالم العقل المجرد هو الاسمى ، ويرى ان الاله افاض من نوره فنشأ العقل الذى انبثقت منه النفس الكلية ومنها النفوس الجزئية أى نفوس البشر، وهى ادنى مراتب العالم الروحانى وقد خرجت من النفس الكلية ايضا الطبيعية أو المادة والتى يرى أنها ابعد الكائنات عن الكمال، وهى مصدر الشرور لانها عبارة عن عدم وغاية الحياة هى التحرر من المادة أو العدم حتى يتمكن البشر من الاتصال بالنفس الكلية ثم العقل فالاله فى النهاية.

وقد انتشر هذا المذهب الفلسفى مع احتفاظه بأساسه الصوفى ولكن احيانا ببعض الاضافات فى روما على يد فورفيروس وفى سوريا على يد جامبليكوس، وفى أثينا على يد بروكلوس ، حتى ظهر الامبراطور جستنيان وأغلق المدارس الفلسفية فى اثينا وروما وسوريا فى ٥٢٩ م. وشهد هذا القرن (القرن السادس الميلادى) نهاية الفلسفة على يد المشتغلين بالدين المسيحى حتى عادت مرة أخرى فى عصر النهضة [١].

(١) نجيب بلدى. مدرسة الاسكندرية الفلسفية. صفحة ١٧ وما بعدها.
جورج سارتون. المرجع السابق. صفحة ٢٨٧ وما بعدها.

-٧-

السفن العملاقة فى مصر فى العصر الهللينستى

ظهرت فى الآونة الأخيرة العديد من الآراء والإفتراضات حول الحضارة اليونانية والحضارة المصرية، ومدى تأثير وتأثر كل منهما بالأخرى. ورأى البعض بنقاء الحضارة اليونانية وعدم تأثرها بأى من الحضارات السابقة عليها أو المعاصرة لها، وغلبة العنصر الآرى عليها، بينما رأى البعض الآخر عكس ذلك، وقالوا بتأثير الحضارة المصرية الجارف على الحضارة اليونانية، حتى أن بعضهم غالى فى ذلك بأن جعل اسم أثينا نفسه إسماً مصرياً [١].

من هذا المنطلق فإن هذا البحث لايهدف إلى التعامل مع المؤثرات المصرية على الحضارة اليونانية، أو فترة العصر الهللينستى (فى مصر)، فهذا الموضوع من العمومية بمكان، ويحتاج إلى الكثير من الابحاث المتخصصة، ويزيد على ذلك أنه قد ظهرت فى هذا المجال العديد من الدراسات القيمة. لكن هذا البحث يتعامل مع جزئية واحدة، هى ظاهرة السفن الضخمة التى ظهرت فى مصر خلال فترة حكم البطالمة لها، وهى السفن التى تعتبر بحجمها الضخم غريبة على اليونانيين والمقدونيين، ومن ثم البطالمة فى مصر، ولاأدعى لنفسى فضل السبق فى هذا

(١) عن موقف بعض علماء الغرب من الحضارة المصرية، ومحاولتهم شطب أغلب انجازاتها، وقولهم بأن حضارة اليونان هى الأصل، والرد على هذا الأدعاء.

- راجع: Martin Bernal, Black Athena, Rutgers University Press, New Jersey 1987, Vol. I, pp. 189 - 206, 209 - 211 et passim.

وعن الأصول المصرية لإسم أثينا حسب رأى «برنال» - راجع Bernal, op.cit., Vol. I, pp. 51 - 52 هذا مع الأخذ فى الأعتبار أن «برنال» لايكتب دائما بتجرد كامل، فهو من آن لآخر يحاول وبشكل يحرص على أن يبدو عرضياً - أن يشير إلى وجود تأثير عبرانى على الحضارة المصرية، خاصة فى مجال الدين؛

-Bernal, op.cit., vol.I, pp. 173 - 177, 338 FF, 408 FF; vol.II, 106 - 120, 355 - 358 et Passin

كما يشير إلى أن بعض آرائه لم تتجاوز بعد مرحلة الافتراضات.

المجال، فقد تعامل مع الموضوع من قبل عدد من الباحثين الأجلاء، لكن تعاملهم هذا كان يأتى من خلال تتبع تاريخ تطور البحرية اليونانية أو المقدونية أو البطلمية[1]، لكن الإضافة التى أحاول أن أضيفها إلى الكم السابق من الأبحاث هى محاولة ربط هذه الظاهرة (ظاهرة السفن الضخمة) - والتى قد يبدو لأول وهلة أنها طفرة فى تاريخ تطور السفن فى العالم الهللينستى- بما سبقها من تطور للسفن المصرية القديمة، وبالتالى يصبح ظهور مثل هذه السفن الضخمة نتيجة منطقية وحتمية لتطور هندسة بناء السفن المصرية، وبهذا يتأكد غلبة المؤثر المصرى على حضارة العصر الهللنيستى، على الأقل فى هذه الجزئية.

ومن الواضح أن السفن قد لعبت دوراً فى حياة المصريين منذ أقدم العصور، فمنذ أوائل الدولة القديمة نلتقى برجال يحملون ألقاباً مثل «رئيس السفينة»، و«قائد المركب»، أو «مفتش السفينة»، أو «سيد السفينة»، ويبدو أنها كانت سفناً نيلية، لأن أول إشارة لدينا تؤكد خروج المصرى القديم إلى البحر، تأتى من «حجر بالرمو» الذى سجل نصاً يتحدث عن إرسال أربعين سفينة إلى فينيقيا لإحضار خشب الأرز فى عصر الملك «سنفرو» أول ملوك الأسرة الرابعة[2]، أما الإشارة الثانية فتأتى من عصر «بيبى الأول» ثالث ملوك الأسرة السادسة قرب نهاية الدولة القديمة، والذى أرسل وزيره «ونى» لتأديب بدو شبه جزيرة سيناء الذين دأبو على التعرض للبعثات المصرية التى تنقب عن الفيروز والنحاس، فسيّر الوزير «ونى»

(1) J. Lesquier , Les Institutions Militaires de L'Egypte Sous les Lagides , Paris 1911.
- W.W. Tran, Hellenistic Military and Naval Developments, Cambridge 1930.
- R.A. Anderson, Oard Fighting Ships, London 1962. Lionel Casson, Ships and Seamanship in The Ancient World, Princeton 1971.
- J.S. Morrison, J.F. Coates, The Athenian Trireme, Cambridge, 1988.
- J.A. Davison, The First Greek Triremes, CQ: 41 (1947) pp. 18 - 24.

(٢) عبد المنعم أبو بكر، البحرية المصرية القديمة، فى : تاريخ البحرية المصرية، جامعة الإسكندرية (١٩٧٤)، ص ٩٦.

نصف جيشه عبر الصحراء، وعبر البحر بالنصف الآخر إلى جنوب فلسطين «جنوب جبل الكرمل» حيث التقى نصفا الجيش وحصرا فيما بينهما البدو وقضوا عليهم. وقد سجل الوزير «ونى» تفاصيل هذه الحملة على جدران مقبرته(١).

وإذا كان المصرى القديم قد بدأ صناعة القوارب من سيقان البردى، فقد اثبتت الممارسة العملية أن مثل هذا القارب يفقد طاقته على الحمل بمعدل الثلث بعد عشرة أيام من إستعماله، كما أنه يصبح غير صالح للإستعمال بعد فترة لاتزيد عن خمسة أشهر، وبالتالى فقد كان ضرورياً للمصرى القديم أن ينتقل مباشرة إلى صناعة القوارب والسفن من الخشب، وإستعمل فى هذا أخشاب السنط والجميز، ثم خشب الأرز المستورد.

وقد بلغت هذه السفن فى عصر الدولة القديمة حداً من الضخامة جعل مركب خوفو التى اكتشفت جنوب الهرم الأكبر تصل إلى ثلاثة وأربعين متراً فى الطول، وستة أمتار فى العرض، وسبعة أمتار فى الإرتفاع، وزودت بقمرة فسيحة طولها تسعة أمتار وعرضها أربعة، وكانت تتحرك بعشرة مجاديف ضخمة يبلغ طول الواحد منها عشرة أمتار ويتطلب تحريك المجداف الواحد أربعة رجال أقوياء على الأقل(٢).

---

(١) نجيب ميخائيل، البحرية المصرية فى العصر الفرعونى، فى تاريخ البحرية المصرية، ص ص ٦٣ – ٦٤.

(٢) يتأكد خروج المصرى القديم إلى البحر مع بداية الأسرة الرابعة، إلا أنه يوجد احتمال أن يكون هذا الخروج سابقاً على ذلك، ويعود إلى بداية عهد الأسرات (الأسرة الأولى)، وفى عهد «زوسر» أول ملوك الأسرة الثالثة، وإلا فكيف يمكن تفسير وجود الأوانى الفخارية السورية التى عثر عليها «فلندرز بترى» فى مقابر الأسرة الأولى، وكيف وصلت الأخشاب الفينيقية التى استعملت فى هرم زوسر المدرج وهرم سنفرو القبلى فى دهشور، وأخشاب مركب خوفو التى اكتشفت عام ١٩٥٤، إلا لو كان المصرى القديم قد استوردها ونقلها على سفن التى كانت تتجول فى البحر المتوسط منذ بداية عصر الأسرات.

راجع: عبد المنعم أبو بكر، المرجع السابق، ص ٦٩ ، ٨٩– ٩٢، ٩٤ كما يوجد لدينا نص يقول بأن سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة قد بنى سفينة بلغ طولها مائة كوبيت، أى ١٧٢ قدم، أى ٥٦,٤ متراً تقريباً.

CF.S.R.K.Glanville, The Legacy of Egypt, Oxford 1943, p. 138.

وفى عصر الأسرة السادسة بنى أحد النبلاء ويدعى «أونى» سفينة لنقل الأحجار بطول ٣٣,٨ متراً وعرض ١٦,٨ متراً.

ويبدو أن صناعة سفن النقل قد تقدمت إلى الحد الذى سمح للملكة «حتشبسوت» خامس ملوك الأسرة الثامنة عشر من الدولة الحديثة أن تبنى سفينة لتنقل مسلتيها الشهيرتين من محاجر أسوان إلى معبد الكرنك، وقد بلغ وزن المسلة حوالى ٣٢٣ طناً، ولتحمل هذا الثقل البالغ حوالى ٦٤٦ طناً بخلاف ثقل البحارة والمجدفين، والأدوات والأشياء الأخرى، تضخم حجم السفينة ليصل إلى ٨٢ متراً طولاً، ٢٩ متراً عرضاً.[١]

ورغم ظهور رسم حائطى لهذه السفينة على جدران معبد الدير البحرى للملكة حتشبسوت، فقد رفض بعض الباحثين، من أهمهم جلانقيل[٢]. قبول فكرة ظهور مثل هذه السفينة الضخمة، من منطلق أن المصرى القديم لم تتوفر له الخلفية الرياضية والهندسية الكافية التى تمكنه من بناء مثل هذه النوعية من السفن، ويقترح «جلانقيل» مثلا أن حتشبسوت قد استعملت طوفاً ضخماً بدلاً من سفينة النقل هذه[٣].

والرد على ذلك لايستدعى منا أكثر من التذكير بالإعجاز الهندسى الذى وصل إليه المصرى القديم فى بنائه للأهرامات الثلاثة بالجيزة فى عصر الدولة القديمة، أى أكثر من الف عام قبل بناء سفينة حتشبسوت، ومن البديهى أنه فى خلال هذه الفترة قد حدث تقدم ملموس فى كافة العلوم التطبيقية.

وبدخول الإسكندر المقدونى مصر، ومن بعده بطلميوس بن لاجوس فى ٣٢٣ ق.م، ثم إعلانه نفسه ملكاً فى ٣٠٥ ق.م، دخلت مصر عصراً جديداً استهدف البطالمة فيه إقامة دولة غنية قوية على ضفاف النيل وشواطىء البحرين

---

(١) محمد صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧ - راجع تعليق د. أحمد بدوى ص ٢٠٩.

(2) CF.Glanville , op. cit., p. 140.
(3) Ibid., Loc. cit.

الأبيض والأحمر، وتمثلت متطلبات إقامة مثل هذه الدولة فى السيطرة على كافة الطرق المؤدية إلى مصر، ولتحقيق هذا كان لابد من أسطول قوى ضخم، ولبناء مثل هذا الأسطول كان لابد من إستيراد الأخشاب والمعادن، إلا أن مسألة الإستيراد غير مأمونة فى أغلب الحالات، لذا رأى البطالمة أن الإستيلاء على المناطق التى تنتج الخامات اللازمة لبناء السفن هى أسلم طريقة، مثل سوريا وقبرص وبعض مناطق أسيا الصغرى، هذا بالإضافة إلى تأمين وتنظيم وتوسيع مجال تجارة مصر الخارجية، والتى كانت تحقق عائداً مادياً كبيراً يذهب بالطبع لخزائن البطالمة. ومن هذا يتضح أن بناء اسطول قوى كان أمراً لامفر منه أمام البطالمة(١).

لهذا كان منطقياً ومتوقعاً أن يشتهر بطلميوس سوتير بين معاصريه بأنه من أعظم من بنوا السفن، حتى أنه لقب «بأمير السفن» ، وإنسحب نفس الوصف فيما بعد على بطلميوس الثانى «فيلادلفوس»(٢).

وفى رأى بعض الباحثين أن المعلومات المتوافرة لدينا عن اسطول البطالمة تعد بشكل من الأشكال قليلة(٣)، إلا أنه وبرغم هذا امكن تجميع قدر لابأس به من المعلومات عن نوعية السفن واعدادها واحجامها، يمكن صياغتها على النحو التالى:

أولا: نوعيات السفن:

١- السفن الحربية:

أ- باريديس (Barides) وهى سفينة قتال ضخمة نوعاً ما، ربما تكون قد

---

(١) محمد عواد حسين، البحرية المصرية فى عهد البطالمة، فى: تاريخ البحرية المصرية، ص ١٢٦ ومابعدها:

CF. Alan Bowman, Egypt after The Pharaohs, British Museum Publications 1986, pp. 29 - 36.

(2) Athenaeus, Deipnosophistae, I, 203.

-CF. Jurien de La Graviére. La Marine des Ptolémées et La Marine des Romains, Paris, 1885, Ch.2.

(3) J.Lesquier, op.cit., p. 255

-ويشاركه نفس الرأى ابراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، القاهرة ١٩٧٩، ص ٤١٨

استعملت منذ القرن الخامس ق.م[1].

ب- كركوروس (Kerkuros) وهى سفينة متوسطة كانت تستخدم فى القتال وللأغراض التجارية أحيانا، بالإضافة إلى نوعين آخرين من السفن المتوسطة استخداما للقتال فقط هما ميوبارونس (Myoparones) وبريستيس (Pristes)[2].

جـ- سفن قتال صغيرة سميت لمبوس (Lembos) ولينينكولوس (Leninkulos)[3].

د- سفن حربية خفيفة اشبه بالزوارق الحربية السريعة في العصر الحديث، سميت كامارا (Camara) وأكاتوس (Akatos) وكيلوكس (Keloces)[4].

٢- السفن التجارية:

أ- أهم أنواعها نوع كبير الحجم أطلق عليه كوربيتا (Korbita)[5].

ب- نوع متوسط الحجم يسمى كوبايا (Kybaea)[6].

جـ- نوع ثالث أصغر استخدمه الفينيقيون، وغالبا فقد استخدمه البطالمة يسمى جاولوس (Gaulos)[7].

ذ- هذا بالإضافة إلى السفن الضخمة التى بناها البطالمة كنوع من الإستعراض،

---

(1) Cecil Torr , Ancient Ships, Cambridge 1984, p. 106 .
-CF.Aeschyl., Pers., 552 - 3; Proper., III, 11, 44.

(2) Arrian., Anaba, VI.2; Diod.Sicul., XXIV. 1. Pliny, NH., VII, 57.

(3) Appian, B.Civ., V. 54; Polyb., XVll.1; Livy, xxxi. 45; Diod.Sicul., xx.85; Tacit., Annal, xiv.5; Caes., B.Civ, II. 43.CF.Cecil Torr, op.cit., pp. 115 - 6.

(4) Thuc., VII. 59; Diod.Sicul., XIII. 14, Xenoph. Hell., I.6.36; CF.Cecil Torr,op cit., p. 107.

(5)Cic, Ad. Atticum, XVI.6.1.

(6) Cic., In Verrum, II. IV. 8.

(7) Plut., Mor., On Tranquillity of Mind, 3.

كسفن فيلادلفوس وفيلوباتور وكليوباترا وأطلق عليها ثالاميجوس (Thalamegos).[1]

ثانيا: أعداد السفن:

أما عن أعداد هذه السفن فلدينا إحصائية لأثنايوس تقول بأن أسطول بطلميوس الثانى تكون من ٣٣٦ سفينته حربية، بالإضافة إلى ٤٠٠٠ سفينة أخرى كانت تبحر إلى الجزر والمدن الخاضعة له فى شرقى البحر المتوسط والشاطىء الليبى[2].

كما توجد إحصائية أخرى لأبيانوس تقول بأن فيلادلفوس قد امتلك ٢٠٠٠ من سفن النقل والسفن الصغيرة، ١٥٠٠ سفينة حربية كبيرة، ٨٠٠ سفينة فخمة مخصصة للملوك[3].

أى أن إحصاء اثنايوس يقول بإمتلاك فيلادلفوس ٤٣٣٦ سفينة أما ابيانوس فقد جعلهم ٤٣٠٠ سفينة فقط. ورغم تقارب الرقمين إلا أنهما من الضخامة بحيث يصعب تصديقهما.

وعلى سبيل المثال وفى أثناء حرب الاسكندرية (٤٨ ق.م) اضطر يوليوس قيصر إلى إحراق ماهو موجود من الاسطول المصرى فى الميناء الكبير بالاسكندرية حتى لايقع فى أيدى السكندريين، وكان يتألف من نحو اثنين وسبعين سفينة كبيرة، فضلاً عن ثمانية وثلاثين سفينة أخرى كانت راسية فى الأحواض[4]، وهو رقم يبدو معقولاً مقارنة بالأرقام السابقة.

وفى معركة اكتيوم اضطر ماركوس انطونيوس إلى إحراق بعض سفنه التى لم

(1) Athen., V. 203.

- قارن: محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ص ١٦١ - ١٦٣.

(2) Athen., V., 203.

(3) App., Prooemion, 10.

(4) Caes., B. Civ., III. III.

يستطع ان يجد لها من يقودها، وتبقى له مائتان وثلاثين سفينة منها ستون سفينة حربية كانت خاصة بكليوباترا، وهو ماتبقى من أصل اسطولها الذى كان يضم مائتى سفينة، أى أن اسطول انطونيوس وكليوباترا من المفترض أنه كان يزيد عن أربعمائة وثلاثين سفينة حربية، في مواجهة اسطول أو كتافيانوس الذى ضم اربعمائة سفينة(1). وهو رقم يبدو أيضا معقولاً مقارنة بالأرقام التي اوردها كل من الينايوس وابيانوس.

يضاف إلى ذلك، أن مثل هذا العدد الهائل من السفن الحربية والتجارية - إذا سلمنا جدلاً بوجوده - كان بالضرورة فى حاجة ماسة إلى عدد ضخم من ورش الصيانة والأحواض الجافة ومراكز التموين والإمداد، بالإضافة إلى ضرورة توافر عدد هائل من البحارة والمجدفين والجنود، فإذا أخذنا أقل عدد من البحارة والمجدفين والجنود اللازمين لتسيير إحدى سفن التريريم (Trireme) المتوسطة الحجم (وهى السفينة ذات الصفوف الثلاثة من المجاذيف وكانت الأكثر شيوعاً فى العصر الكلاسيكي وفى العالم الهللينستي على حد سواء)، لوجدناه لايقل عن مائتى فرد(2)، وبحسبة بسيطة نجد أن القوة البشرية المطلوبة لتسيير ٤٣٠٠ سفينة لاتقل فى المتوسط عن ٨٦٠,٠٠٠ شخص وهو عدد هائل مقارنة بحجم الجيوش والأساطيل فى العالم القديم.

ولذلك فيبدو أن العدد الحقيقي للسفن التى تكونت منها أساطيل البطالمة كان يقل كثيراً عن الأعداد التى اوردها كل من النايوس وأبيانوس.

ثالثا: أحجام السفن:

أما عن أحجام هذه السفن البطلمية التى كما تقول لنا المصادر قد تضخمت

(1) Michael Grant, Cleopatra, Weidenfeld and Nicolson, London 1972, p. 209 and notes 26, 27.

- راجع أيضا: ابراهيم نصحى، المرجع السابق، ص ص ٣٥٦ - ٣٦٦.

(2) J.S Morrison , J.F. Coates, op.cit., pp. 132 , 245.

لتصبح أشبه بالسفن العملاقة، فيجدر بنا التوقف هنا عند مقدمة منطقية تفرض نفسها، وهى أن البطالمة المقدونيين – وهم ورثة الحضارة اليونانية – كان ولابد أن يسيروا – على الأقل فى البداية – فى بناءهم لأسطولهم على نفس الطريقة اليونانية فى بناء السفن، والتى إعتمدت فى الأساس على سفن التريرم ذات الصفوف الثلاثة من المجاذيف، وهى سفن كانت تقل فى الطول عن سبعة وثلاثين متراً، وفى العرض عن ستة أمتار، إذ أن بقايا بعض الأحواض الجافة لبناء وإصلاح مثل هذه السفن توضح أن أبعاد هذه الأحواض كانت لاتتجاوز السبعة وثلاثين متراً فى الطول، و ستة أمتار فى العرض، مما يرجح كون سفن التريرم العادية أقل فى الطول والعرض من هذا[1].

وفى أغلب هذه السفن كانت الحمولة الثابتة تقدر بحوالى خمسة أطنان، أما إذا استعملت كناقلة جنود وجياد (للفرسان) فيمكن أن تزيد الحمولة بمقدار ثمانية أطنان إضافية، أى أن أى تريريم لاتزيد حمولتها فى أغلب الأحوال عن حوالى خمسة عشر طناً، بالإضافة طبعاً إلى وزنها الأصلى[2].

وكانت هذه السفن تسير بسرعة تتراوح مابين خمس إلى ثمانى عقد فى الساعة فى الأحوال العادية، أى أن سرعتها تتراوح مابين ٩,٢٦ كيلومتراً إلى ١٤,٨١ كيلو متر فى الساعة[3] .

ومع مطلع القرن الرابع ق.م قام ديونيسوس حاكم سيراكوز ببناء سفن سميت Quadriremes و Quinqueremes ، احتوت على أربع وخمس صفوف

(1) J.S Morrison , J.F. Coates, op.cit., pp. 133 , 4.
.CF. J.A.Davison, op. cit. pp. 18 - 24.

وعن الموضوع بشكل عام راجع:

- - W.W. Tarn, Hellenistic Military and Naval Developments.
- A.R. Anderson, Oared Fighting Ships.
- Lionel Casson, Ships and Seamanphip in The Ancient World.

(2) J.S Morrison , J.F. Coates, op.cit., p 219.

(٣) العقدة = ١٨٥٢ متراً CF.J.S Morrison , op.cit., pp. 103- 6

من المجذفين[1]، وفيما بعد أخذت الأساطيل الهللينستية تعتمد على هذه النوعية من السفن تدريجياً، والتي تطلبت أكثر من مائة وسبعين رجلاً لتحريكها[2]، لكنها كانت من الثقل بحيث يسهل على سفن التريرم ذات الطراز القديم مهاجمتها.[3]

إلا أنه من الغريب أنه لايوجد لدينا أى تصوير لسفينة يزيد عدد صفوف مجاذيفها عن ثلاثة صفوف Trireme، رغم أن الأدلة الأدبية تقول بعكس ذلك[4].

ويقودنا الحديث عن أحجام السفن فى العصر الهللينستى إلى سفن بطلميوس فيلوباتور الثلاثة، فرغم أن المصادر الأدبية قد أشارت بعض الإشارات السريعة لسفن ضخمة خاصة ببعض ملوك البطالمة مثل بطلميوس فيلادلفوس وكليوباترا السابعة، إلا أنه لايوجد لدينا وصف مفصل لهذه السفن، والوصف التفصيلى الوحيد هو لسفن بطلميوس فليوباتور الثلاثة، ومصدرنا الاساسى هو أثنايوس الذى أخذ بدوره عن مصادر أخرى معاصرة لفليوباتور.

وأولى هذه السفن تعتبر واحدة من أضخم سفن فيلوباتور التى وصلتنا عنها معلومات وافية مصدرها الأساسى «كاليكسنيوس» Callixenus، وهو مؤرخ من

---

(١) لابد وأن تواجد ثلاثة صفوف من المجاذيف أو أكثر بشكل رأسى يشكل عائقاً ميكانيكياً لعملية التجديف ذاتها، خاصة مع أطوال المجاذيف التى تراوحت مابين تسعة كوبيت Cub-its (πηχυς) أى ٣,٩٩ متراً إلى ٩,٥ كوبيت أى ٤,٢٠ متراً، ومع ضيق المسافة بين كل مجذف وآخر، والتى كانت فى العادة لاتزيد عن ٢ كوبيت أى ٠,٨٨٨ متراً.

CF. Morrison, op.cit., pp. 134, 138.

كذلك راجع تعليق مترجم أثنايوس فى طبعة اللوب.

Athen., Leob, Vol..II, pp. 420 - 1 Note a.

(2) Tarn, op. cit., pp. 122 - 141; Anderson, op. cit., pp.21 - 30.

(3) Polyb., I.26.7; Athen., IV. 203 d.

CF. Chester Starr, The Influnce of The Sea Power on Ancient History . Oxford 1989, p. 52

(4) Morrison, op. cit., p. 10.

رودس عاصر بطليموس فليوباتور أو ربما أتى بعده مباشرة، وقد أخذ عنه أثينايوس وصفه المفصل لسفينة فيلوباتور العملاقة[١].

يقول اثينايوس نقلاً عن كاليكسنوس:

«شيد فيلوباتور سفينته ذات الأربعين صفاً (من المجاذيف)[٢] بطول مائتين وثمانين ذراعاً (διακοσιων ογοηκοντα πηχων) ومن الممر (παροδος) إلى الممر (يقصد العرض) ثلاثون ذراعاً (τριακοντα) أما إرتفاعها إلى حافتها العليا فكان أربعون ذراعاً (τεσσαρακοντα) وكانت أعلى نقطة فى مؤخرتها ترتفع فوق خط الماء بمقدار خمسين ذراعاً (πεντηκοντα) ، وكان لها أربعة مجاذيف للتوجيه (تعمل بمحل الدفة) طول كل منها ثلاثون ذراعاً (τριακοντα πηχων) بالإضافة إلى مجاذيف الصفوف الأمامية - وهى أطولها جميعاً - والتى يبلغ طولها أيضاً ثلاثون ذراعاً (τριακοντα πηχων)[٣].

وفى محاولة لترجمة هذه الأرقام التى ذكرها اثينايوس نجد أن طول سفينة فيلوباتور كان ١٢٩,٦٤ متراً بينما عرضها كان ١٣,٨٩ متراً، وإرتفاعها حتى حافتها العليا كان ١٨,٥٢ متراً، وإرتفاع أعلى نقطة فى مؤخرتها كان ٢٣,١٥ متراً، أما مجاديف التوجيه والتى تقوم مقام الدفة فكان طول الواحد منها ١٣,٨٩ متراً، ويساويها فى الطول أيضاً مجاذيف الصفوف الأمامية[٤].

---

(١) كتب كاليكسينوس «كتاباً» عن تاريخ الاسكندرية بعنوان «عن الاسكندرية» فى أربعة كتب، وقد فقد هذا الكتاب ولم تصلنا منه إلا بعض القصصات

CF.P.M.Frazer, Ptolemaic Alexandria, Oxford 1972, Vol. I, p. 513.

راجع مناقشة فريزر لوصف كاليكسينوس لسفينة فيلوباتور

Frazer, op. cit., Vol. II. Note 152 (Chapter 10I)

(٢) عشرون صفاً من المجاذيف على كل جانب من جانبى السفينة.

(3) Athen.,V. 203, e, f; 204.a

(4) I πηχυς = 18 1/4 Inches = 46.3 cmm.

CF. Oxford Class. Dic. S.V. Measures

ويستمر اثينايوس فى وصف سفينة فيلوباتور، فيتطرق إلى اعداد البحارة الذين كانوا يديرون سطح السفينة، فيقول بأنهم كانوا ٢٨٥٠ بحاراً، بالإضافة إلى اعداد أخرى من الرجال فى باطن السفينة، مع كميات ضخمة من المؤن[١].

ويمضى أثينايوس متتبعاً نفس مصدره «كاليكسينوس» ليصف لنا سفينة أخرى قام بطلميوس فيلوباتور ببنائها، وكانت من نوع الثالاميجوس θαλαμηγος قائلاً: «وقد شيد فيلوباتور أيضاً سفينة نهرية من نوع الثالاميجوس تسمى – حاملة القمرة – بطول نصف ستاديون (٩٣متراً)، وبلغ عرضها – فى أوسع منطقة – ثلاثون ذراعاً (١٣,٨٩متراً)، وبلغ إرتفاعها شاملاً القمرة أربعون ذراعاً (١٨,٥٢ متراً)[٢].

ويستمر اثينايوس واصفاً السفينة ذات الطابقين بأنها قد صممت لتناسب الإبحار فى النهر – والمقصود هنا بالتأكيد هو نهر النيل – فقد كان قاعها فيما تحت خط الماء مسطحاً حتى لاتحتك بقاع النهر، كما زودت هذه السفينة بكل لوازم الحياة المترفة من قاعات للطعام وحجرات للنوم أو للراحة، واجنحة منفصلة خاصة بالسيدات، ومعبد صغير للإلهة افروديتى، وقاعة مخصصة للإله ديونيسوس، هذا غير العديد من الزخارف والحليات من الخشب والعاج والذهب وغير ذلك[٣].

ثم يشير اثينايوس صراحة إلى التأثير المصرى الواضح فى طريقة بناء هذه السفينة قائلاً:

= هذا مع ملاحظة أن «جوليك» مترجم أثينايوس فى طبعة اللويب قد ترجم الذراع عند اليناليوس إلى قدم ، وبالتالى اختلفت قياساته، فكانت على التوالى ٤٢٠ ، ٥٧، ٧٢، ٧٩، ٤٥، ٥٧ قدماً. راجع: سليم حسن، مصر القديمة، الجزء الخامس عشر، القاهرة ١٩٩٤، ص ص ٤٥٢ – ٤٥٣.

(1) Athen., V 204 b.
(2) Athen., V 204 d.
(3) Athen., V 204 .e.f: 205.a,b,c,d,e,f; 206.a.

« لقد كانت مصرية الطابع فى طريقة إنشائها، فالأعمدة المستعملة فيها ضخمة ومرتفعة، أما قواعدها فقد اختلفت الوانها من الأبيض إلى الأسود على التوالى، وكانت بعض تيجان هذه الأعمدة تأخذ الشكل الدائرى، وتمثل أزهاراً آخذة فى التفتح تدريجياً.

وحول الجزء الذى يسمى بالسلة، لم توجد الحليات الحلزونية أو أوراق الأكانثوس كما فى تيجان الأعمدة اليونانية، بل مجموعات من زهور الماء على شكل الكأس وثمار نخيل البلح المزهرة.

وفى نماذج أخرى نحتت أنواع أخرى عديدة من الزهور، أما الجزء أسفل التاج والذى يستقر بالطبع على جذع العمود فكان يزخرف بأزهار ونبات الفول المصرى الذى يتشابك ويربط جذع العمود بالقاعدة وقد كانت هذه هى الطريقة التى يشيد بها المصريون أعمدتهم[1].

ويستمر اثينايوس فى وصفه للسفن الضخمة التى ظهرت فى العصر الهللينستى ليصف لنا هذه المرة سفينة ثالثة لم يبنها أحد ملوك البطالمة – وإن إرتبطت بشكل من الأشكال بعصر البطالمة فى مصر. فقد بناها هيرون ملك سيراكوز، وأشرف على بنائها أرخميديس – مع ملاحظة صلية الواضحة بمصر وخاصة مدرسة الإسكندرية العلمية[2] – وأطلق عليها فى البداية «سيدة سيراكوز Συρακοσια » ثم قدمها هيرون هدية مع حمولتها من القمح إلى بطلميوس فيلوباتور، عندما عانت مصر لفترة بسيطة من نقص فى القمح، وتم تغيير إسمها إلى «سيدة الإسكندرية [illegible] ».

وقد إعتمد اثينايوس فى وصفه لهذه السفينة على مصدر لانعرف عنه شيئا يسمى «موسخيون [illegible] »، ويبدو أنه قد إعتمد أيضا على الرواية الشفهية، إذ أن لايصف السفينة هذه بنفس دقة وصفه للسفينتين السابقتين، فهو

---

(1) Athen., V. 206 , a,b,c.
(2) Athen., V. 206, d.

لايذكر شيئاً عن ابعاد هذه السفينة، وإنما ركز أكثر على طريقة بنائها، وإن أفاض في وصفه للسفينة من الداخل وفخامتها وسعتها وطريقة تزيينها.

ومما يؤكد ضخامة هذه السفينة ذات العشرين صفاً من المجاذيف (عشرة على كل جانب) أنها بنيت من ثلاثة طوابق؛

السفلي أو باطن السفينة مخصص لنقل البضائع، أما الطابق الثاني فقد خصص لغرف البحارة وعمال المجاذيف، أما سطح السفينة أو الطابق الثالث والأخير فخصص لجنود الحراسة والضباط[1].

ورغم أن اثينايوس قد تعرض لعدد البحارة الذين يسيرون مثل هذه السفينة، إلا أن الرقم مفقود في النص المنشور، لكن مما يؤكد ضخامة هذا الرقم المفقود، إنه استتبعه بذكر عدد ستمائة من الرجال المعاونين المستعدين دوماً لتلقي أية أوامر[2].

هذا بالإضافة إلى كثرة عدد الغرف التي ضمتها هذه السفينة، فقد احتوى الطابق الثاني على اربعين غرفة على جانبي السفينة، واحتوى الطابق الثالث أو سطح السفينة على قاعة ضخمة وثلاث غرف للضباط، ومعبد للإلهة افروديتي، ومكتبة صغيرة ، وفي مقدمة السفينة بني خزان للماء العذب يسع عشرين ألف جالون. أما باطن السفينة فقد تم تحميله بتسعين ألف بوشل من الحبوب (٧٢٠,٠٠٠ جالون أو ٢٩٢,٥٠٠ ليتراً)، وعشرة آلاف جرة مملوءة بسمك صقلية المملح، وعشرين ألف تالنت من الصوف (٦٠٠ طن)، وعشرين ألف تالنت بضائع متنوعة (٦٠٠ طن)، هذا بالإضافة طبعاً إلى المؤن والعتاد الخاص بالبحارة.[3]

---

(1) Athen., V. 207, c.
(2) Athen., V. 208, f.
(3) Athen., V. 207, c,d,e,f; 208, a; 209, a.

وللتأكيد على ضخامة هذه السفينة يعمد اثينايوس إلى مقارنتها بسفن التريرم قائلاً:

«لقد تعمدت تجاهل سفينة انتيجونوس[1] التريرم المقدسة..... حيث أنها لاتصل (في الحجم) إلى ثلث أو ربما ربع سفينة هيرون «سيدة سيراكوز» أو «سيدة الإسكندرية» التي سبق وصفها»[2].

وحيث أنه لم يصلنا دليل على وجود سفن من ذات الثلاثة صفوف من المجاذيف (تريريم) تجاوز طولها ٣٧ متراً وعرضها ستة أمتار (راجع فيما سبق ص ١١ وحاشية ١) ومع الأخذ في الإعتبار النسبة التي ذكرها اثينايوس عن حجم سفينة انتيجونوس مقارنة بسفينة هيرون (الثلث أو الربع) يمكن لنا الإستنتاج أن «سيدة الإسكندرية» كان طولها لايقل عن ١١١ متراً وعرضها لايقل عن ١٨ متراً.

والآن فإن المتتبع للطريقة التي تعامل بها اثينايوس مع موضوع السفن الضخمة التي ظهرت في العصر الهللينستي - خاصة في مصر - يلاحظ مايلي:

١- كتب اثينايوس قرب نهاية القرن الثاني الميلادي، أي أنه يبتعد عن الفترة التي يتحدث عنها بمالايقل عن أربعة قرون، مما يجعل كتاباته يحوطها بعض الشك، مالم يعتمد على مصدر معاصر أوقريب للفترة التي يتعامل معها، وهو ماحدث عندما وصف سفينتي فيلوباتور حيث اعتمد على «كاليكسينوس» الذي عاصر الملك البطلمي، أما وصفه للسفينة الثالثة فيغلب عليه طابع العمومية مقارنة بوصفة للسفينتين الأوليين، ربما بسبب اعتماده على الرواية الشفهية فيما يبدو، رغم أنه يذكرمصدراً - لانعرف عنه شيئاً - يسمى «موسخيون».

---

(١) يقصد هنا انتيجونوس جوناتاس الذى عاصر بطلميوس فيلادلفوس.
- راجع تعليق جوليك فى طبعة اللويب:.Vol.II, p. 447 note c

(2) Athen., V. 209, e.

٢- يقودنا هذا إلى ملاحظة مبالغة أثينايوس - ومعه «أبيانوس» الذى كتب فى أوائل القرن الثانى الميلادى - فى حصرهما لأعداد السفن التى امتلكها بطلميوس فيلادلفوس (وهما هنا لايعتمدان على مصدر معاصر أو قريب للفترة التي حكم فيها فيلادلفوس) فيقدر اثينايوس عدد سفن فيلادلفوس بأربعة آلاف وثلاثمائة سفينة (٤٣٠٠)، ومن الواضح أن المبالغة الشديدة هنا لاتحتاج إلى تعليق.

٣- وتثير اعداد البحارة الذين عملوا على هذه السفن، كما أحصاهم اثينايوس، نفس المشكلة التى تثيرها اعداد سفن بطلميوس فيلادلفوس كما ذكرها اثينايوس وابيانوس، فهو يحصى ٢٨٥٠ بحاراً على السفينة الأولى، ويتجاهل العدد على السفينة الثانية، ثم يعود فيذكر عدد البحارة على السفينة الثالثة - وإن كان الرقم قد فقد - إلا أن الرقم الموجود والمذكور لعدد المعاونين والذى قدر بستمائة شخص يدلل على مدى ضخامة الرقم الأصلى المفقود.

وقد يجوز أن نقترح هنا أن أثينايوس ربما قد أحصى حمولة السفينة الإجمالية من طاقم الضباط والبحارة والمجدفين والمعاونين والركاب.

٤- لايذكر اثينايوس شيئاً عن الغرض الذى بنيت من أجله سفينتا بطلميوس فيلوباتور، وإن كان يمكننا الاستنتاج - من ثنايا حديثة - أن الأولى قد بنيت من أجل النزهة البحرية، والثانية من أجل النزهة النيلية، أما الثالثة التى اهديت للملك البطلمى، فيبدو من وصف إثينايوس لها أنها كانت سفينة تجارية خصصت - فى الأغلب الأعم - لنقل الحبوب، مع ملاحظة أن المصرى القديم الذى سبق البطالمة في بناءه للسفن، قد بنى سفناً من أجل اغراض متعددة منها الحربية والتجارية والدينية، كما بنى سفناً للنزهة والتسلية والصيد.

٥- أما إذا تعرضنا لموضوع أحجام هذه السفن الثلاث كما وصفها اثينايوس، فمن الواضح أن هذه السفن قد وصلت إلى حد كبير من الضخامة

والفخامة، فالسفينة الأولى بلغ طولها ١٢٩,٦٤ متراً وعرضها ١٣,٨٩ متراً، وإرتفاعها حتى حافتها ١٨,٥٢ متراً، وإرتفاع أعلى نقطة فى مؤخرتها ٢٣,١٥ متراً. أما السفينة الثانية فبلغ طولها ٩٣ متراً، وعرضها فى أوسع منطقة ١٣,٨٩ متراً، وإرتفاعها ١٨,٥٢ متراً. أما السفينة الثالثة فبرغم أن اثينايوس لم يورد أى شيء عن قياساتها، إلا أن مقارنتها بسفينة انتيجونوس جوناتاس ذات الثلاثة صفوف من المجاذيف (تريرم)- كما وصفها اثينايوس - يجيز لنا الاستنتاج بأن طولها كان لايقل عن ١١١ متراً وعرضها لايقل عن ١٨ متراً.

٦- والتساؤل المنطقى الذى يفرض نفسه الأن هو: كيف بنيت هذه السفن التى يمكن لنا - مجازاً - أن نطلق عليها اسم «السفن العملاقة»، وماهو المثال الذى إحتذاه من بنوا هذه السفن، فى غيبة المثال اليونانى أو المقدونى أو حتى السليوقى، فكما هو واضح لم تتعد سفن التريرم اليونانية أو المقدونية ذات الصفوف الثلاثة من المجاذيف السبعة وثلاثين متراً فى الطول، وستة أمتار فى العرض، حتى مطلع القرن الرابع ق.م حين بنى ديونيسوس حاكم سيراكوز سفناً ذات أربعة أو خمسة صفوف من المجاذيف، مما يبرز إحتمال إضافة بضع أمتار قليلة لطول وعرض هذه السفن.

٧- بداية يمكننا إستبعاد النموذج البحرى الفارسى فى ظل تدهور الفرس كقوة مؤثرة فى حوض البحر المتوسط مع بدايات القرن القرن الثالث ق.م، كما يمكننا استبعاد النموذج الرومانى، حيث لم يظهر الأسطول البحرى الرومانى بشكل مؤثر فى حوض البحر المتوسط إلا خلال وبعد الحروب الفينيقية (البونية). ويقودنا هذا إلى النموذج الفينيقى الذى إقتصر تواجده كقوة مؤثرة على الجزء الغربى من حوض البحر المتوسط. وفى كل الأحوال فلم تصلنا معلومات واضحة عن السفن الفارسية أو الرومانية أو الفينيقية تشير إلى إحتمال تجاوزها لحجم سفن التريرم اليونانية أو المقدونية بفارق كبير.

٨- لايتبقى أمامنا إذا إلا النموذج البحرى المصرى الذى فرض نفسه على البطالمة فى مصر، بل وإمتد تأثيره إلى سيراكوز ممثلا فى سفينة هيرون، وذلك عبر أرخميديس الذى أشرف على بناء السفينة (وعلاقته معروفة بمصر وخاصة الإسكندرية) وتدعم النقاط الثلاث التالية هذا الإستنتاج.

أ- التطور المنطقى يفرض وجود مثل هذه السفن الضخمة التى بدأ ظهورها منذ الدولة القديمة كسفينة خوفو (حتى وإن كانت قد بنيت لأغراض دينية) والتى وصل طولها إلى ٤٣ متراً، وسفينة سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة التى وصل طولها إلى ٥٦,٤ متراً، حتى سفينة حتشبسوت خامس ملوك الأسرة الثامنة عشر من الدولة الحديثة، والتى وصل طولها إلى ٨٢ متراً، وبالتالى فمن المنطقى والمقبول ان يستمر هذا التطور حتى مع دخول البطالمة إلى مصر لتصل أطوال سفنهم إلى ٩٣ متراً ثم ٩,٦٤ متراً كما سبق القول.

ب- لم تظهر مثل هذه النوعية من السفن فى أى من الدول المتخلفة عن إمبراطورية الإسكندر - غير مصر - ويدعم هذا إعتراف اثينايوس صراحة بأن سفينة انتيجونوس جوناتاس لم تصل إلى ثلث أو ربع حجم سفينة هيرون.

جـ- إقرار اثينايوس صراحة بالتأثير المصرى فى طريقة بناء وزخرفة السفينة الثانية لبطلميوس فيلوباتور (راجع فيما سبق ص ١٥ وحاشية١).

من هذا نخلص إلى نتيجة منطقية مؤداها أن ظهور هذه النوعية من السفن الضخمة فى مصر - سواء بنيت فى مصر أو خارجها بمساعدة من تعلموا فى مصر - لم يكن إبداعاً تقنياً يونانياً أو مقدونياً، وإنما هو إستمرارية لتطور طبيعى فى هندسة بناء السفن المصرية التى بدأ ظهورها منذ الدولة القديمة وإستمر حتى دخول البطالمة وإحتلالهم لمصر.

وهكذا تسقط دعاوى نقاء الحضارة اليونانية بعنصرها الآرى وتأثيرها الجارف

على الحضارات الأخرى مع عدم تأثرها بأى من هذه الحضارات، فالعصر الهللينستى فى مصر بإعتباره إمتداداً للحضارة اليونانية الممتزجة بالحضارات الشرقية يظهر تأثيراً مصريا لايمكن إنكاره – على الأقل – فى جزئية واحدة رأيت أن أضيفها إلى الكم الهائل من الجزئيات التى بحثها ويبحثها المتخصصون فى هذا المجال والله الموفق.

---

(١) راجع المناقشة المستفيضة لدعاوى نقاء الحضارةاليونانية بعنصرها الأرى والرد على ذلك عند «برنال» فى كتابه «آثينا السوداء».

_ Bernal , op.cit., vol.I, pp. 75 - 120.

- Vol.II, pp. 3 - 10.

ملاحـــق الدراســـة

ملحق (١)

حكام مصر من الدولة الحديثة

حتى الفتح العربى

أولا: عصر الدولة الحديثة
عهد الامبراطورية
من ١٥٨٠ إلى ١٣١٤ ق.م

الأسرة الثامنة عشرة: من ١٥٨٠ إلى ١٣١٤ ق.م:

بعد حرب التحرير دخلت مصر فى طور حربى عظيم. فبدأ ملوكها الحرب على آسيا وفتحوا فلسطين وسوريا حتى وصلوا إلى نهر الفرات وجنوبا حتى الشلال الرابع فى السودان. وأقام ملوك هذه الأسرة المعابد الهائلة مثل الكرنك والاقصر وعاشت البلاد فى أزهى مظاهر الرفاهية والفن والعلوم والتجارة.. وأحدث الملك اخناتون فى أواخر هذه الأسرة انقلابا دينيا فعبد قرص الشمس دون سواه كرمز لتوحيد الآلهة فى اله واحد قوى.

ونقل العاصمة من طيبة إلى تل العمارنة، ولكن أخاه توت عنخ آتون الذى غير اسمه إلى توت عنخ آمون فيما بعد، عاد إلى الدين القديم والعاصمة القديمة وانتقلت السلطة بعد ذلك إلى الأسرة ١٩ ... وملوك الاسرة ١٨ هم.

- أحمس الأول[١] (نب بحتى رع)
- مانحتب الأول (زسر كارع)
- تحتمس الأول (عاخبر كارع)
- تحتمس الثانى (عاخبر ان رع)

- الملحق بأكمله عن : ناصر الانصارى، موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم، دار الشروق الطبعة الثانية ١٩٨٧، ص ص ٣٢ - ٥٧.

(١) أحمس، حكم ١٥٩٠ - ١٥٤٥ ق.م: البطل الثالث فى معركة التحرير من حكم الهكسوس والذى حرر البلاد منهم بعد أن هاجم عاصمتهم أورايس وحاصر آخر معاقلهم شاروهين قرب العريش لمدة ٣ سنوات لم طاردهم إلى موطنهم الاصلى فى فلسطين وبذلك وضع حجر الاساس لامبراطورية مصرية عظيمة امتدت من سوريا وأعالى الفرات إلى الشلال الرابع فى السودان.

-خنم آمون حتشبسوت (ماعت كارع)

- تحتمس الثالث[1] (من خبر رع)

- أمنحتب الثانى (عاخبرورع)

- تحتمس الرابع (خع خغو) (من خبرورع)

- أمنحتب الثالث (نيموريا) (نب ماعت رع)

- أمنحتب الرابع (نفر خبرو - رع رع - ان رع)

(اخناتون)

- ساكارع (سعا كارع زسر خبرو) (سمنخ كارع)

- توت عنخ آتون - توت عنخ آمون (نب خبرورع)

- آى (خبر خبرورع) (ايرماعت)

- حورم أم حب - مرن آمون (زسر خبرورع)

الأسرة ١٩ من ١٣١٤ إلى ١٢٠٠ ق.م:

- رمسيس الأول (من بحتى رع)

- سيتى الاول (ستى مرن بتاح) (من ماعت رع)

-رمسيس الثانى (مرى آمن) (وسر ماعت رع) (ستب ان رع)

(١) تحوتمس الثالث: من أعظم الملوك الذين حكموا مصر وبعد ٧٥ يوما فقط من تولية العرش بدأ الزحف فى سلسلة من الحملات العسكرية المجهزة أحسن تجهيز بلغت ١٧ حملة واستمرت نحو عشرين سنة متواصلة. ويجمع المؤرخون على أنه أول قائد حربى فى التاريخ وضع خطة تقسيم الجيش إلى قلب وجناحين. وكان لديه مجلس أركان حرب يتشاور معه فى وضع الخطط الحربية الفذة وفى عهده سادت مصر وحضارتها فى امبراطورية شاسعة الارجاء تمتد جنوباً من مناطق الشلال الرابع فى بلاد النوبة وتمتد شمالا وشرقا وحتى مناطق شمال سوريا وبلاد النهرين كما استولى على جميع موانى سوريا ولبنان وجعلها قواعد لجيوشه وتدفقت الجزية والغنائم إلى الخزانة المصرية فعم الثراء والرخاء البلاد وكان يتمتع إلى جانب عبقريته العسكرية بشخصية قوية تتميز بالنبل الرفيع والرجولة والعدالة والتدين والصدق وكانت سياسته الداخلية تقوم على اقرار النظام ورفاهية الشعب.

-مرن بتاح (با ان رع) (مرى آمون) . (حتسب حر ماعت)

- آمون مسس (من ماعت رع) (ستب ان رع)

- مون بتاح ستباح (أخ ان رع) (ستب ان رع)

- سيتى الثانى (ستى مرن بتاح) (وسر خبرو رع)

- رمسيس سبتاح

- ستخ نخت (مرر رع) (وسو خفورع) (ستب ان رع)

- رمسيس العاشر (خبو ماعت رع) (ستب ان رع)

- رمسيس الحادى عشر (من ماعت رع) (ستب ان بتاح)

الأسرة العشرون من ١٢٠٠ إلى ١٠٨٥ ق.م:

- رمسيس الثالث (وسر ماعت رع) (مر آمون)

- رمسيس الرابع (حب ان آمن) (وسر ماعت رع) (مرى آمون)

- رمسيس الخامس (أوسر ماعت رع) (سخر ان رع)

- رمسيس السادس (نب ماعت رع) (مرى آمن)

- رمسيس السابع (أوسر ماعت رع) (مرى آمن)

- رمسيس الثامن (أوسر ماعت رع) (أخ ان آمن)

- رمسيس التاسع (نفر كارع) (ستب ان رع)

عصر الاضمحلال الاخير

من ١٠٨٥ ق.م إلى ٣٣٢ ق.م

كان الرعامسة التسعة الاخيرين ملوك ضعاف تسببوا فى سقوط الأسرة العشرين وبداية عصر الاضمحلال الاخير من الاسرة الحادية والعشرين إلى الاسرة الحادية والثلاثين التى انتهت بغزو الاسكندر المقدونى لمصر.. وخلال هذا العصر

انفصلت عن الامبراطورية معسكراتها فى الشمال وفى الجنوب وطمع فيها جيرانها الليبيون فحكموها بعض الوقت ثم آل الحكم إلى أسرات نوبية. وطمع فيها الفرس فاحتلوها وأخيرا وقعت مصر فى أيدى الاسكندر.

الأسرة الحادية والعشرون: من١٠٨٥ إلى ٩٥٠ ق.م:

- نسوبندد (سندس)
- حريحور
- بسيب خنو الاول
- باى نزم الاول
- امنم أوبت
- سيا مون
- بسيب خنو الثانى

الأسرة الثانية والعشرون: من ٩٥٠ إلى ٧٣٠ ق.م:

فى خلال حكم الأسرة الحادية والعشرين تمكن الليبيون من بسط نفوذهم على الوجه البحرى بالهجرة السلمية وبزيادة الجنود المرتزقة فى الجيش المصرى.

ومع زيادة ضعف الدولة وملوك الاسرة ٢١ زاد نفوذ الليبين حتى تمكن أحدهم من الاستيلاء على السلطة لنفسه وهو شيشنق وبذلك أسس حكم الاسرة الثانية والعشرين، وملوك هذه الاسرة هم:

- ششنق الاول
- أو سركن الاول
- تاكلوت الاول
- أوسركن الثانى

-ششنق الثانى

-تاكلوت الثانى

-ششنق الثالث

- باماى

- ششنق الرابع

الأسرة الثالثة والعشرون: من٨١٧ إلى ٧٣٠ ق.م:

- بادى باست

- ششنق الخامس

- أو سركن الثالث

- تاكلوت ا لثالث

- امنرود

-أو سركن الرابع

الأسرة الرابعة والعشرون: من ٧٣٠ إلى ٧١٥ ق.م:

- تاف نخت (شبس رع)

- باك ان رن اف (واح كارع) - اشتهر عند الاغريق باسم بوكوريس.

الأسرة الخامسة والعشرون:

تمكن الملك النوبى بعنخى من الاستيلاء على مصر العليا ثم تتبع مجرى النيل إلى الدلتا فاخضع أمراءها وأسس حكم ملوك هذه الاسرة النوبية وهم:

- بعنخى[١] (من خبر رع)

(١) بعنخي: ملك نوبي الأصل حكم ٧٥١ - ٧١٦ ق.م قاد جيشا من نباتا إلى مصر في العام ٢١ =

- شباكا (نفر كارع)

- شباتاكا (جدوكاورع)

- طهرق (نفر تم خورع)

- تا ان واتى آمن (باكا رع)

الأسرة السادسة والعشرون: من ٦٦٣ إلى ٥٢٥ ق.م:

تمكن المصريون من طرد ملوك النوبة وقبضوا على زمام الامور بمعاونة الاغريق. وأسس بسماتيك الاول الاسرة ٢٦ وخلالها انتعشت التجارة مع الاغريق.. وفى نهاية حكم هذه الأسرة سقطت مصر فى يد قمبيز ملك الفرس سنة ٥٢٥ ق.م. وحكام هذه الأسرة هم:

بسماتيك الاول[١] (واح ايب رع)

- نكا الثانى (وحم ايب رع)

- بسماتيك الثانى (نفر ايب رع)

- واح ايب رع (حع ايب رع)

- أحمس سانيت (خنوم ايب رع)

- بسماتيك الثالث (نى عنخ كارع)

الأسرة السابعة والعشرون: من٥٢٥ إلى ٤٠٤ ق.م:

فتح الفرس مصر وحكموها مايقرب من ١٢٤ عاما وملوك هذه الأسرة من الفرس وهم:

=من حكمه فتغلب على أمراء أقاليمها واعتلى عرشها مؤسسا الاسرة ٢٥ شيد الكثير من المعابد فى السودان خاصة فى نباتا.

(١) فرعون مصر ٦٦٣ - ٦٠٩ ق.م مؤسس الأسرة ٢٦ - بطل تحرير مصر من استعمار الآشوريين استعان فى حربه بفرقتين اغريقتين امتاز عصره بحركة احياء التقاليد الفنية للدولة القديمة وبتشجيع التبادل التجارى مع الاغريق.

- قمبيز[1]
- داريوس الاول
- جزر كسس الاول
- ارتكزر كسس الاول
- دار يوس الثانى

الأسرة الثامنة والعشرون: من ٤٠٤ إلى ٣٩٨ ق.م:

ملك مصرى واحد كافح خلال ست سنوات تمكن من انتزاع السلطة من الفرس ذلك هو اميرتى وهو الحاكم خلال هذه الاسرة.

الأسرة التاسعة والعشرون: من ٣٩٨ إلى ٣٧٨ ق.م وملوكها هم:

- نايف عاورود (نفرتيس) (با ان رع مرنثرو)
- هجر (ماعت خنم رع)
- بساموت (وسر رع ستب ان بتاح)
- نايف عاود الثانى (نفرتيس)

الأسرة الثلاثون: من ٣٧٨ إلى ٣٤١ ق.م وملوكها هم:

- نقطانب الاول[2]
- جد حر (تيوس)
- نخت حر حب (نفطانب الثانى)

---

(١) قمبيز: ٥٢٩ - ٥٢١ ق.م ملك فارسى غزا مصر ٥٢٥ ق.م فهزم بسماتيك الثالث ودمر منف وانتهك حرمة الديانة المصرية فأبغضه المصريون اشتعلت الثورة ضده فى فارس فعاد ليخمدها ولكنه مات فى الطريق اليها.

(٢) ٣٧٨ - ٣٦٠ ق.م مؤسس الأسرة ٣٠ قاد ثورة على الفرس وحرر مصر من حكمهم.

ظل حكام هذه الأسرة فى حروب دائمة مع الفرس الذين تمكنوا من الاستيلاء عليها مرة ثانية فى عهد آخر حكامها وأسسوا الأسرة الحادية والثلاثين ولكن حكمهم لم يدم طويلا هذه المرة فقد انتهى بفتح الاسكندر لمصر.

الأسرة الحادية والثلاثون: من ٣٤١ إلى ٣٣٢ ق.م وملوكها هم:

- ارتكزر سس الثالث (اوخوس)
- ارسيس
- داريوس الثالث (كودومان)

وتنتهى هذه الأسرة، وتنتهى هذه الحقبة من التاريخ المصرى بغزو الاسكندر لمصر.

(١) ٣٥٩ – ٣٤١ ق.م ثالث فراعنة الاسرة وآخر فرعون مصرى اجتاحت جيوش الفرس مصر للمرة الثانية وأنهت حكمه.

ثانيا: ملوك البطالمة

- تولى حكم مصر من البطالمة بعد الاسكندر ١٥ حاكما وهم:

- بطلميوس الاول ابن لاجوس (سوتير) ٣٢٣ - ٢٨٤ ق.م، المنقذ Soter حكم بوصفه ساتراب أى حاكم ولاية مصر من ٣٢٣ إلى ٣٠٥ ق.م ثم بصفته ملكا عندما استقل بمصر عن خلفاء الاسكندر إلى ٢٨٤ ق.م.

- بطلميوس الثاني ابن بطلميوس الاول «فيلادلفوس» ٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م Philadelphe وقد اشترك مع والده فى السلطة سنة ٢٨٥ ق.م ثم انفرد بها بعد وفاته ٢٨٤ ق.م.

- بطلميوس الثالث «يوارجيتيس» ٢٣٦ - ٢٢١ ق.م Eurgetes.

- بطلميوس الرابع (ابن الثالث (فيلوباتور ٢٢١ - ٢٠٥ ق.م. أو ٢٠٣ ق.م المحب لابيه Philopator.

- بطلميوس الخامس (ابن الرابع) «ابيفانى» ٣٠٥ أو ٢٠٣ على اختلاف بين الفقهاء - إلى ١٨١ ق.م Epiphane تزوج كليوباترا ابنة انيتوخس الثالث الملك السليوقى فى سوريا وتربعت على العرش باسم كليوباترا الاولى.

- بطلميوس السادس (ابن الخامس) «فيلوميتور» ١٨٠ - ١٤٥ ق.م المحب لامه Philomater تخللت حكمة فترة احتل فيها انتيوخوس الرابع ملك سوريا البلاد سنة ١٧٠ ق.م ووقع بطلميوس السادس أسيرا فى يد ملك سوريا.. وقامت ثورة فى الاسكندرية أعلنت الاخ الاصغر ملكا لهم... وعندما تم الافراج عن الاخ الاكبر حكم الملكان الاخوان مصر مناصفة.

وفى سنة ١٦٣ انفرد الاخ بالسلطة مرة أخرى.. إلى أن مات بطلميوس السادس سنة ١٤٥ ق.م.

- بطلميوس السابع (ابن السادس) سنة ١٤٥ ق.م حكم أشهر قليلة بوصاية أمه الملكة كليوباترا إلى أن عاد عمه من برقة الذى قاسم شقيقه فى حكم مصر فى وقت ما.

– بطلميوس الثامن (ابن الخامس) «يوار جيتيس الثانى» Euergetes 2

سبق له الحكم من ١٦٩ – ق.م فى مصر ومن ١٦٣ – ١٤٥ق.م برقة ثم من ١٤٥ – ١١٦ ق.م مصر وقامت ضده ثورة عنيفة فى سنتى ١٣١ – ١٣٠ هرب على أثرها وانفردت بالحكم فى تلك الفترة كليوباترا الثانية ملكة مصر إلى أن استطاع يوار جتيس الثانى استعادة ملكه فى الاسكندرية وتوفى سنة ١١٦ ق.م.

– بطلميوس التاسع (ابن الثامن) ١١٦ – ١٠٧ ق.م «سوتير الثانى» حكم Soter 2 مشاركة مع والدته الملكة كليوباترا الثالثة ١١٦ – ١٠١ وتوفى سنة ١٠١ ق.م.

– بطلميوس العاشر (ابن الثامن) اسكندر الاول١٠٧ – ٨٨ ق.م مشاركة مع والدته الملكة كليوباترا الثالثة التى ماتت سنة ١٠١ ق.م فانفرد هو بالحكم.

– بطلميوس التاسع (للمرة الثانية) ٨٨ – ٨١ ق.م إلى أن توفى.

– الملكة برنيقة : بعد وفاة بطلميوس التاسع لم يكن له وريث للملك فتولت حكم مصر زوجته الثالثة برنيقة.

– ووجد أن هناك ابنا للملك الاسبق بطلميوس العاشر (اسكندر الاول) موجودا فى روما فعاد إلى مصر وتزوج برنيقة.

– بطلميوس الحادى عشر (ابن العاشر) اسكندر الثانى وشارك زوجته الحكم.. ولكنه قتل سنة ٨٠ ق.م.

– بطلميوس الثانى عشر (ابن غير شرعى لبطلميوس التاسع سوتير الثانى) سنة ٨٠ ق.م ٥١ ق.م. واشتهر بلقب الزمار Aulete وكان لقبه الرسمى ديونيسيوس الصغير (Neos Dionysos).

وتزوج كليوباترا السادسة وازداد نفوذ روما على مصر وفى سنة ٥٩ ق.م. كان يوليوس قيصر زعيم الحزب الشعبى وكان قنصلا فى روما وكانت مسألة ضم

مصر إلى الامبراطورية الرومانية ضمن برنامجه السياسي. وسعى بطلميوس الزمار لان يثنى قيصر عن خطته نحو مصر ودفع نظير ذلك ٦٠٠٠تالنتوم وهو نصف دخل مصر. وبذلك أعلن قيصر اعتراف روما بالزمار ملكا على مصر. ومات سنة ٥١ ق.م.

– كليوباترا السابعة ٥١ – ٣٠ ق.م.

ثالثا: أباطرة الرومان وولاتهم على مصر

في هذه الحقبة تعاقب على الامبراطورية الرومانية ٢٧ امبراطورا وتولى حكم مصر من خلالهم ٨٦ واليا رومانيا وهم:

*** زمن الامبراطور أوغسطس:**

- كورنيليوس جالوس	٣٠ ق.م
- بترونيوس	٢٦ ق.م
- ايليوس جالوس	٢٥ ق.م
-بترونيوس (مرة ثانية)	٢٤ ق.م
- روبريوس باريادوس	١٣ ق.م
-تورانيوس	٧ ق.م
- أوكتافيوس	١ ق.م
- ماكسيموس	
- أكيلا	

*** زمن الامبراطور تيبريوس : (١٤ إلى ٣٧)**

- فيتراسياس بوليو	١٧/١٦
- جاليريوس	٢١
- فيتراسيوس يوليو (مرة ثانية)	٣١
- افيليوس فلاكوس	٣٧/٣٢
- اميليوس ركتوس	
- سبيوس سترابو	

*** زمن الامبراطور كاليجولا ٣٧ إلى ٤١: تولى ولاية مصر**

- نافيوس سرتوريوس ماكرو (عين ولم يتول)
- فتراسيوس بوليو ٣٩

*** زمن الامبراطور كلوديوس (٤١ إلى ٥٤):**

- اميليوس ركتوس ٤١
- يوليوس بوسترموس ٤٧
- فرجيليوس كابيتو ٤٨
- لوسيوس ٥٤
- متيوس مود ستوس

*** زمن الامبراطور نيرون (٥٤ إلى ٦٨) تولى ولاية مصر:**

- كلوديوس بالبيلوس ٥٦
- يوليوس فستينوس ٥٩
- كايسيا توسكوس ٦٧
- بيبريوس يوليوس اسكندر ٦٨

عقب مقتل الامبراطور نيرون سنة ٦٨ تعاقب على عرش روما أربعة أباطرة فى عام واحد. جالبا - أوتو - فيتلسيوس ثم فسبسيان وتولى مصر فى عهده (٦٩ - ٧٩).

- تيبريوس يوليوس لوبوس ٧١

*** زمن الامبراطوردوميتيان (٨١ - ٩٦) وتولى مصر فى عهده:**

- بولينوس
- ستيستيوس افريكانوس ٨٢

- سبتيموس فيجيتوس ٨٦
- متيوس روفوس ٩٠
- بترونيوس سيكوندوس ٩٥

*** زمن الامبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧) وتولى مصر فى عهده**

- بومبيوس بلانتا ٩٨
- فيبيوس ماكسيموس ١٠٣
- فينيسيوس ايتالوس ١٠٥
- سولبيسيوس سيمايوس ١٠٨
- روتيليوس لوبوس ١١٥

*** زمن الامبراطور هادريان (١١٧- ١٣٨) وتولى مصر فى عهده**

- ماركوس توربو ١١٧
- رهميوس مارتياليس ١١٨
- هاتيريوس نبيوس ١٢١
- فلافيوس تيتانوس ١٢٦
- بترونيوس مامر تينوس ١٣٤
- فاليريوس

*** زمن الامبراطور انطونيوس(١٣٨-١٦١) وتولى مصر فى عهده**

- افيديوس هيليود رروس ١٣٩
- بترونيوس هونوراتوس ١٤٨
- موناسيوس فليكنس ١٥٠

– سمير ونيوس ليبراليس ١٥٤

– فولو سيوس ماسيانوس ١٥٩

– فاليريوس بروكولس

* زمن الامبراطور ماركوس اوريليوس (١٦١ ١٨٠) وتولى مصر فى عهده

– أنيوس سيرياكوس ١٦٢

– دوميتيوس هونوراتوس ١٦٥

–فلافيوس تيتيانوس ١٦٦

– باسوس روفوس ١٦٧

– كالفيسيوس ستاتيانوس ١٧٥

– باكتيميوس ماجنوس ١٧٧

* زمن الامبراطور كومودوس (١٧٦– ١٩٢) وتولى مصر فى عهده:

– فلافيوس كريسبوس ١٨١

– مانيوس فلافيانوس ١٨١

–فيتوريوس ماكرينوس ١٨٣

– اوريليوس بابيريوس ديونيسيوس ١٨٧

–تينيوس ديمتيوس ١٩٠

– كلوديوس لوثيليانوس ١٩٠

– لارثيوس ميمور ١٩٠

– بولياس فلافيوس ١٩٢

– أيوس سابينوس

* زمن الامبراطور برتيناكس (١٩٣ عدة شهور) ثم زمن الامبراطور سبتميوس سيفيروس (١٩٣ - ٢١١) تولى مصر فى عهده:

- ماتينيوس سابينوس ١٩٣
- اولبيوس بريميانوس ١٩٤
- ايميليوس ساتورنينوس ١٩٧
- ماكيوس لاتوس ٢٠١
- سوباتيانوس أكيلا ٢٠١
- مانيوس فيلكس كريشتيليانوس

* زمن الامبراطور كاراكلا (٢١١- ٢١٧) وتولى مصر فى عهده:

- بايبيوس أوريليوس جونشينوس ٢١٥
- سبتيميوس هراكليوس ٢١٦
- فاليوس داتوس
- أوريليوس أنتينوس

* زمن الامبراطور مارقينوس(٢١٧ - ٢٢٢) وتولى مصر فى عهده:

- بازيليانوس ٢١٧
- جيمينيوس كريستوس ٢١٩
- مافيوس هونورياتوس ٢٢٢

* زمن الامبراطور سفيروس اسكندر (٢٢٢ - ٢٣٥) وتولى مصر فى عهده:

- ايدينافوس يوليانوس
- فاليروس

- ايباجاتوس

-ماسكولانوس

*** زمن الامبراطور ماكسيمين (٢٣٥- ٢٣٨) وتولى مصر فى عهده:**

- مفيفيوس هونوراتيانوس

*** زمن الامبراطور جورديان الثالث (٢٣٨ - ٢٤٤) وتولى مصر فى عهده:**

- انيانوس

*** زمن الامبراطور فيليب الأول (٢٤٤ - ٢٤٩) وتولى مصر فى عهده:**

- أورليوس باسيلوس

- كلوديوس فاليريوس فيرموس

*** زمن الامبراطور ديفيوس (٢٤٩ - ٢٥١) وتولى مصر فى عهده:**

- أبيوس سابينوس ٢٥٠

*** زمن الامبراطور جاليانوس (٢٥١ - ٢٥٣) وتولى مصر فى عهده:**

- ايميليانوس

وظل يحكم مصر فى زمن أربعة من الاباطرة

- أوريليوس تيودوتوس

*** زمن الامبراطور أوريليان (٢٧٠ -٢٧٥) وتولى مصر فى عهده:**

-فيرموس

- جنياليس

*** زمن الامبراطور كاروس (٢٨٢ - ٢٨٤) وتولى مصر فى عهده:**

- بومبونيوس جانواريوس

- ماركسوس أوريليوس ٢٨٤

- ديوجينيس ٢٨٦

- فلافيوس فاليريوس بومبيانوس ٢٨٧

- بمبيانوس ٢٨٩

- ابميليوس روستيكيانوس ٢٩٨

- ايليوس بويليوس ٢٩٩

- كلوديوس كوليكانوس ٣٠٣

*** زمن الامبراطور دقليانوس (٢٨٤ - ٣٠٥) وتولى مصر فى عهده:**

- ماركوس أوريليوس ٢٨٤

- ديوجينيس ٢٨٦

- فلافيوس بومبيانوس ٢٨٧

- بمبيانوس ٢٨٩

- ايميليوس روستيكيانوس ٢٩٨

- ايليوس بويليوس ٢٩٩

- كلوديوس كولكيانوس ٣٠٣

*** زمن الامبراطور جاليريوس (٣٠٥ -٣١١) وتولى مصر فى عهده:**

- أمونيوس ٣١٢

الامبراطور مكسيميان (٣٠٥-٣١٣)

*** زمن الامبراطور ليكينيوس (٣١٣- ٣٢٣) وتولى مصر فى عهده:**

- انطونيوس جريجوريوس ٣١٤

- اوريليوس انطونيوس ٣١٦

-كونتيوس ايير ٣٢٢

- سانبيانوس ٣٢٣

رابعا: اباطرة العصر البيزنطى

وولاتهم على مصر

تولى الامبراطورية البيزنطية فى هذه الفترة ٢٢ امبراطور ارسلوا ٧٩ من الولاة لحكم مصر وهم:

*** فى عهد الامبراطور قسطنطين الأول (٣٢٣- ٣٣٧) تولى مصر:**

-ايوليوس يوليانوس ٣٢٨

- سبتيموس زينون ٣٢٩

-ماجنتيانوس ٣٣٠

-فلورنتيوس ٣٣١

-هيجينوس ٣٣٢

- باتيريوس ٣٣٣

- فلافيوس فيلاجريوس ٣٣٤

- فلافيوس انطونيوس تيونوروس ٣٣٧

*** فى عهد الامبراطور قسطنطين الثانى (٣٣٧- ٣٦١) تولى مصر:**

- فلافيوس فيلاجريوس ٣٣٨ -٣٤٠

- لونجينوس ٣٤١ - ٣٤٣

-بلاديوس ٣٤٤

–نسطوريوس	٣٤٥
– سيباستيانوس	٣٥٢ – ٣٥٤
– ماكسيموس	٣٥٥ – ٣٥٦
– كاتفرونيوس	٣٥٦ – ٣٥٧
–هيرموجينس بارناسيوس	٣٥٧ – ٣٥٩
– أيتاليكيانوس	٣٥٩
– فاوستينوس	٣٥٩ – ٣٦١
– جيرونتيوس	٣٦١ – ٣٦٢

*** فى عهد الامبراطور جوليان(٣٦١ – ٣٧٩) تولى مصر:**

– ايكديكيوس اوليمبوس	٣٦٢ – ٣٦٣
– الامبراطور جوفيان	٣٦٣ – ٣٦٤
–هيربوس	٣٦٤
– ماكسيموس	٣٦٤
– فلافيانوس	٣٦٤ – ٣٦٦
– بروكولتيانوس	٣٦٦ – ٣٦٧
– فلافيوس ايتوليميوس	٣٦٧ – ٣٧٠
– اوليمبيوس بلاديوس	٣٧٠ – ٣٧١
– ائيليوس بالاديوس	٣٧١ – ٣٧٤

*** فى عهد الامبراطور ثيودوسيوس الاول ٣٧٩ – ٣٩٥ تولى مصر:**

–هادريانوس	٣٧٩ – ٣٨٠

– يوليوس يوليانوس ٣٨٠

– بالاديوس ٣٨٢

– هيباتيوس ٣٨٣

– انطونيوس ٣٨٣

– ابوبتاتوس ٣٨٤ فبراير

– فلونتيوس ٣٨٤ ديسمبر

– يوزيبيوس ٣٨٦

– باولينوس ٣٨٦ – ٣٨٧

– فلافيوس اولبيوس اريثريوس ٣٨٨

*** فى عهد الامبراطور مارقيان (٤٥٠ – ٤٥٧) تولى مصر:**

– تيودوروس ٤٥١

– فلوروس ٤٥٢

*** فى عهد الامبراطور ليو الأول(٤٥٧ – ٤٧٤) تولى مصر:**

–الاسكندر ٤٦٨ – ٤٦٩

– الامبراطور ليو الثانى ٤٧٤

*** فى عهد الامبراطور زينون ٤٧٤ – ٤٩١) تولى مصر:**

–يؤيثوس ٤٧٦

– انثيميوس ٤٧٧

– ثيوكتيستوس ٤٧٧ – ٤٧٨

– ثيوجنوستوس ٤٧٩ – ٤٨٢

- بيرجاميوس ٤٨٢

- ابولونيوس ٤٨٢

- ارسينوس ٤٨٧

*** في عهد الامبراطورانا ستاسيوس (٤٩١ - ٥١٨) تولى مصر:**

- يوستاثيوس ٥٠١

- نيودوسيوس ٥١٦

- الامبراطور جستين الاول ٥١٨ - ٥٢٧

*** في عهد الامبراطور جستنيان الاول(٥٢٧ - ٥٦٥) تولى مصر:**

- ديو سقوروس ٥٣٥

- رودون ٥٣٨

- ليبيريوس ٥٣٩ - ٥٤٢

- الاسكندر ٣٨٩ - ٣٩٠

- ايفاجريوس ٣٩٠ - ٣٩١

- هيباتيوس ٣٩٢ من ٩ أبريل إلى ١٢ ابريل

- يوتاميوس ٣٩٢ من ٥ مايو إلى ٣٠ مايو

- ايفجريوس ٣٩٣

*** في عهد الامبراطور اركاديوس (٣٩٥ - ٤٠٨) تولى مصر:**

- جيناديوس ٣٩٦

- ريمجيوس ٣٩٦

- ارخيلاوس ٣٩٧

- بنتاديوس ٤٠٣ – ٤٠٤
- بوثاليوس ٤٠٤ – ٤٠٥

*** في عهد الامبراطور تيودوسيوس الثانى (٤٠٨ – ٤٥٠) تولى مصر:**

- اوريستيس ٤١٥
- كاليستوس ٤٢٢
- كليوباتر ٤٣٥
- كارموسينوس ٤٤٣
- يوحنا لاكاريون ٥٤٢
- هيفاليستوس

*** في عهد الامبراطور جستين الثانى٥٦٥ – ٥٧٨ تولى مصر:**

- جرمانوس جستينوس ٥٦٦

الامبراطور تيباريوس الثانى ٥٧٨ – ٥٨٢

*** في عهد الامبراطور موريس (٥٨٣ – ٦٠٢) تولى مصر:**

- يوحنا
- باولوس
- يوحنا (للمرة الثانية)
- قسطنطيون
- ميانس ٦٠٠

*** في عهد الامبراطور فوكاس (٦٠٢ – ٦١٠) تولى مصر:**

- بتروس جستينوس ٦٠٢ – ٦٠٣

- يوحنا ٦٠٩

*** في عهد الامبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١) تولى مصر:**

- نيكيتاس ٦١٠

- كيرس ٦٣١ - ٦٤٠

- ثيودوروس

الامبراطور هرقل الثانى ٦٤١

- الامبراطور هرقليون ٦٤١

ملحق (٢)

اباطرة الرومان

– أوغسطس	٣٠ ق.م – ١٤ م
– تبيريوس	١٤ –٣٧
– جايوس (كاليجولا)	٣٧ – ٤١
– كلوديوس	٤١ – ٥٤
– نيرون	٥٤ – ٦٨
– الاباطرة الأربعة (جالبا – أوتو ڤيتليوس – فاسباسيان)	٦٨ – ٦٩
– فاسباسيان	٦٩ – ٧٩
– تيتوس	٧٩ – ٨١
– دوميتيان	٨١ – ٩٦
– نرفا	٩٦ – ٩٨
–تراجان	٩٨ – ١١٧
– هادريان	١١٧ – ١٣٨
– انطونينوس بيوس	١٣٨ – ١٦١
(مع كومودوس)	١٧٧ – ١٨٠
– ماركوس اوريليوس (منفردا)	١٦٩ – ١٧٧
(مع كومودوس)	١٧٧ – ١٨٠
– كومودوس	١٨٠ – ١٩٢

(منفردا) ١٩٣ – ١٩٨
– سبتيموس سفيروس (مع كاراكلا) ١٩٩ – ٢٠٩
(مع جيتاو كلاراكلا) ٢٠٩ – ٢١١
– كاركلا ٢١٢ – ٢١٧
– – ليوجبالوس ٢١٨ – ٢٢٢
– الاسكندر ٢٢٢ – ٢٣٥
– ماكسيمنيوس وماكسيموس ٢٣٦ – ٢٣٨
– جورديانوس ٢٣٨ – ٢٤٤
– فيليب العربى وابنه فيليب ٢٤٤ – ٢٤٩
– ديكيوس ٢٤٩ – ٢٥١
– جالوس وفولوسيانوسى ٢٥١ – ٢٥٣
– فاليريان وجاليينوس ٢٥٣ – ٢٦٠
– جاليينوس ٢٦٠ – ٢٦٨
– كلوديوس الثانى ٢٦٨ – ٢٧٠
– اوريليان ٢٧٠ – ٢٧٥
– بروبوس ٢٧٦ – ٢٨٢
– كارينوس ٢٨٢ – ٢٨٤
(منفردا) ٢٨٤ – ٢٨٦
دقلديانوس (مع ماكسيميان) ٢٨٦ – ٢٩٣
(مع ماكسيميان والقيصرين) ٢٩٣ – ٣٠٥

تلى هذه الفترة مايعرف بالعصر البيزنطى والذى يبدأ باعلان الامبراطور قسطنطين الأول المسيحية ديانة رسمية للامبراطورية الرومانية

ملحق (٣)

اباطرة العصر البيزنطى

– قسطنطين الاول (منفردا)	٣٠٦ – ٣٢٣
(مع القيصرين)	٣٢٤ – ٣٣٧
– قسطانس	٣٣٣ – ٣٦١
– قسطنطيوس الثانى	٣٣٧ – ٣٦١
– جوليان (المرتد)	٣٦١ – ٣٦٣
– فالنتان الاول	٣٦٤ – ٣٧٩
– فالنس وفالنتيبان الثانى	٥٧٦ – ٣٧٨
– فانتيان الثانى وثيودوسيوس الاول	٣٧٩ – ٣٩٢
– ثيودوسيوس (منفردا)	٣٩٢ – ٣٩٥

(٣٩٥ هو العام الذى انقسمت فيه الامبراطورية الرومانية إلى جزئيها الشرقى والغربى وآلت تبعية مصر إلى اباطرة الجزء الشرقى ولذا فالأسماء التالية هى التى حكمت الامبراطورية الرومانية الشرقية).

– اركاديوس	٣٩٥ – ٤٠٨
– ثيودوسيوس الثانى	٤٠٨ – ٤٥٠
– ليو الاول	٤٥٧ – ٤٧٤
– زينون	٤٧٤ – ٤٩١
– اناسطاسيوس	٤٩١ – ٥١٨

– جستين الاول	٥١٨ – ٥٢٧
– جستنيان الاول	٥٢٧ – ٥٦٥
– جستنيان الثانى	٥٦٥ – ٥٧٤
–تيبريوس الثانى	أسرة جستنيان
– موريس	وحكمت حتى ٦١٠
– فوكاس	وهو أول أسرة هرقل
	وفى عهده فتحت
– هرقل	مصر على يد القائد
	العربى عمرو بن العاص فى ٦٤١ م.

ملحق (٤)

بيان ببعض الوظائف والمسميات الادارية
في مصر تحت حكم اليونان والرومان

ابيستراتجوس Epistrategos أحد كبار موظفى الادارة المصرية فى العصرين اليونانى والرومانى، وهو حلقة الاتصال بين الادارة المركزية فى الاسكندرية والادارة المحلية في النومات (أى مقاطعات مصر الادارية)، اذ قسمت مصر الى ثلاثة نوموس او قسم هم الدلتا ومصر الوسطى ومصر العليا وكان يشرف على ادارة كل نوموس موظف كبير هو الابيستراتجوس وفي العصر الرومانى أصبح يشغل هذا المنصب موظف رومانى من طبقة الفرسان له صفة ادارية فقط بعد ان كان يحمل الصفتين العسكرية والادارية عند البطالمة وكان الابيستراتجوس يتبع الوالى مباشرة ويبدو أنه أقام عادة في الاسكندرية وكان يكتفى بجولات ادارية وتفتيشية فى النومات التى تتبعه. أما طبيعة عمله فكانت الاشراف على حسن سير العمل فى منطقته من الناحية الادارية والقيام بأية تحقيقات ادارية ورفع ترشيحات الموظفين فى الادارة المحلية الى الوالى ليتم تعيينهم، وبقيت هذه الوظيفة حتى القرن الثالث حين الغاها الامبراطور دقلديانوس.

اديوس لوجوس Idios Logos وكان رئيس ادارة (حساب الملك الخاص) التى انشأها البطالمة فى القرن الثانى ق.م. وكانت تختص بالغرامات التى تفرض على مغتصبى أراضى الملك وبدخل الاراضى المصادرة ومع انها كانت منفصلة عن (ادارة الخزانة الملكية) الا ان الاديوس لوجوس كان يعتبر مرؤوسا للديويكيتيس الذى أشرف على هذه الخزانة الا انه فى العصر الرومانى اصبح الاثنان متساويان فى الأهمية ويدخل فى اختصاص الاديوس لوجوس جميع موارد الدخل غير المنتظم كالغرامات والمصادرات والاملاك التى تؤول الى الخزانة العامة لعدم وجود أصحاب لها الى جانب اشرافه على شئون الكهنة واراضى المعابد ودخلها.

ارخيديكاستيس Archidikastes وكان المساعد الرئيسى للملك فى الشئون القانونية والقضائية فى عصر البطالمة ويرجح انه كان يعين بعد موافقة الملك والقضاة الاغريق والمصريون فى جميع أنحاء البلاد، ومن المحتمل أنه كان يعد القضايا التى يرفعها أصحابها أمام الملك بوصفة أعلى درجات التظلم، الا أن هذه الوظيفة اخذت تفقد أهميتها تدريجيا خلال العصر الرومانى.

اكسجيتيس Exegetes ويبدو أنه فى عهد البطالمة كان كبير حكام الاسكندرية والكاهن الاكبر للعبادة الاغريقية الرسمية وهى عبادة الاسكندر والبطالمة المؤلهين ويحتمل انه شغل منصب رئيس المجمع العلمى بالاسكندرية. وعندما فتح الرومان مصر وانشأوا مناصب بلدية فى عواصم المديريات كان أحد هذه المناصب يدعى اكسيجيتس. وكان يشرف على الحاق الشباب بالتدريب اللازم لهم، وتعيين الاوصياء للسيدات والمربين للقصر ويبحث الشروط الواجب توافرها فيمن ينضمون الى طبقة المتمتعين بالامتيازات الخاصة.

برايفكتوس Praefectus وهو والى مصر وحاكمها نيابة عن الامبراطور الرومانى وكان يعين من قبل الامبراطور شخصيا من طبقة الفرسان الرومان ممن يدينون بالولاء التام للامبراطور وكان رئيسا لكل الجهاز الادارى، والعسكرى فى مصر.

ديويكتيس Dioiketes وهو رئيس (ادارة الخزانة الملكية) فى العصر البطلمى ويختص بالاشراف على كل الدخل المنتظم للدولة البطلمية وفى البداية اعتبرت وظيفته تفوق وظيفة الاديوس لوجوس فى الاهمية ومن هنا كان رئيسا له، الا أنه فى العصر الرومانى تساوى الاثنان فى الاهمية.

توبارخوس Toparchos وهو الحاكم الادارى لاحد أقسام المديرية فى العصر اليونانى الرومانى وحت أواخر القرن الثالث الميلادى وكان يقوم بدور هام فى الادارة المالية شأنه شأن غيره من رجال السلطة المحلية.

توبوجراماتيوس Topogrammatios كاتب أحد الاقسام الادارية فى العصر اليونانى الرومانى وكان يشرف على كل السجلات الخاصة بكل موارد الدولة فى منطقة اشرافه.

توبوس Topos وهو الاقليم أو عدة اقاليم تنقسم اليها المديريات فى العصر اليونانى الرومانى، وكان كل اقليم (توبوس) ينقسم الى قرى، وكان لكل اقليم حاكم ادارى يدعى توبارخوس وكاتب يدعى توبوجراماتيوس.

كاتب ملكي Basilikos Grammatios وهو مسئول مالى كان يلى رئيس المقاطعة فى الأهمية وكانت مهمته تنحصر في مراقبة الضرائب بأنواعها والنشاط المالى لرئيس المقاطعة.

مصـــــادر
ومراجع الدراسة

مصادر ومراجع الدراسة

اولا : المصـــــــادر :

- Aeschyl. Pers., Loeb.
- Amm. Marcellinus, Loeb.
- Appian, B.Civ., Loeb.
- Arrianus, Analasis, Loeb.
- Aulus Gelius, Noctes Atticae, Loeb.
- Cicero, Ad Atticum, In Verrum, Loeb.
- Dio Cassius, Loeb.
- Diodorus Siculus, Loeb.
- Dionysus Halicarnasus, Loeb.
- Eutropius, Loeb.
- Herodotus, Historiae, Loeb.
- Livius, Histories, Loeb.
- Ovidius, Metamorphoses, Loeb.
- Pausanias, Description of Greece, Loeb
- Pindar, Loeb.
- Philo, In Flaccum, Loeb.
- Pliny, NH., Loeb.
- Plutarch, Vitae, Moralia, Loeb.
- Polybius, Loeb.
- Propertius, Loeb.
- Stephanus Byzantius, Loeb.
- Strabo, Geography of, Loeb.

- Tacitus, Annals, Loeb.
- Thucidedes, Loeb.
- Valerius Maximus, Loeb.
- Virgilius, Aenead, Loeb.

ثانيا : مراجع باللغة العربية :

- ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٦٦ . الجزء الرابع. الطبعة الرابعة مزيدة ،ومنقحة – القاهرة ١٩٧٧ .
- ابراهيم جمعة : جامعة الأسكندرية . الإسكندرية . بدون تاريخ.
- أحمد أمين سليم : دراسات فى حضارة الشرق الأدنى القديم. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٩٢ .
- السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية. القاهرة ١٩٦٥ .
- ادوارد جيبون : اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية. ترجمة محمد على أبو درة، نجيب اسكندر، محمد سليم سالم، ثلاثة أجزاء، القاهرة ١٩٦٩ .
- أرثر كورتل : قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى الطريحى. بيروت ١٩٩٣ .
- ايدرس بـــل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى. ترجمة محمـــد عواد حسين وعبد اللطيف احمد على. القاهرة ١٩٥٤ .
- ج.م. هسى : العالم البيزنطى. ترجمة وتقديم وتعليق د. رأفت عبدالحميد الطبعة الثالثة. دار المعارف. القاهرة ١٩٨٤ .
- چورج سارتون : تاريخ العلم. الجزء الرابع. ترجمة لفيف من العلماء. دار المعارف. القاهرة ١٩٧٩ .

– ج. دى بورج : تراث العالم القديم. الجزء الأول. ترجمة زكى سوس. الألف كتاب. القاهرة ١٩٦٥ .
– جمال الدين الشيال : تاريخ الإسكندرية فى العصر الإسلامى. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٧ .
– حسين الشيخ : ديانات الأسرار والعبادات الغامضة فى التاريخ. دار العلوم العربية. بيروت ١٩٩٦ .
– فيليب اميل لجران : شعر الاسكندرية. ترجمة محمد صقر خفاجة. القاهرة ١٩٥٢ .
– رضا جواد الهاشمى : نظام العائلة فى العهد البابلى القديم. بغداد ١٩٧١ .
– لطفى عبد الوهاب يحى : دراسات فى العصر الهللينستى. بيروت ١٩٧٨ .
– عبد اللطيف أحمد على : مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية. القاهرة ١٩٦٠ .
– عبد الله حسن المسلمى : كاليماخوس القورينى شاعر الاسكندرية. منشورات. الجامعة الليبية. ١٩٧٣ .
– عبد المعطى شعراوى : أساطير اغريقية. القاهرة ١٩٨٢ .
– على سامى النشار : نشأة الدين. النظريات التطورية والمؤلهة . الاسكندرية ١٩٤٩ .
– سعد عبد العزيز : الأسطورة والدراما. القاهرة ١٩٥٢ .
– سليم حسن : مصر القديمة – الجزء الرابع عشر والخامس عشر. القاهرة ١٩٩٤ .
– سيد أحمد على الناصرى : الناس والحياة فى مصر زمن الرومان. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٩٥ .

- محمد حمدى ابراهيم : الأدب السكندرى. القاهرة. بدون تاريخ.
- محمد صقر خفاجة : شعر الرعاة. القاهرة. بدون تاريخ.
- محمد صقر خفاجة : هيرودوت يتحدث عن مصر. القاهرة ١٩٨٧ .
- محمود سلام زناتى : تاريخ القانون المصرى في العصور الفرعونى واليونانى والرومانى والإسلامى. القاهرة ١٩٧٣ .
- مراد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى. القاهرة. بدون تاريخ.
- مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى. القاهــرة ١٩٧٥ .
- مصطفى العبادى : مكتبة الإسكندرية القديمة. القاهرة ١٩٧٧ .
- مصطفى العبادى : حول وضع مصر فى الإمبراطورية الرومانية. مطبوعات جامعة الأسكندرية ١٩٦٨ .
- مصطفى العبادى : صور من الحياة الأجتماعية فى الإسكندرية القديمة. مطبوعات . جمعية الآثار. الأسكندرية ١٩٦٨ .
- مصطفى العبادى : الأمبراطورية الرومانية. الاسكندرية ١٩٩٦ .
- نجيب بلدى : مدرسة الإسكندرية. الفلسفية. الاسكندرية ١٩٦٥ .
- نورمان بينز : الإمبراطوزية البيزنطية. ترجمة د. حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد. القاهرة ١٩٥٧ .
- وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم. الجزء الأول. ترجمة محمد مصطفى زيادة. مؤسسة فرانكلين. القاهرة. بدون تاريخ.
- و.و. تــــارن : الحضارة الهللينستية. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. الألف كتاب. القاهرة ١٩٦٦ .
- الموسوعة المصرية : تاريخ مصر القديمة وآثارها . المجلد الأول : الجزء الثانى

. العصر اليونانى الرومانى. الهيئة العامة للكتاب. القاهرة
بدون تاريخ.
– وصف مصر : الجزء الثالث . دراسة عن المدن والأقاليم المصرية. (دراسة
عن مدينة الإسكندرية) ترجمة زهير الشايب. مكتبة
الخانجى. القاهرة.

ثالثا : مراجع بلغات أجنبية :

- Anderson, Oard Fighting Ships, London 1962.
- Austin, M.M., The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquest, Cambridge University Press 1981.
- Bell, Idris, Egypt from Alexander the Great to the Arabe Conquest, Oxford 1948.
- Bernal, Martin, Black Athena, Rutgers University Press, New Jersey 1987.
- Bevan, Edwyn, A History of Egypt Under the Ptolemaic Dynasty, Methuen 1927.
- Bouche, Leclercq, Histoire des lagides, 4 vols, Paris 1903 - 1907.
_ Bowman, Alan, Egypt after the Pharohs, British Museum Publications 1986.
- Bury, J.B> and others, The Hellenistic Age, Norton library, New York 1970.
- Casson, Lionel, Ships and Seamanship in the Ancient world, Princeton 1971.

- Chapot, Victor, L'Egypte Romaine, Histoire de la Nation Egyptienne, Tome III, Paris, 1933.
- Davison, J.A., The First Greek Triremes, CQ, 41 (1947).
- Devereux, George, Dreams in Greek Tragedy, Oxford 1976.
- Farington, Benjamin, Greek science, Pelican 1953.
- Fraser, P.M., Ptolemaic Alexandria, Oxford 1972.
- Glanville, S.R.K., The legacy of Egypt, Oxford 1943.
- Grant, Michael, From Alexander to Cleopatra, the Hellenistic world, Newy York 1982.
- Idem., Cleopatra, London 1947.
- Griffith, G.T., Alexander the Great, Cambridge 1966.
- Hadas, Moses, Hellenistic Culture, Norton Library, New York 1972.
- Hartland, E. Sidney, Primitive Law, London 1948.
- Hammond, N.G.L., Alexander the Great, London 1981.
- Jones, A.H.M., Later Roman Empire, 3 Vols. Oxford 1964.
- Idem., Cities of the Eastern Roman Provinces, Oxford 1970.
- Jouguet, Pierre, L'Egypte Ptolemaique, Histoire de La Nation Egyptienne, Tome III, Paris 1933.
- Idem, Trois Etudes sur L'Hellenisme, Publication de la Faculte des Lettres de L'universite Farouk I er., Le caire.
- Kantor, Hellene, The Aegean and the Orient in the second Millenium B.C., London 1947.
- Lesquier, J., Les Institutions Militaires de L'Egypte sous les Lagides, Paris 1911.
- Lesky, Albin, A History of Greek Literature, Methuen 1966.

- Mahaffy, T.P., A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, Methuen 1914.
- Milne, J.G., A History of Egypt under Roman Rule, London 1924
- Morrison, J.S.; Coates, J.F., The Athenian Trireme, Cambridge 1988.
- Noshy, Ibrahim, the Arts of Ptolemaic Egypt, Oxford 1937.
- Oman, C., C., The Dark Ages, European History (476-918), London 1928.
- Parsons, E.A., the Alexandrian Library, London 1952.
- Rose, H.J., Greek Mythology, Methuen 1953.
-Rostovzeff, M., Social and Economic History of the Hellenistic World, London 1963.
- Simon, Bennett, Mind and Madness in Greece, Cornell 1978.
- Starr, Chester, the Influence of the Sea Power on Ancient History, Oxford 1984.,
- Tarn, W.W., Hellenistic Civilization, Methuen 1974.
- Idem., Alexander the Great, Cambridge 1948.
- Idem. , Hellenistic Military and Naval Developments, Cambridge 1980.
- Torr, Cecil, Ancient Ships, Cambridge 1894.
- White, E.M., Woman in World History, London 1924.

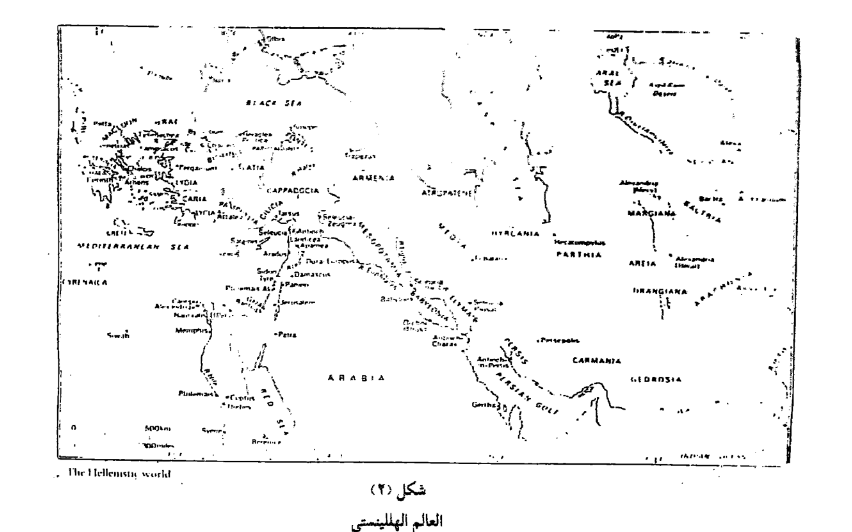
الأشكال والصور التوضيحية



شكل (١)

رأس الاسكندر المقدونى

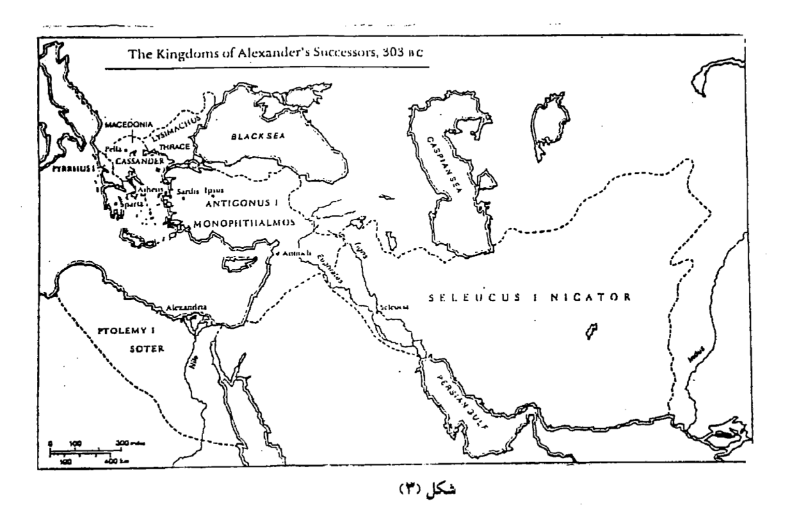
(المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية)



The Hellenistic world

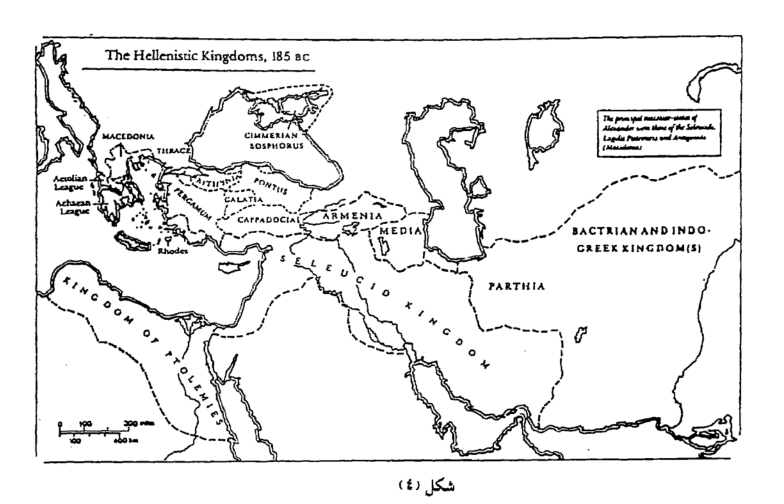
شكل (٢)

العالم الهلينستي



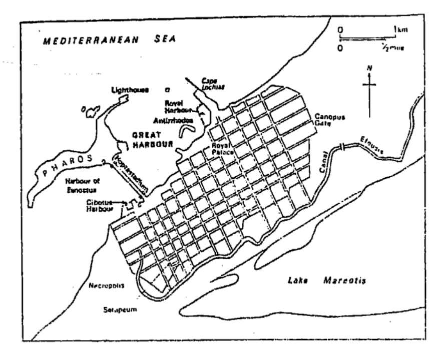
شكل (٣)

ممالك خلفاء الاسكندر المقدونى فى ٣٠٣ ق.م



شكل (٤)

الممالك الهللينستية فى ١٨٥ ق.م.



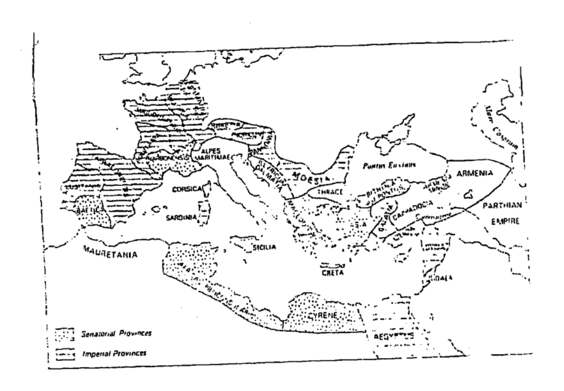
Hellenistic Alexandria

شكل (٥)

الاسكندرية فى العصر الهللينستى

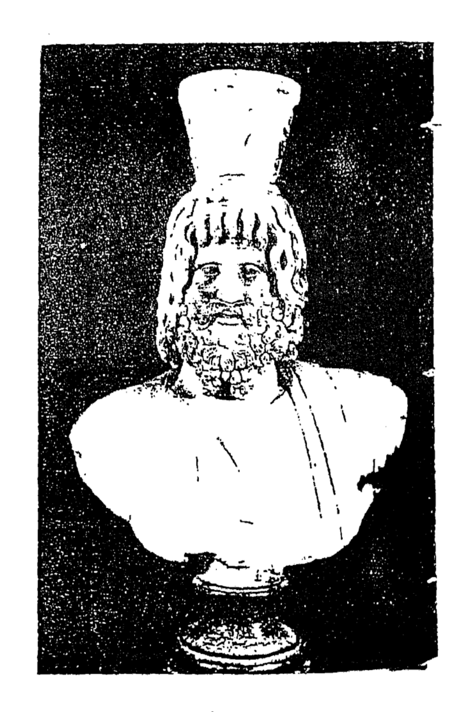
شكل (٦)

الاسكندرية في العصر اليوناني والروماني



شكل (٧)

الامبراطورية الرومانية مع موت أوغسطس



شكل (٨)

تمثال نصفى من الرخام للالة سيرابيس

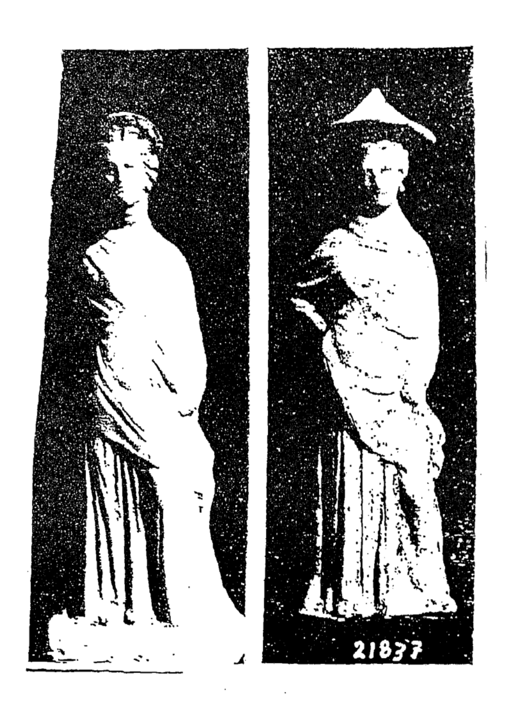
كما مثل عند اليونانيين



شكل ٩

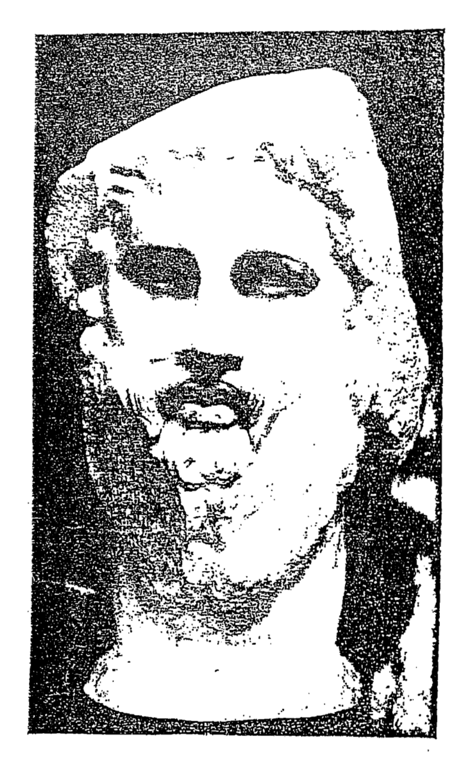
الالة سيرابيس كما مثل عند المصريين

المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية



شكل (١٠)

نموذجان من تماثيل التناجرا



شكل (١١)
رأس من الرخام للاله اسكليبيوس
(المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية)



شكل (١٢)
رأس من الرخام
(عصر الرومانى)



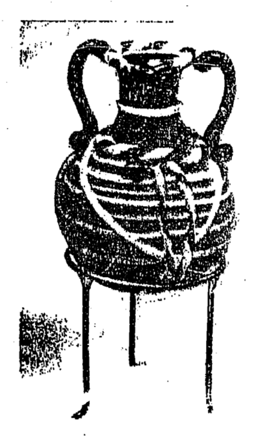
شكل (١٣)
رأس من الرخام ما زالت عليه أثار الألوان
(عصر قبطي)



شكل (١٤)

كاميو سكندري من حجر كريم

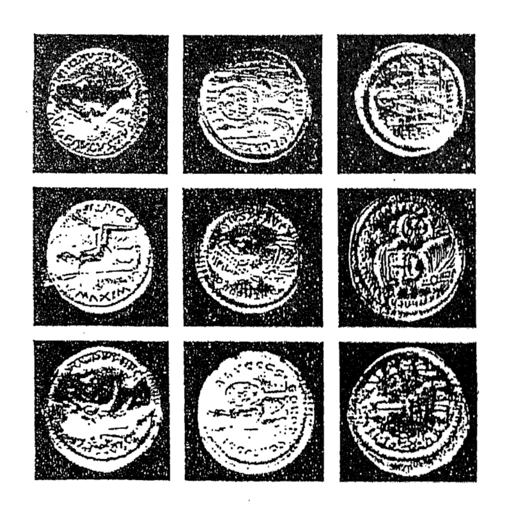
(متحف فيينا)





شكل (١٥)

نماذج من الزجاج الملون السكندرى



شكل (١٦)
نماذج من العملة السكندرية



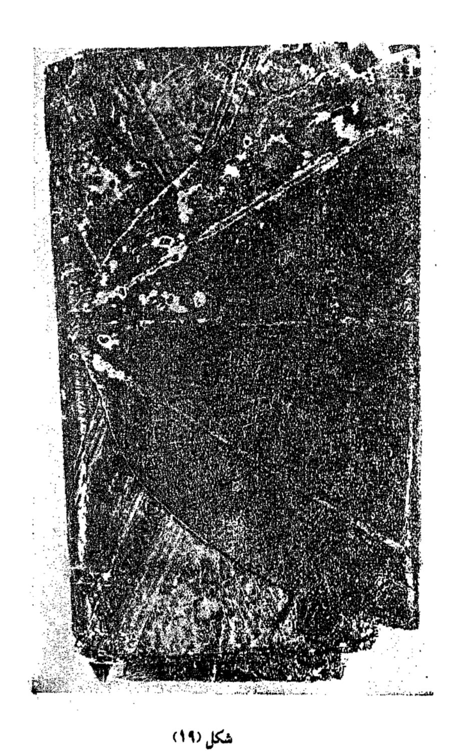
شكل (١٧)

الاسكندرية من الفسيفساء

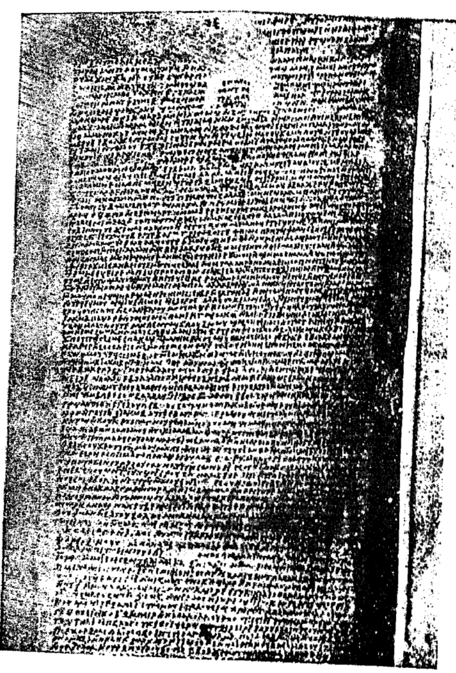
(المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية)



شكل (١٨)
ايقونة من دير سانت كاترين



شكل (١٩)
غلاف من الجلد لمخطوطة من المخطوطات الغنوسية المحفوظة بالمتحف القبطى،
وعليه علامة عنخ رمز الحياة عند المصريين القدماء
(عن : مراد كامل)



شكل (٢٠)

ورقة من أوراق البردى التى عثر عليها ضمن مجموعة كبيرة تشمل ٤٧ كتاباً فى الغنوسية، مكتوبة باللهجة القبطية محفوظة بالمتحف القبطى من القرن الرابع الميلادى

(عن : مراد كامل)



شكل (٢١)

غلاف من الفضة لحفظ الكتاب المقدس، مصنوع على نمط قبطى قديم، موجود بالمتحف القبطى

(عن : مراد كامل)



شكل (٢٢)

جزءان من أفريز طويل من الخشب المحفور يمثل الجزء الأعلى بعض الحيوانات في وسط زخرفة، ويمثل الجزء الأسفل نهر النيل وفيه تمساح فى وسط مزخرف وهما بالمتحف القبطى، من القرن الرابع الميلادى

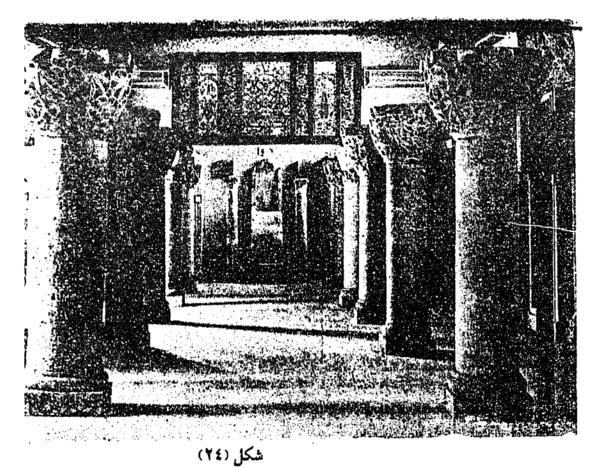
(عن : مراد كامل)



شكل (٢٣)

تاج لعمود من الحجر بالمتحف القبطى من حفائر دير الأنبا أرميا بسقارة، وهو يمثل حركة تماوج أغصان الأكانتس بفعل الريح، وفى أعلاه علامة الصليب، من القرن السادس الميلادى

(عن : مراد كامل)



شكل (٢٤)

قاعة الأعمدة فى المتحف القبطى ومعظمها من القرن السادس الميلادى وفى صد
منبر من الحجر ذو سبع درجات من حفائر دير الأنبا أرميا بسقارة، وهو أقدم منبر
فى مصر حتى الآن، وهو من القرن السادس الميلادى،

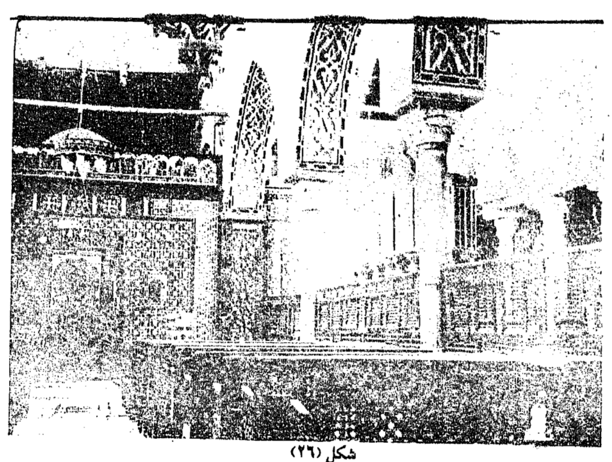
(عن : مراد كامل)



شكل (٢٥)

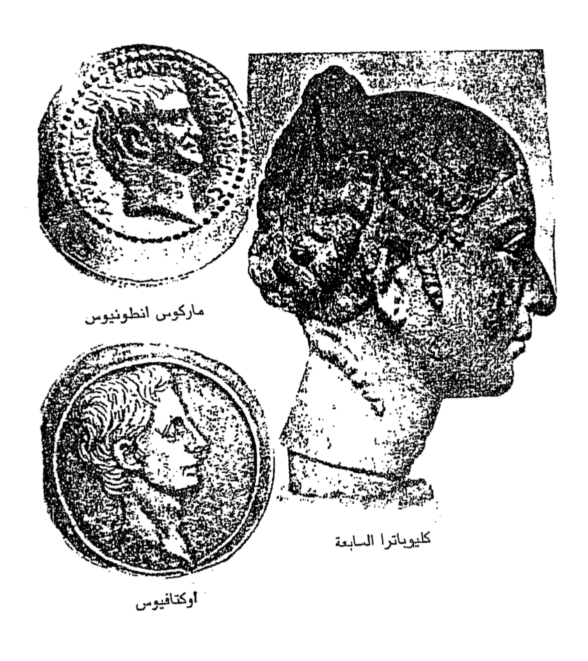
شرقية (حنية) من أحدى كنائس باويط (بالقرب من ديروط) وهى من الطمى المغطى بطبقة من الجص مرسومة بالألوان الفريسك. فى الجزء الأعلى صعود المسيح وتحته ترى صورة السيدة العذراء ورسل السيد المسيح الأثنى عشر، وأثنين من القديسين المصريين، وطريقة رسمها لا تختلف عن طريقة الرسم فى الفن المصرى القديم من أواخر القرن الخامس الميلادى

(عن : مراد كامل)



شكل (٢٦)

صورة للكنيسة المعلقة بمصر القديمة ويظهر فيها حجاب الهيكل وهو من
الخشب المطعم بالعاج، وفى أعلى الحجاب ايقونات القديسين
وهو من القرن الحادى عشر الميلادى
(عن : مراد كامل)



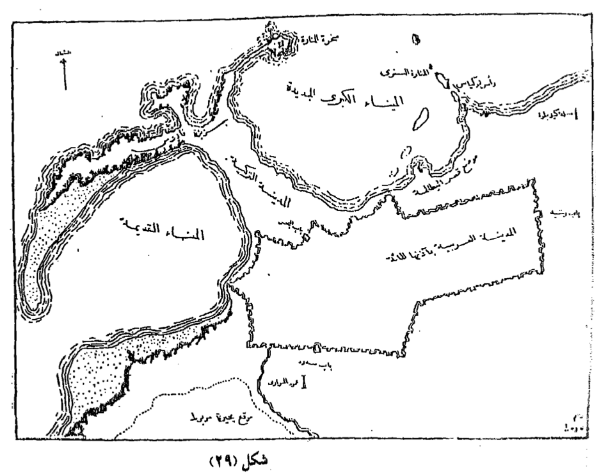
شكل (٢٧)

كليوباترة السابعة - ماركوس انطونيوس-أوكتافيوس (أوغسطس)



شكل (٢٨)

الاسكندرية فى القرن السادس عشر (١٥٤٨)



شكل (٢٩)

الاسكندرية فى أواخر القرن الثامن عشر (١٧٨٥)

شكل (٣٠)

الاسكندرية مع بداية القرن التاسع عشر (١٨٠١)

المحتويات